

وليم فولكنر

الاصوات

نقلتها الى العربية
مخالدة سعيد

آخر رواية كتبها
الكاتب العالمي الكبير
وليم فولكنر
الفائز بجائزة نوبل

دار مجلة شعر
المكتبة المصرية للطباعة والنشر

**Collection of Prof. Muhammad Iqbal Mujaddidi
Preserved in Punjab University Library.**

پروفیسر محمد اقبال مجددی کا مجموعہ
پنجاب یونیورسٹی لائبریری میں محفوظ شدہ

•

وليم فولكنر



الاصوٰص

رواية

نقلها الى العربية
خالدة سعيد

دار مجلة شعر
بيروت

•

الفضل الاول

قال جدي :

هكذا كان بون هوجانبك. فلو نقش اسمه على حجر لصحّ أن يكون شاهدة قبره ، شأن مقاييس « بریتون » لمعرفة هوية الشخص ، أو اعلان للشرطة ، حتى أن أي شرطي في شمالي الميسيسيبي كان يستطيع أن يتعرف إليه من بين الجموع ويوقفه .

كان الوقت صباح السبت ، حوالي الساعة العاشرة . كنا - أنا وأبو جدك - في المكتب : أبي جالس إلى الطاولة يخرج النقود من كيس الكتان ويقابلها بقائمة الفواتير التي جمعها من ساحة البلدة ، وأنا جالس على كرسي قرب الجدار انتظر ساعة الظهر ، حتى أتقاضى تعويضي (الاسبوعي) البالغ عشر سنتات ، ثم نذهب الى البيت . وبعد تناول الغداء ، يتاح لي

الذهاب للاشتراك في لعبة البيسبول التي كانت تبدأ منذ الصباح
دوني : كانت الفكرة من ذلك (فكرة جدك لا فكري) أن
الرجل منذ أن يبلغ الحادية عشرة من عمره ، يترك وراءه
سنة يُحاسب فيها ، او يغدو مسؤولاً عن المكان الذي يشغله ،
وعن الغرفة التي يحتلها في اقتصاد العالم (في جفرسون ،
ميسيبي ، على الاقل) .

كنت اغادر البيت مع ابي صباح كل سبت بعد تناول طعام
الفتور ، بينما يكون الصبيان الآخرون في الشارع مسلحين
بالكرات والمضارب وقفازات البيسبول - فضلاً عن اخوتي
الثلاثة الذين كانوا أسعد مني حظاً لمجرد أنهم اصغر سنًا . كان
هذا منطق أبي : ما دام أي انسان بالغ ومنتج يستطيع ان
يعيل اربعة اولاد ، فان بإمكان اكبر هؤلاء سنًا ان يكسب ما
يفي بحاجاته الضرورية . فكنت اتجول صباح كل سبت حاملاً
فواتير شحن صناديق البضائع التي نقلها سواقوا الزوج ،
خلال الاسبوع ، من المستودع الى الأبواب الخلفية لحوانيت
البقالة ، ودكاكين الخضوات الحديدية ، ومخازن لوازم
المزارعين ، ثم اعود بكيس الكتان الى أبي ، ليراجع الحساب
ويضبطه . ثم ألزم المكتب حتى الظهر ، لارد على رنين جرس
التلفون . وهكذا كنت اكسب عشر سنتات في الاسبوع ،
وهو المبلغ الذي كان مفروضاً ان أعيش به .

وفي صباح ما ، دخل بون وهو يقفز . كانت الدرجة لا
تعلو كثيراً عن ارض المر ، حتى لصبي في الحادية عشرة (مع

ذلك فإن جون بويل مدير الاسطبل ، دفع صن توماس سائقنا الاصفر ، إلى ان يقترض ، أو يغتصب ، من مكان ما قطعة خشب يجعلها درجة متوسطة العلوي . غير ان بون كان يصعداها ، كعادته ، بخطوته الواسعة . ولكنه ، هذه المرة ، آثر ان يقفز فوقها قفزاً الى الغرفة . ولم يكن وجه بون يبدو لطيفاً او هادئاً في الاحوال العادية ، ولكنه في تلك اللحظة بدا كأنه سينفجر ويندفع من بين كتفيه ، من الهيجان والسرعة ، وهو يقفز باتجاه المكتب صائحاً بوالدي :

« انتبه يا سيد موري ، ابتعد من الطريق . » ثم انقضّ على درج الطاولة الاسفل ، حيث يوجد مسدس الاسطبل . فهل دفع بون ، في طريقه ، الكرمي إلى الورا (كان كرسيّاً دواراً ذا عجلات) ام أن أبي هو الذي قذف به الى الخلف ليتمكن من ان يُبعد يد بون الممتدة ؟ لقد تبعثرت أكوام النقود المرتبة ، في كل اتجاه ، حول المكتب ، فيما بدأ أبي بصيح ، هو الآخر :

« يا للشيطان ، كفى ! »

« سأقتل لودوس ! » صاح بون . « لعله اجتاز الساحة الآن

وذهب ! انتبه يا سيد موري ! »

« لا ! » قال أبي . « اخرج ! »

« ألا تدعني آخذه ؟ »

« لا ، يا للشيطان . »

« حسناً . » قال بون وهو يقفز راجعاً باتجاه الباب

ويخرج منه . واكتفى ابي بالجلوس هناك . لا بد أنك لاحظت مدى جهل الناس الذين تجاوزوا الثلاثين أو الأربعين من العمر . لا أعني أنهم سريعو النسيان . هذا تمويه ، إذ يسهل القول : « أوه ، أبي (أو جدي) أو أمي (أو جدتي) ، طاعنون في السن ، وقد نسوا. ، ففي الحياة أشياء وحقائق جارحة لا يمكنك نسيانها ، أياً كانت سنك . فلو عبرت ، في صفرك ، حفرة أو خندقاً ، فوق جسر من جذع شجرة ، ثم عدت إليه ، وانت في الخامسة والثلاثين أو الأربعين من العمر ، وقد ذهب الجذع ، لما تذكرته ربما ، ولكنك لا تضع قدمك في الفراغ حيث كان الجذع فيما مضى . هكذا كان أبي حينئذ . جاء بون إلى المكتب وهو يقفز دوتما اندار ، حتى كاد يُسْقِطَ كرسيّ أبي ، مندفعاً نحو الدرج حيث وُضِعَ المسدس . لكن أبي كان مستعداً لابعاد يده عن الدرج او سحقها . إذّاك استدار بون وقفز عائداً كما جاء . وظنّ أبي ، كما يبدو ، أنّ ذلك ينهي المسألة . حتى انه كف عن قذف الشتائم ، وكان شيئاً لم يحصل . ثم أعاد الكرسي الى مكانه قرب الطاولة وتطلع الى النقود المبعثرة التي سيضطر الى عدها من جديد ، فعاد يشتم بون ثانية ، لا لحادث المسدس ، وإنما لمجرد كونه بون هوجانبيك . وظل كذلك إلى أن قلت له :

« ذهب ليستير مسدس جون بويل . »

وصرخ أبي قائلاً : « ماذا ؟ » ثم قفز هو أيضاً ، وأسرعنا نعبير المكتب الى الردهة ومنها الى كومة البضائع ،

خلف الاصطبل ، حيث كان جون بويل و لاستر يساعدان « جيبي » الحداد في تركيب نعال ثلاثة بغال وجواد مسرج . وكان أبي ، كلما قطع ثلاث خطوات ، يصرخ : «جون ! بون ! جون ! بون ! » دون أن يضيع الوقت بالسباب . ولكنه ، هذه المرة ، أيضاً وصل متأخراً . لأن بون خدعه او بالاحرى ، خدعنا . إذ لم يكن مسدس جون بويل مجرد مسألة معنوية وحسب ، بل كان مسألة عاطفية أيضاً . كان مسدساً مزعياً ، قديماً جداً ، لكنه في حالة جيدة ، لأن جون حرص على ابقائه كذلك ، منذ أن اشتراه من أبيه ، حين كان في الحادية والعشرين من عمره . إنما لم يكن يحمله ، بحكم الضرورة ، اعني لم يكن للمسدس وجود رسمي علي . كان هناك تقليد قديم كالاصطبل نفسه ، وهو ان المسدس الوحيد التابع للاصطبل ، كان يرقد في قرارة الدرج الايمن ، وكان معروفاً لدى الجميع أن ليس لموظف ان يحمل سلاحاً منذ حضوره الى الاصطبل حتى انصرافه الى البيت ، فكيف باحضار السلاح واستعماله . وقد أوضح جون ذلك لنا جميعاً وحصل على تأييدنا وعطفنا وتفهمنا مما دعم مركزه امام العالم وامام والدي نفسه ، لو لم تحدث تلك المشكلة التي كانت لتحدث لولا بون هوجانينك وهو الذي أخبرنا كيف وفّر جون ثمن المسدس بالعمل الإضافي أثناء فترات استراحتة ، بمساعدة أبيه في المزرعة في اوقات كان يجب أن يمضيها في النوم أو الاكل ، إلى أن وضع

في عيد ميلاده الحادي والعشرين آخر قرش في يد أبيه وقال
 المسدس . ثم انه اخبرنا كيف كان المسدس الرمز الحي
 لرجولته والدليل الذي لا يدحض على أنه بلغ الحادية والعشرين
 وصار رجلاً ، ومع انه لم يعترم استعماله ابداً ، إلا انه احب
 أن يحمله باستمرار . ولو انه كان يترك المسدس في البيت عند
 مجيئه الى العمل ، لكان كمن يترك رجولته هناك . وقد أخبرنا
 (وصدقناه) بأنه لو دعي الى الاختيار بين ترك المسدس في
 البيت ، أو عدم المجيء إلى العمل ، لما تردد في الاختيار .
 لذلك خاطت له زوجته في البدء جيبياً مرتباً
 متيناً بقياس المسدس ، داخل صدرية بزه العمل . وقد
 عرف جون أن ذلك لا يكفي ، لا لأن المسدس قد يسقط
 في اية لحظة ، بل لأنه كان ظاهراً بوضوح من فوق الثياب .
 وهو لم يكن ظاهراً لنا وحسب ، اذ كنا جميعاً نعرف
 انه هناك - من مستر بالوت رئيس عمال الاسطبل
 الأبيض ، و بون مساعده (الذي كان يعمل ليلاً مما
 يجعله أن يكون الآن نائماً في سريره) ، مروراً بكل الزوج
 من سواقين وسائسي خيل ، إلى احقر خدم الاسطبل ، اي
 إليّ أنا ، الذي كان عملي فيه يقتصر على جمع فواتير البضاعة
 المتراكمة ايام السبت ، والرد على الهاتف . حتى العجوز
 دان جرينتب القدر ، ذر اللحية الملطخة بالتبغ ، الذي
 لم يكن يوماً مثلاً تاماً ، والذي لم يكن له وظيفة رسمية في
 الاسطبل ، لا لمعاقرته الحمرة ، بقدر ما لان اسمه كان في الواقع

« جرينيه » لا « جرينتب » ، وهو من أقدم الاسماء في المنطقة الى أن أنجبت الأسرة « لوي جرينيه » البروتستانتى الذي اجتاز الجبال من فيرجينيا وكارولينا بعد الثورة وجاء إلى ميسيسيبي في العقد التاسع من القرن الثامن عشر وأسس جفرسون وأعطاهما اسمها - وان العجوز هذا ، الذي لا يعيش في مكان معين - اذ ليست له اسرة باستثناء ابن أخ مخبول أو ابن عم ما يزال يعيش في خيمة بين أدغال النهر، خلف منعطف «فرانشان باند» الذي كان يوماً جزءاً من مزرعة « جرينيه » - بل يظهر فجأة - وهو الذي لا يبلغ به السكر قط حداً يعيقه عن سياقة العربة - في الاسطبل ، في الوقت المناسب ، ليأخذ العربة الى المحطة لملاقاة قطاري التاسعة والنصف صباحاً ، والرابعة والرابع بعد الظهر ، وإيصال الباعة المتجولين الى الفندق . وقد كان أحياناً يبقى للعمل طوال الليل ، حين كانت تقام في دار الاوبرا تمثيليات فولكلورية زنجية ، أو حفلات راقصة او مسرحيات . وكان بعض الناس يعزو سبب استمراره في عمله الى ان زوجة السيد بالوت الاولى هي ابنته . اما نحن ، العاملين في الاسطبل ، فكنا نعتقد ان استمراره في عمله راجع الى ان ابي كان في صباحه يذهب لصيد الثعالب مع والدان العجوز عند منعطف فرانشان باند .

كان المسدس ظاهراً ليس لنا فقط ، بل لابي ايضاً . إذ كان ، هو الآخر ، على علم به . كان لا بد من ذلك ، فمؤسستنا

كانت صغيرة جداً ومتشابكة ومتداخلة. لذلك كانت مشكلة أبي المعنوية هي مشكلة جون بويل ذاتها ، وكان كلاهما يعرفها ويدارها كما يجب أن يفعل رجلان شريكان : فاذا اضطر أبي الى اعلان معرفته بوجود المسدس ، صار لزاماً عليه أن يخبر جون بين ابقاء المسدس في البيت ، أو عدم العودة الى العمل . وكان جون يعرف هذا . لكنه ، لفرط رجولته أيضاً ، أبقى ان يضع أبي في موقف يحمله على افشاء معرفته بوجود المسدس . وهكذا خاطت له زوجته الجيب في صدريته ، تحت ابطه الايسر ، لا في جيب بزة العمل. بذلك لم يعد المسدس ظاهراً ، او على الاصح ناتئاً ، عندما كان يلبس صدريته أو يعلقها بمساره الخاص في غرفة السروج ، اذا اشتدت حرارة الطقس او كانت كما هي الآن .

تلك كانت حال المسدس عندما جاء بون الذي كان من شأنه أن يكون ، آنذاك ، في الفراش كما وعد ، لا أن يتسكع حول الساحة ، حيث واجه ما دفعه الى العودة نحو الاسطبل ، مقتحماً باب المكتب ، مُظهراً كلاً من أبي وجون بويل بمظهر الكاذب .

غير أن أبي وصل متأخراً هذه المرة أيضاً . إذ أن بون خدعه ، أو بالاحرى خدعنا . لأن بون كان يعرف هو أيضاً بأمر المسار في غرفة السروج . وكان ذكياً ، أذكى من أن يعود ، عبر الممر ، من امام المكتب . وعندما وصلنا الى الساحة ، كان جون ولوستر وجيبي (والبغال

الثلاثة والحصان ايضاً) يراقبون مصراع الباب الذي كان
ما يزال يتأرجح وقد اقتحمه بون ساعتئذٍ ، حاملاً
المسدس في يده . وتبادل جون وأبي النظر حوالي عشر
ثوانٍ ، ثم انهار صرح ما بينهما من « تفاهم شرف » وصار الى
غبار . مع ذلك بقي الشرف ، أو الولاء .

وقال جون : « انه لي . »

« نعم . » قال أبي . واطاف : « رأى لودوس في

الساحة . »

فقال جون : « ساقبض عليه وآخذه منه . مرني بذلك . »

وقال جيبى : « ليمسك أحدكم بلودوس . »

ومع ان لودوس كان قصيراً ، إلا انه كان ضخماً ، بخلاف
بون ، له ساق مفتولة ، بشكل نحيف ، نتيجة حادث
قديم نزل به أثناء العمل ؛ كان في وسعه ان يمسك حافر
الحصان أو البغل الخلفي ويلويه على ركبته الملوية ، فلا يجد
الحصان أو البغل مناصاً من الارتقاء . وذلك لعجزه عن تحرير
ساقه والحفاظ على توازنه ، فيرفسه بالساق الأخرى .

وقال جون : « لا أحد منكم يفهم لودوس . انه

أكثرنا مسألة . رأيت بون هوجانبك يطلق النار قبله . »

ولم يلقيه بالسيد ، مع انه لم يكن يغفل ذلك ، حين يخاطب

رجلاً ابيض يعتبره نداءً له ، لأن جون هذا كان مهذباً .

وتابع جون كلامه مخاطباً ابي :

« مرني ، يا سيد موري . »

فاجاب أبي : « لا ، اركض الى المكتب وتلفن للسيد هامبتون (كان مدير الشرطة آنذاك) . اخبره بانني أريده ان يقبض على السيد بون بأسرع ما يمكن . »
وراح ابي في اتجاه البوابة .

« رح معه ! » قال جيبى للوستر ، واطاف : « قد يحتاج الى شخص ما يلحق ببون . اغلق البوابة . »
هكذا ذهبنا نحن الثلاثة ، عبر المرصوب الساحة . كنت أهروول لأتمكن من اللحاق بهم ، وذلك للحيلولة دون بون والمسدس و جون بويل . ألم يقل جون نفسه ان لا أحد يفهم لودوس جيداً ؟ كنا جميعاً نعرف ان بون لم يحسن إصابة الهدف ، وإنه اذا اطلق الرصاص على لودوس ، فسوف يخطئه . كان لودوس ايضاً احد سواقينا حتى صباح الثلاثاء الماضي . هذا ما حصل ، حسب رواية بون والسيد بالوت و جون بويل ، بل لودوس نفسه ايضاً : منذ اسبوع او اسبوعين ، وجد لودوس معشوقة جديدة . كانت ابنة (أو زوجة لم نعرف بالضبط) صاحب مزرعة تبعد ستة أميال عن المدينة .

وعندما جاء بون ليتناوب العمل مع السيد بالوت ، كانت الدواب كلها والعربات والسواقون جميعاً هناك ما عدا لودوس . وذهب السيد بالوت الى البيت قائلاً لبون أن يعلمه بعودة لودوس .

هكذا شهد السيد بالوت . وهذه شهادة بون ايضاً . وقد أكد جون بويل قسماً منها (كان والدي قد ذهب الى البيت

قبل ذلك) . ولكن ما كاد السيد بالوت يجتاز الباب الأمامي حتى وصل لودوس من الطريق الخلفية ، وأخبر بون بأن اطار إحدى عجلات عربته ارتخى ، فتوقف عند بيتنا ورأى والدي ، الذي أشار عليه بأن يقود العربة وسط الساقية ، في المرعى ، فينتفخ خشب العجلة ويضغط على الاطار . كما اشار عليه ان يقود البغال الى زربيتنا ويطعمها ، ثم يعود ويخرجها في الصباح . وهذا ما كنا نتوقع ان يصدقه بون ، بينما ينكره جون بويل فوراً ، إذ ان من يعرف الرجلين يدرك ذلك ، كما يدرك ان والدي - مهما كان التدبير الذي يتخذه بشأن العربة في الليل - سيرسل لودوس الى الدواب ليعود بها الى مرابطها في الاسطبل ، حيث 'تنظف وتُعلف جيداً . ولكن هذا ما قال بون انه سمعه ، لذلك لم يجد داعياً لإفلاق عشاء السيد بالوت ، كي ينقل الخبر اليه ، ما دام أبي يعرف مكان البغال والعربة ، وهو الذي يملكها لا السيد بالوت .

أما رواية جون بويل ، التي سردها على مضض ، لانه كان يؤثر ألا يرويها لولا ان بون جعل سكوته (سكوت جون) عن الحقيقة مسألة اخلاقية أهم من ولائه لابنساء جنسه ، فهي انه عندما رأى لودوس يدخل من باب الاسطبل الخلفي ، وهو خالي اليدين ، بينما كان السيد بالوت يخرج من الباب الامامي ، تاركاً المسؤولية لبون ، لم يهتم جون بالاستماع الى ما كان لودوس يقوله ، بل عبر الردهة واجتاز الباحة الى نهايتها .

وكان جون قد بلغ العربية حين عاد لودوس اليها . كان فيها كيس من الطحين ، وجالون من زيت الكاز و (كما قال جون) كيس من روح النعنع . هذا ما حصل تقريباً . فمع ان كلمة جون بشأن الجياد والبغال ، داخل الاسطبل ، لم تكن 'مرد' حتى عند بون ذاته مروراً بالسيد بالوت او أبي ، الا انه كان في هذه القضية لا يملك نفوذاً ، وانما كان مجرد عامل في اسطبل موري بريست . وكان هو ولودوس يعرفان ذلك ، بل لعل لودوس ذكره به . لكنني اشك في الامر ، اذ كان يكفي ان يقول له لودوس عبارة كهذه : « إذا اخبرت موري بريست كيف استعرت هذه العربية وهذه الدواب ، اخبره انا بالشيء الخيِّط في ثيابك ! »

ولا أحسبه قال ذلك ايضاً لأنه ، هو وجون ، كانا يعلمان به كما كانا يعلمان بان لودوس ، لو انتظر ان يخبر جون ابي بما اسماه « استعارة » العربية والدواب ، لما عرف ابي بذلك قط . وكانا يعلمان ايضاً بان جون لو انتظر ان يخبر لودوس (او اي زنجي آخر في الاسطبل او حتى في جفرسون) ابي بامر المسدس ، لما عرف بذلك ايضاً . وهكذا يرجح ألا يكون لودوس قد قال شيئاً ، وان جون اكتفى بكلمة « حسناً » ، ولكن اذا لم تعد البغال إلى مرابطها ، دون قطرة عرق او اثر للسوط ، ودون ان يبدو عليها النعاس ، وذلك قبل مجيء السيد بالوت صباح الغد بساعة كاملة (لا بد انك لاحظت كيف اسقط كلاهما بون من روايته للحادثة : فلا

لودوس قال ان السيد بون يعرف ان هذه البغال لن تعود الليلة - أليس هو المسؤول هنا إلى ان يعود السيد بالوت صباحاً؟ - ولا جون قال ان كل من يصدق الحكاية التي اتيت بها الليلة عن البغال ، ليس جديراً بأية مسؤولية ، ولا اكون مقتنعاً بعد بأن اسمه بون هو جانبك ، فان السيد موري لن يعلم فقط بغياب البغال ، بل سيعلم أيضاً أين كانت .

لكن جون لم يقل ذلك . ومع ان بغال لودوس عادت الى مرابطها قبل الشروق بساعة ، فقد ارسل السيد بالوت في طلب لودوس ، بعد وصوله الى الاسطبل بربع ساعة ، وأخبره بأنه مطرود من العمل . فقال لودوس ان السيد بون علم ببقاء البغال خارج الاسطبل وانه ارسلني لأحضر له زجاجة وسكي ، وذلك حوالي الرابعة هذا الصباح .

وقال له بون : « لم أرسلك إلى أي مكان . » وتابع بون قائلاً : « عندما جاء الى هنا ، البارحة مساء ، بتلك القصة الملفقة ، زاعماً أن البغال في حوش السيد موري لم أصغ إليه . بل لم أهتم بأن أسأله عن مكان العربية والدواب . كل ما قلته هو ان يمر قبل ان يعيد العربية صباحاً ، بمحل « ماك ونبوش » ويأتيني بجالون من وسكي « أنكل كال بوكرايت » . وقد أعطيته المبلغ اللازم - دولارين . »

وقال لودوس : « وأتيتك بالوسكي . لا أعرف ما فعلت

بها . »

فاجاب بون : « أتيتني بنصف زجاجة من سائل معظمه

ماء وقلفل أحمر . لا أعرف ماذا سيفعل بك السيد موري لإبقائك البغال خارج الاسطبل ، لكن هذا لا يقارن بما سيفعله بك كالفن بوكرايت عندما أريه تلك الوسكي ويعلم انك زعمت انها من صنعه . »

وقال لودوس : « ان السيد ونبوش يقيم على بعد ثمانية أميال من المدينة . ولم يكن باستطاعتي الذهاب اليه والعودة قبل منتصف الليل . »

فقال بون : « لهذا إذن احتجت الى العربية . واخيراً انسحبت من جفرسون ، والآن تجوب المنطقة كلها لتجد نافذة خلفية تتسلل منها . حسناً ، ستجد الوقت الكافي الآن . المشكلة الوحيدة هي انك ستضطر للمشي . »

وصاح لودوس بفضاضة :

« قلت لي زجاجة وسكي ، فجلبت لك زجاجة ... »

وقاطعه بون قائلاً : « لم تكن تحوي نصفها . » ثم التفت الى السيد بالوت وقال : « يا للشيطان ، لست مضطراً ان تدفع له راتبه الاسبوعي الآن . » (كان أجر السواقين الاسبوعي دولارين ؛ كان هذا عام ١٩٠٥ ، كما تذكر) « انه مدين لي بثمن الوسكي . ماذا تنتظر ؟ انتتظر مجيء السيد موري ليطرده بنفسه ؟ »

ومع ذلك ، فلو اعتزم السيد بالوت (وابي) طرد لودوس فعلاً لكانا أعطياه أجره الاسبوعي . وكونها لم يفعل ذلك

(ولودوس يعرف ذلك) بدليل ان لودوس كان سيمنح
اجر اسبوع (مع عطة) لابقائه الدواب خارج الاسطبل
طوال الليل ، دون استئذان . كان سيحضر صباح الاثنين
التالي ، في الوقت المحدد ، مع باقي السواقين ويكون جون بويل
قد هيا له الدواب كأن شيئاً لم يحدث . انما كان على القدر -
الاشاعات - التقولات ، ان تتدخل في الامر .
هكذا اسرعنا - وانا اهرول - عابرين الممر باتجاه الساحة .
ولم نكد نبلغ نهاية الممر حتى سمعنا طلقات الرصاص الخمس :
وهاو ، وهاو ، وهاو ، وهاو ، وهاو ، هكذا . ثم وصلنا
الساحة (لم تكن بعيدة : كانت عند المنعطف امام مخزن
ابن العم « اسحاق ماك كاسلن » للخروضات) وصار بإمكاننا
مشاهدة من فيها . كان هنالك جمع كبير . فقد اختار بون
يوماً مناسباً يكثر فيه الشهود . كان السبت الأول من كل شهر ،
حتى في تلك الأيام ، يعتبر يوم البازار ، وخصوصاً في ايار ،
حين تحسب الناس مشغولين في زراعة الارض . الامر لم يكن
كذلك في مقاطعة « يوكناباتوفا » . كانوا هناك جميعاً ،
السود منهم والبيض : كانت إحدى التجمعات تضم السيد
هامبتون (جد الفتى الصغير آنذاك ، الذي صار الآن
عمدة ، او الذي سيصير عمدة في العام التالي) واثنين من
المتفرتجين يتعاركان مع بون . وكان هناك تجمع آخر حول
وكيل عمدة آخر يمسك بلودوس ، على بعد عشرين قدماً ،
وهو لا يزال في الوضعية المتجمدة للركض ، او متجمداً في

وضعية الركض ، او في وضعية الركض المتجمّد . وكان هناك جمهور ثالث خلف نافذة مخزن ابن العم آيك التي اصطدمت بها إحدى رصاصات بون (ولم يُعرف أين ذهبت الرصاصات الا ربع الاخرى) بعد ان اخترقت عجيذة فتاة زنجية ، كانت الآن تتمدد على البلاط ، وتصرخ ، إلى ان خرج ابن العم « آيك » من المخزن وغيب صوتها بجعيده الهائج على بون ، ليس لانه هدم نافذته (وكان ابن العم « آيك » شاباً آنثذ ... افضل رجال الغابات والصيادين الذين عرفتهم المقاطعة) بل لانه لم يستطع ان يصيب هدفاً على بعد عشرين قدماً فقط . وتالت بعد ذلك الاحداث بسرعة اكثر . كان مكتب الدكتور بيبودي في الطرف الآخر من الشارع ، فوق حانوت « كريستيان » للأدوية . وكان السيد هامبتون يحمل مسدس جون بويل ويتقدم الجمع ، يتبعه لوستر وزنجي آخر يحمل الفتاة التي كانت ما تزال تصرخ وتنزف مثل خنزير مطعون ، على طول الدرج ، يتبعهم ابي ومعه بون ، ثم انا ووكيل العمدة ولودوس واكبر جمهور يتسع له الدرج ، الى ان توقف السيد هامبتون والتفت وصاح بهم . كان مكتب القاضي ستيفنس قريباً من عيادة الدكتور بيبودي الذي كان يقف على رأس السلم حين صعدنا . وهكذا دخلنا - اعني والدي وانا وبون ولودوس ووكيل العمدة - لنتنظر عودة السيد هامبتون من مكتب الدكتور بيبودي . ولم يستغرق ذلك طويلاً .

وقال السيد هامبتون : لا بأس . لم تكذب تخدشها الرصاصة .
 اشتر لها فستاناً جديداً (لم تكن تلبس شيئاً تحت فستانها)
 وكيساً من الملابس ، واعط اباه عشرة دولارات ، فيسوتي
 هذا حساب بون معها . اما حسابي انا معه فلم اقرره بعد .
 ثم نفخ هامبتون في وجه بون لحظة - كان رجلاً ضخماً ،
 له عينان رماديتان صغيرتان ، وجسم ضخم كجسم بون ، دون
 ان يكون له طول - وقال له حسناً !
 وقال بون : « شتني . واخبر صن توماس انني صغير
 العجيزة وابن ساقطة . »
 فنظر السيد هامبتون الى لودوس وقال له « ما جوابك؟ »
 فقال لودوس : « لم اقل ابداً إنه صغير العجيزة . بل قلت
 انه صغير العقل . »
 وصرخ بون قائلاً : « ماذا ؟ »
 وقال القاضي ستيفنس : « هذا أسوأ . »
 وقال بون : « طبعاً اسوأ . الا ترى ؟ لم يكن لي خيار .
 فكيف لي ، انا الرجل الأبيض ، ان اقف ساكناً وأدع بفعلات
 زنجياً لعيناً ينتقدني ، أو يقول امام خمسة من الشهود انني بلا
 عقل . ألا ترى ؟ انك لا تستطيع استرجاع شيء ، أي شيء .
 لا يمكنك حتى إصلاحه ، لأنه ليس هناك ما يصلح . »
 واوشك بون ان يبكي . وتلوت تقاطيع وجهه الضخم
 المحمر ، القاسي الذي يشبه الجوز ، واعتصرت كوجه طفل .
 ثم تابع قائلاً : « لو انني حصلت الآن على مسدس آخر

وصوبته على صن توماس ، لاخطاته ايضاً . ،
 فنهض أبي فجأة وبسرعة ، وكان الجالس الوحيد . حتى
 القاضي ستيفنس كان واقفاً ينتفض في الغرفة قبالة المدفأة ويدها
 تحت ذيل معطفه كما لو كان الوقت شتاء ، والنار تشتعل في
 المدفأة . وقال ابي : « يجب ان اعود الى العمل . ماذا
 يقول المثل القديم عن العمال البليدين ؟ ثم اضاف ،
 دون ان يوجه الكلام الى احد : اريد ان يوضع بون وهذا
 الغلام تحت كفالة مالية ، استتباً بالامن . لنقل مئة دولار عن
 كل منهما . انا اكفلها بشرط ان احصل منهما على كفالتين
 متبادلتين تتفق عليهما ويستحق دفعهما حين يرتكب أي منهما
 اي ذنب لا .. أ .. ، فأسعفه القاضي ستيفنس قائلاً : « ...
 لا يرضيك ! »

وقال له أبي : « اشكرك . » ثم اضاف متسائلاً : « لا
 ادري إن كان هذا قانونياً ام لا . »
 فقال القاضي : « انا ايضاً لا ادري . يمكننا ان نجرب . واذا
 لم يكن شيئاً كهذا قانونياً ، وجب أن يكون كذلك . »
 وقال له أبي : « اشكرك . » واتجهنا أنا وبون وأبي نحو
 الباب .

وقال لودوس : يمكنني ان اعود الآن ، فلا انتظر حتى
 يوم الاثنين ، إن كنت تحتاج إلي . ،
 فأجابه ابي : « كلا . »
 وهبطنا الدرج - أنا وأبي وبون ، نحو الشارع . جرى

هذا كله يوم السبت ، يوم البازار . لكن كان كل شيء قد انتهى . اعني الى ان يجد شخص آخر يدعى بون هوجانبيك مسدسا آخر . ومشينا في الشارع نحو الاسطبل - انا وابي وبون . كان صوت بون يمر الآن فوق رأسي صوب ظهر ابي قائلاً :

« إذا كنت سأفي المئتي دولار بمعدل دولار في الاسبوع ، فذلك يستغرق سنة وثمانية وأربعين اسبوعاً . وسيبلغ التعويض عن نافذة « آيك » عشرة دولارات ، او خمسة عشر دولاراً ، كما اظن ، بالاضافة الى ما سأتحملة عن تلك الفتاة التي جاءت صدفة في الطريق ، قل : سنتين وثلاثة اشهر . معي الآن حوالي اربعين دولاراً . اذا اعطيتك هذا المبلغ نقداً ، هل تتركني انا ولودوس وصن توماس في احد الاصطبلات وتقفل الباب علينا عشر دقائق ؟ »

وقال ابي : « كلا . »

الفصل الثالث

كان ذلك يوم السبت . وعاد لودوس الى العمل صباح الاثنين . ويوم الجمعة التالي مات جدي - الجد الآخر ، والد أمي ، جد جدك - مات في خليج سان لويس .
بون لم يكن ملكاً لنا - أعني ليس لنا وحدنا ، نحن آل بريست ، أو بالأحرى آل ماك كاسلين وآل ادموندس الذين ينحدر منهم آل بريست . كان لبون مالكون ثلاثة . ليس فقط نحن الذين يمثلنا جدي ووالدي وابن العم آيك ماك كاسلين وابن عمنا الآخر زا كاري ادموندس ، الذي تنازل ابن العم آيك في عيد ميلاده الحادي والعشرين لوالد زا كاري ماك كاسلين ادموندس ، عن مزرعة ماك كاسلين - بل ايضاً الميجر دي سبين والجنرال كومبسون ، الى يوم وفاته . كان بون مؤسس شركة مساهمة يملك فيها ثلاثتنا - ماك

كاسلين ودي سبين والجنرال كومبسون - حصصا متساوية .
 لكن المسؤولية المترتبة على كل من هذه الحصص لم تكن محددة .
 والنظام الوحيد الذي كان يعمل به في هذه الشراكة هو أن
 يهب للدفاع عن بون من كان اكثر قربا من المشكلة التي احدثها ،
 أو المخالفة التي ارتكبها او تحمل مسؤوليتها . كان بون
 جمعية احسان ذات فوائد للحماية ، حيث الفوائد من نصيب
 بون ، بينما المشاركة والإحسان من نصيبنا نحن .

كانت جدته ابنة احد زعماء قبيلة تشيكاسو الهندية .
 وقد تزوجت تاجر وسكي من البيض ، فكان بون يعلن أحيانا
 ان دم التشيكاسو الملكي يجري في عروقه بنسبة تسعة وتسعين
 في المئة - أو حسب حجم الكأس . وليس هذا فقط ، بل
 كان يعلن أنه سليل « إيسيتيببها » نفسه ، وأنه سيقاتل كل
 من يجرؤ على ان يلمح الى ان في عروقه قطرة واحدة من
 الدم الهندي .

كان قويا ، امينا ، شجاعا . ولكن لا يركن اليه ابدأ .
 كان طوله ست أقدام وأربع بوصات ويزن مئتين وأربعين
 رطلا انكليزيا ، وله عقل طفل . منذ سنة ، كان أبي قد بدأ
 يقول إنني سأخطاه عقليا في أية لحظة .

ومع انه كان ظاهرة بيولوجية مكتملة من لحم ودم ،
 باستثناء لحظات السكر التي كان يتحرق فيها لقتال اي رجل
 او أية جماعة دفاعا عن حقوق الاجداد ، او ضدهم ، حسبها

يكون تأثير الخمر عليه) ، فلا بد انه امضى سنواته التسع او العشر الاولى ، في مكان ما . إذ كان يبدو كما لو انه خلق مكتملا ، اوله من العمر تسع او عشر او احدى عشرة سنة ، فيتجه بواسطتنا نحن الفرقاء الثلاثة - ماك كاسلين ودي سبين وكومبسون - كحل لورطة حصلت في مخيم صيد الميجر دي سبين .

انه الخيم نفسه الذي بقينا نسميه مخيم ماك كاسلين ، بضع سنوات اخرى بعد موت ابن العم « آيك » ، تماما كما بقينا - نحن آباءك - نسميه مخيم دي سبين بعد موت الميجر دي سبين بسنوات . ولكن عندما اشترى الميجر دي سبين ، في ايام ابي ، الارض او استعارها أو استأجرها (او كما كان الناس يفعلون ليكتسبوا صكوك التملك الشرعية في الميسيسيبي بين عامي ١٨٦٥ و ١٨٧٠) وبنى الكوخ والاسطبلات وأكواخ الكلاب ، كان الخيم نخيمه : هو الذي اختار الرجال الذين اعتبرهم جديرين بصيد الحيوانات التي كتب لها ان تصطاد . وهكذا لم يكن يملك الصيادين وحسب ، بل مكان الصيد والطريدة ايضا : الدببة والغزلان والذئاب والفهود التي كانت ترتادها على بعد اقل من عشرين ميلا عن جفرسون . وهي القطاعات الاربعة او الخمسة من ادغال حوض النهر التي كانت جزءاً من حلم توماس ستين بالملكة الشاسعة - الحلم الذي لم يتبدد وحسب بل دمر معه ستين أيضا - الادغال التي كانت في تلك الايام بمثابة بوابة شرقية الى المستنقعات والغابات العذراء التي

كانت تمتد غربا من التلال حتى المـدـن والمزارع على طول
الميسيسيبي .

كان يبعد عشرين ميلا اذن . وكان آباؤنا يغادرون
جفرسون بالعربات في منتصف ليل الخامس عشر من تشرين
الثاني (كانت تُقطع على الجياد بسرعة أكثر) ويبلغون موقع
غزال أو دب مع الفجر . ولم تكن البراري ، حتى عام ١٩٠٥ ،
قد تراجعت أكثر من عشرين ميلا آخر ، فكان على العربات
المحملة بالبنادق والطعام والفُرش أن تتحرك مع غروب الشمس ؛
وكانت شركة قطع أخشابٍ شمالية قد مدت آنذاك خطا
حديديا ضيقا لشحن الاخشاب ، يتصل بالخط الرئيسي ، ماراً
على بعد ميل من نخم الميجر دي سبين الجديد ، حيث أُعدّ
موقف غير رسمي لانزال الميجر وضيوفه ، وحيث تنتظرهم
عربات كانت قد تحركت في اليوم السابق . وكان بوسعنا
أن نرى نهاية هذه الحقبة بحلول عام ١٩٢٤ .
وكان الميجر دي سبين وبقية الفوج القديم قد ذهبوا
ما عدا ابن العم آيك وبون (كانت الطريق قد رُصفت
بالحصى من جفرسون إلى محطة دي سبين) فصار بإمكان
ورثتهم ان يوقفوا سياراتهم عندما يسمعون اصوات الفؤوس
والمناشير حيث لم تكن تُسمع ، قبل سنة ، غير اصوات كلاب
الصيد . ولأن مانفريد دي سبين كان حرافا لا صيادا كما به
فقد باع الارض ، والاششاب . وفي عام ١٩٤٠ (وكان قد
اصبح يدعي نخم ماك كاسلين) كان عليهم - علينا ، أن نحمل

كل شيء في شاحنات بيك أب . ونمضي مسافة مئتي ميل على
طرق معبدة حتى نصل الى بركة ننصب فيها الخيام . ومع
ذلك ، كان على السيارة ان تصبح وسيلة عقيمة للوصول
الى البراري . لكن ربما انهم سيجدون - أو ستجدون -
البراري في الوجه الثاني للمريخ أو للقمر ، وفيها دابة
وغزلان !

ولكن عندما وصل بون الى المخيم ذات يوم بكامل عدته
وعمره عشر سنوات او احدى عشرة او اثنتا عشرة ، لم
لم يكن امام الميجر دي سين والجنرال كومبسون وماك كاسلين
ادموندس والتر واويل وبوب ليجيت والستة الآخرين
سوى عشرين ميلاً يمتازونها . وعلى الرغم من ان الجنرال
كومبسون كان قد قاد الجنود في ستلوه ، برتبة كولونيل ، دونما
فشل كبير ، وقادهم ثانية ، كجنرال دونما فشل كبير ايضاً ، اثناء تفهقر
جونسون في اتلنتا ، الا انه كان قليل الخبرة بمعرفة الارض وما
يتعلق بالطوبوغرافيا ، الى درجة انه كان يضل طريقه بعد مغادرة
المخيم بعشر دقائق (كان يجب ان تتوفر في البغال التي يختارها
القدرة على إعادته الى المخيم في اية لحظة ، وذلك حين بلغ به
الانهيار حداً جعله يقبل باستشارة بغلة) . هكذا كانت حالهم .
وعندما كان يعود آخر صياد منهم ، يعمدون الى نفخ البوق
بالمناوبة ، الى أن يصل الجنرال كومبسون . كان هذا التدبير
كافياً الى ان بدأ سمعُ الجنرال يضعف بدوره وجاء يوم اضطر
فيه والتر اويل وسام الذي كان نصف زنجي ونصف هندي

من قبيلة تشيكاسو ، الى تعقّب أثره ، وخيما معه في الغاب طوال الليل . وهكذا خيّر الجنرال بين أن يمتنع عن مغادرة المخيم أو أن يُطرد من النادي . حينذاك ظهر بون هوجانبيك . كان عملاقا وهو في العاشرة او الحادية عشرة من عمره ، وأضحخ من الجنرال كوميسون الذي استقبله كاللقيا . وبدا بون كأنه لا يعرف غير اسمه ، ولا يملك غيره . حتى ابن العم آيك لم يكن متأكداً ممن يكون قد عثر على بون أولاً ، ماك كاسلين ادموند أو الميجر دي سبين ، حين اطلق صاحبه سراحه . كل ما كان يعرفه آيك - أو يذكره - هو أن بون كان هناك ، في الثانية عشرة من العمر تقريبا ، خارج بيت ماك كاسلين ، حيث كان ماك كاسلين ادموند يربي آيك وكأنه أبوه ، فتعهد بون أيضاً وكأنه أبوه ، مع أن ماك كاسلين ادموند نفسه لم يكن قد تجاوز الثلاثين .

على أية حال ، عندما أدرك الميجر دي سبين انه سيفضطر إما إلى طرد الجنرال كوميسون من النادي ، وهو أمر صعب ، أو الى منعه من مغادرة المخيم ، وهذا مستحيل ، كما ادرك انه كان عليه أن يزوده بفتى على شاكله بون هوجانبيك ، عند ذلك ظهر بون هوجانبيك الذي قدّمه ماك كاسلين ادموند أو - ادموند ودي سبين معاً - . وفي وسع آيك ان يتذكر هذا المشهد ، أعني تحميل أسرة الخيمات والبنادق والزاد في العربة ، يوم الرابع عشر من تشرين الثاني ، مع تنيزجم (جد بوبوشامب الذي سيأتي ذكره قريباً) وسام وبون . كان آيك

آنذاك في الخامسة أو السادسة من عمره وماك كاسلين نفسه .
وكان ماك هذا يعتلي حصاناً ويقف في الطبيعة ، وهم في طريقهم
الى المخيم حيث كانت مهمة بون أن يتبع الجنرال كومبسون ،
كل صباح ، على بغلة ثانية ليعيده الى الاتجاه الصحيح ، في
الوقت المناسب ، فيصلا الى المخيم قبل حلول الظلام .

هكذا جعل الجنرال كومبسون من بون رجل أدغال غصباً
عنه . ومع انه كان يجلس الى مائدة واحدة مع والتر ايويل ،
ويستكشف معه الغابة نفسها ، وينامان معاً تحت المطر نفسه ،
فان ذلك لم يجعل بون ماهراً في اطلاق الرصاص . ويروي
والتر ايويل عن هذا الموضوع حكايات طريفة . منها انه ترك
بون مرةً عند كمين لصيد الغزلان (كان الجنرال كومبسون
قد ذهب أخيراً الى أبيه ، أو الى نادي المحاربين القدامى ،
ولعلمهم قد أصروا على الذهاب اليه ، لأنهم لم يجدوا مكاناً آخر
يناسبهم للاقامة الدائمة - وكان بون قد أصبح بصطاد كغيره
بانتظام) وعندما سمع ايويل اصوات الكلاب ، عرف أن
الغزال سيمر قرب كمين بون . ثم لم يلبث ان سمع اصوات
خمس طلقات من بندقية بون العتيقة (كان الجنرال كومبسون
قد اوصى له بها ، ولم تكن أحسن حالاً حين كانت في حوزة
كومبسون ، مما حمل والتر على الاستغراب كيف انطلقت
البندقية مرتين دون ان تتعطل ، فكيف بالخمسة طلقات) . وتبع
الطلقات صوت بون يخترق الأدغال قائلاً : « يا للشيطان !
نزل ! الحقوه ! الحقوه ! » فأسرع والتر باتجاه كمين بون

ووجد الخراطوشات الخمس المفرغة على الارض ، وهي لا تبعد
اكثر من عشر خطوات عن آثار الغزال الذي مر ، لكن دون
أن تمسه .

حينئذ اشترى جدي تلك السيارة ووجد بون رفيقة
روحه . في هذه الفترة كان قد اصبح رسمياً (بموافقة ماك
كاسلين وادموند وبريست معاً) من خدم اسطبلنا العمومي .
كانت معظم الاعمال ، في تلك الايام ، اعمالاً إضافية ،
كإطعام الدواب وتنظيف السروج والعربات ... ولكن كان
لبون طريقة خاصة مع الجياد والبغال ، وسرعان ما اصبح
سائقاً منتظماً لعربات الأجرة - التي تلاقي قطارات النهار ،
وعربات الجر ، وعربات الركوب ، والشاحنات الصغيرة .
وكان الآن قد اصبح يعيش في المدينة ، إلا عندما يتغيب
ماك كاسلين وزا كاري في الليل معاً ، فيضطر للنوم في البيت
ليحرس النساء والاولاد . اعني كان يعيش في « جفرسون » .
اعني ، كان له بيت - غرفة مفردة في فندق كان يدعى في
أيام جدي فندق كوميرشال الذي أنشئ على أمل ان ينافس
فندق هولستون هاوس ولم يبلغ يوماً مستواه . ولكن كان في
ايامى فندق ناجح ينزل فيه المحلفون ويأكلون خلال فترات
انعقاد المحاكم ، وحيث كان اصحاب الدعوى وتجسروا جيادهم
والبغال يشعرون بحرية اكثر مما لو كانوا بين السجاد والمباصق
النحاسية ، والمقاعد الجلدية ، ومفارش الكتان . كان ذلك
فندق سنوبس . ففي تلك الايام بدأ فايم سنوبس ينقل عشيرته

من البرية الواقعة خلف منعطف الفرنسي الى البلدة . وقد قتل
هـذا الثري منذ عشر سنوات او اثنتي عشرة بيد قريب له
مجنون ، كان يظن ان ابن عمه لم يرسله الى الاصلاحية للعلاج
بل للتخلص منه . ثم استأجرتـه سيدة نحاسية الشعر لمدة
قصيرة وذلك حوالي عام ١٩٣٥ . كانت قد أتت فجأة من مكان
ما ثم رجعت بسرعة ولم تطل اقامتها . وقد عرفت لدى ابيك
ولدى الشرطة باسم ليتل شيكاغو . اما فندق كوميرشال هذا
فهو الذي تعرفه أنت باسم بنسيون السيدة راونسويل . لكنه
كان ما يزال في ايام بون يدعى فندق كوميرشال . وبعد ان
كان بون ينام على الارض في مطبخ بيت كومبسون او ادموند
! و بريست ، صار ينام في الفندق عندما اشترى جدي
السيارة .

لم يكن جدي يريد شراء سيارة . لكنه أُجبر على ذلك .
كان صرافاً ، ورئيس أقدم بنك في جفرسون ، اي أول
بنك في مقاطعة يوكناباتاوا . وقد ظل يعتقد حتى مات
- بعكس سواه في المقاطعة - بأن السيارة ظاهرة ستزول
مع شروق شمس اليوم التالي مثل الخطر الذي بلا جذور .
غير ان الكولونيل سارتوريس ، رئيس البنك الجديد ،
أجبره على شراء واحدة . أو بالأحرى ، أجبره رجل قصير
النظر ، ميكانيكي ساحر يدعى بوفالو . ولم تكن سيارة جدي
أول سيارة في جفرسون . وأضرب صفحاً عن ذكر سيارة
مانفريد دي سبين الحمراء . مع أن دي سبين كان يقودها

يوميًا في شوارع جفرسون منذ سنوات ، إذ لم يكن لها مكان
في ذلك الوسط أكثر مما كان لما نغيريد نفسه . كان كلاهما عازباً ،
وعلى هامش حياة المدينة ، لا يصلحان لشيء ، حتى عندما كان
مانغيريد محافظ جفرسون . بل إن لون تلك السيارة القرمزي
لم يكن موضع احتقار المدينة بقدر ما كان موضع إنكار مبهم .
لم تكن سيارة جدتي أول سيارة رأتها جفرسون ، والعكس
صحيح . بل لم تكن أول سيارة سكنت جفرسون . فقبل سنتين كانت
إحدى السيارات قد قطعت الطريق كلها من ممفيس ، مجتازة
مسافة ثمانين ميلاً في أقل من ثلاثة أيام . ثم هطل المطر وبقيت
السيارة في جفرسون مدة أسبوعين ، في وقت قطعت فيه
الكهرباء عن المدينة . فكما كان الأسطبل العمومي يعتمد كلياً
على بون ، وبدونه تتوقف النقلات العامة ، كذلك كان السيد
بوفالو الرجل الوحيد - من هنا إلى « ممفيس » - الذي يقدر
أن يبقى المحرك البخاري لمعمل الكهرباء دائراً ، ومنذ أن
تبين أن السيارة لن تتجاوز المكان الذي بلغته ، على الأقل
فلك اليوم ، أصبح السيد بوفالو وبون لا يفارقانها ، مثل ظلي ،
ظل كبير وظل صغير - العملاق الذي تفوح منه رائحة
الذئب وزيت السروج ، والرجل الضئيل الذي تلونه بقع
الشحم والهباب ، بعينيه اللتين تشبهان ريشتي طائر أرنجبين
سقطتا فوق كتلة صغيرة من الفحم ، لا يكاد وزنها يبلغ ستة
رطل انكليزي ، مع ما في جيوبه من أدوات ظل ساكن
يحدث فيها مثل ثور جامد ، والآخر يحلم بها ، بلطف ، وحنو ،

تمتد يده القائمة وتلمسها بعدوبة يد امرأة ، تداعبها ، تربت عليها ، ثم في اللحظة التالية يقوص حتى ردفه خلف غطاءها الأمامي .

أمطرت السماء طوال ذلك الليل . وفي الصباح التالي كانت ما تزال تمطر . وأخبر صاحب السيارة - ربما أخبره السيد بوفالو وأكد له كما يبدو - بأن الطرقات لن تكون سالكة قبل اسبوع أو عشرة أيام على الأقل ؛ وهو شيء غريب ، لأن أحداً لم يره يبتعد عن معمل الكهرباء أو المخزن الصغير في ساحة بيته الخلفية ، ولم يعرف عنه انه مشى على الطرق ما يكفي كي يتنبأ بحالتها. هكذا عاد صاحب السيارة الى ممفيس بالقطار ، تاركاً السيارة تحت الحفظ ، في ساحة بيت بوفالو دون غيره . ولم نستطع أن نتصور هذا: كيف استطاع السيد بوفالو الرقيق الوديع ، الغامض الكلام ، المنقطع عن العالم باستمرار ، الذي يغطيه شحم المعمل ، الرجل الذاهل الذي يبدو كمن يمشي في نومه - كيف استطاع ، وبأية وسائل ، بأي تأثير مغنطيسي ، بأية موهبة لديه كانت مجهولة ، استطاع أن يقنع الرجل الغريب بأن يترك لعبته الثمينة في حوزته .

لكنه اقتنع ، وعاد الى ممفيس . والآن عندما يطرأ عطل على الكهرباء في جفرسون ، يضطر شخص ما للذهاب سيراً على الاقدام ، أو على الحصان أو الدراجة ، الى بيت السيد بوفالو في طرف البلدة ، إذ ذاك يظهر عند زاوية بيته من الساحة الخلفية زائغاً ، حاملاً ، دونما استعجال ، وهو ما يزال

يمسح يديه . وفي اليوم الثالث اكتشف والذي أخيراً أين يكون بون (أو أين كان) خلال الوقت الذي يجب ان يكون في الاسطبل . ولكن بون نفسه كشف السر آنذاك ، حين أذاع الخبر بسرعة محومة ثائرة . كان قد اشتبك مع السيد بوفالو بمركة جسدية ، حين شهر السيد بوفالو - ذلك المعين الذي لا ينضب ، كما بدا ، من المفاجآت والمؤهلات - على بون مسدساً حقيقياً ، لا يبدأ ملطخة بالشحم والهباب .

هكذا روى بون الخبر . كانا - هو والسيد بوفالو - على وفاق تام ، وتفاهم فوري فيما يتعلق بترك السيارة بين يدي السيد بوفالو أثناء غياب صاحبها ، إذ تصور بون ان السيد بوفالو سيحل لغز تسييرها حالاً فيمكنها ان يتسلا بها في الظلام . لكن ما صدم بون وأثاره ، هو ان كل ما أراد السيد بوفالو ان يعرفه هو لماذا تسير . وقال بون في ذلك : « لقد خربها ... فككها قطعاً ، قطعاً ، ليرى ما بداخلها . لن يعيدها كما كانت عليه أبداً ! »

لكن بوفالو أعادها . ووقف هادئاً ملطخاً بالشحوم حالماً بلطف ، عندما عاد صاحب السيارة قبل اسبوعين وأدارها ومضى بها . وبعد ذلك بسنة كان بوفالو قد صنع سيارته الخاصة ، بتركيب محرك ، وأجهزة سرعة وكل شيء ، في عجلة ذات إطارات من المطاط . ومضت بعد ظهر ذلك اليوم وهي تقعقع برصانة ، واجتازت مساحة المدينة دون ان تسرع ، فأجفلت جياذ عربة الكولونيل سارتوريس المشابهة لها وجمعت

ساحبة العربة التي كانت فارغة لحسن الحظ فحطمتها تقريبا .
وفي الليلة التالية دُون في سجلات جفرسون قانون ضد اي
حادث تسببه عربة ميكانيكية ضمن حدود البلدة .

هكذا أرغم جدي على شراء سيارة وهو رئيس اقدم
وأكبر بنك في مقاطعة يوكنا باتاوقا ، والا خضع لسلطة رئيس
بنك اصغر . اتفهم ما أعني ؟ ليس اكبر او اصغر ، من حيث المكانة
الاجتماعية ولا تنافس ايضا ، بل اصحاب بنوك اشبهما يكونون
برهبان كرسوا انفسهم لخدمة اسرار المال الخفية ، التي يستحيل
النفاز اليها . وبالرغم من تشدد جدي ومقاومته التي لا تلين ،
ورفضه الاعتراف بعصر الآلة ، فقد تسامح نوعاً ما بسبب
ما يشبه كابوساً رؤياوياً عن مستقبل بلادنا العظيم الذي لا يجد
والذي ستكون وحدة اقتصاده الاساسية كتلة صغيرة مكعبة
لها اربع عجلات ومحرك .

وهكذا اشترى السيارة . ووجد بون فيها عروس
أحلامه ، او الحب الأول لقلبه الساذج البريء . كانت من
مشاركة ونتون فلاير . (هذه كانت السيارة الأولى التي
اقتنيهاها ، قبل الوايت ستيمر التي اشتراها جدي بعد سنتين
عندما اعلنت جدتي انها لم تعد تطيق رائحة البنزين .) وكان
بإمكانك ان تدير محركها باليد من الأمام ، فلا تجازف بأكثر
من كسر عظمة او عظمتين في ساعدك . كانت لها مصابيح على
الغاز للسياسة في الليل ، وعندما كان المطر على وشك السقوط
استطاع خمسة او ستة اشخاص ان يضعوا الغطاء فوقها وينزلوا

الستائر في عشر دقائق او خمس عشرة . كان جدي هو الذي
 جهزها بفانوس على الكاز ، وفأس جديدة وكتلة صغيرة من
 الاسلاك الشائكة المربوطة إلى بكرة ، للسفر الى خارج حدود
 المدينة . بهذه المعدات كانت تستطيع الذهاب الى ابعد من
 ممفيس . وقد فعلت مرة كما سيجيئك الكلام . وكان لنا
 جميعاً - الجددين والأبوين ، والعامت وابنساء العم والاولاد -
 لباس خاص لركوبها يتألف من وشاح وقبعة ونظارتين وقفازين
 وثوب بلا شكل ولا لون مقفل عند العنق يدعى مشلح الغبار
 الذي سأتكلم عنه فيما بعد .

في تلك الأثناء كان السيد بوفالو قد علمتم بون قيادة
 سيارته التي صنعها بيده ، منذ مدة طويلة . لم يكن باستطاعتها
 السير في شوارع جفرسون ، بل انهما ، في الحقيقة ، لم يعودا
 يتخطيان بها حدرود بوابة السيد بوفالو الامامية . فقد كانت
 هناك مساحة من الأرض المكشوفة خلف البيت عتدها بون
 والسيد بوفالو فصارت سهلا يصلح حلبة للقيادة . وهكذا ، فحين
 ذهب بون والسيد واردين ، امين صندوق بنك جدي (كان
 عازبا ، وواحداً من اشهر رجال بلدتسا . ففي مدى عشر
 سنوات ، وقف اشبيناً في ثلاثة عشر عرساً) إلى ممفيس
 بالقطار وجلبا السيارة (في أقل من يومين هذه المرة ، كاسين
 الرقم القياسي) كان بون قد اصبح نقيب سواقى السيارات
 في جفرسون ا

ثم ألقى جدي تلك السيارة ، مخيباً حام بون . فقد

اشتراها ، دافعاً ما سمّاه « بون » كمية ضخمة من النقد ثناً لها ، وتفترس فيها مرة ، ثم منعها من التجول . كان - أي جدي - عاجزاً عن تنفيذ قراره هذا تنفيذاً كاملاً ، بسبب الأمر المتعجرف الذي كان قد أصدره الكولونيل سارتوريس ، والذي لم يسمح جدي - وهو الأكبر منه سناً - ان يبقيه مرعي الاجراء ، مهما يكن رأيه الخاص بالعربات الآلية . والحقيقة ان هذا الرأي كان هو نفسه رأي الكولونيل سارتوريس . وحتى يوم وفاتها (حين اصبح هواء مقاطعة يوكناباتا وفا كلها مشبعاً بروائح البنزين ، وكانت لياليها لا سيما ايام السبت ، تضج باصوات الاصطدامات وزعيق الفرامل) لم يقرض أحد منها فلساً لأي شخص اشتببه بأنه سيشتري به سيارة . كانت جريمة الكولونيل سارتوريس أنه أخذ المبادرة من يتقدمه سناً ، في موضوع يوافق عليه كلاهما - وهو اقضاء السيارات عن جفرسون ، حتى قبل أن تصل اليها . أرأيت ؟ لقد اشترى جدي السيارة لا تحدياً لقرار الكولونيل سارتوريس ، بل لنقضه عامداً متعمداً .

وحتى قبل قانون سارتوريس هذا ، كان جدي قد نقل العربة والجياد من ساحة البيت الخلفية الى الاسطبل العمومي ، حيث تتمكن جدي من طلبها تلفونياً بسهولة اكثر مما لو نادى بأعلى صوتها من النافذة الخلفية للطابق الثاني ، لأنهم كانوا ، في الاسطبل ، يجيبون على التلفون دائماً ، بعكس « ند » الذي لم يكن يجيب دائماً ، أكان في المطبخ أو الاسطبل ، أو حيناً

يفترض ان يكون عندما تناديه جدتي . وفي الحقيقة كان غالباً ما يوجد في مكان ما على مرمى الصوت ، لأن احدي نساء البيت كانت زوجته . وعلى ذكر نند اقول انه كان حوذي جدي ، وكانت زوجته آنذاك (تزوج أربع مرات) « دلفين » طاهية جدتي . وكانت امي تناديه بالعم نند ، وتلح علينا ، نحن الأولاد (على ثلاثة منا، لأن آل الكسندر لم يكن بعد قادراً على نداء أحد بأي اسم) ان نناديه كذلك . ولم يحرص سواها على هذا الامر ، حتى جدي ، الذي كان هو أيضاً من عائلة ماك كاسلين ، ولا نند نفسه ، حقاً ، وهو الذي لم يستحق هذا الاسم ، بالرغم من انه عاش طويلاً حتى بدأ يشيب شعره على حدود رأسه الاصلح ، ولا اقول يبيض ، اذ انه لم يبيض قط ، ولا شاب بالفعل ، حين مات في الرابعة والسبعين من العمر ، دون ان يتغير فيه اي شيء ، ما عدا انه احتمل اربع زيجات متتالية . ولعله لم يشأ ان يدعى بـ « العم » نند ، مع انه من عائلة ماك كاسلين ، وقد ولد في الساحة الخلفية لبيت ماك كاسلين عام ١٨٦٠ . كان ركيزة عائلتنا .

ورثناه بدورنا ، مع حكايته (التي لم يكن لها ما يدعمها أكثر من نند نفسه) بأن أمه كانت ابنة غير شرعية للوشيووس كوينتوس كارو ودرس نفسه من جارية زنجية . ولم يتزوج نند أحداً منا ينسى انه ، كابن العم ايزاك ، حفيد لانكاستر الحقيقي ، بينما لم نكن نحن ، آل ادموندس وبريست - بل حتى أنا وأنت

وجدي الذين نحمل اسمه - لم نكن سوى أقرباء بعميدي
الصلة به .

وهكذا فعندما وصل بون والسيد واردوين بالسيارة ،
كان الكراج مهياً لها ، وقد جدت ارضه وبابه ، ووضع له
قفل جديد حمله جدي بيده وهو يدور حول السيارة ببطء
محدقاً فيها وكأنه يفحص محراثاً او حصادة او عربة (او
زبوناً ايضاً) يعرض صاحبها رهناً بقاء قرض من المال . ثم
أشار الى بون ان يقودها الى داخل الكراج (أوه ، نعم ،
كنا آنذاك نعرف ان بيت السيارة يدعى هكذا ، حتى في
عام ١٩٠٤ ، وحتى في مسيسيبي) .

وقال بون :

« الا تنوي ان تجربها قليلا ، على الاقل ؟ »

« كلا ، » أجاب جدي . فقادها بون الى الكراج وخرج
منه وحده . كانت الدهشة تغمر وجهه اولاً ، ولكن بدت
عليه فيما بعد آثار الرعدة والرعب . وقال جدي لبون :

« هل لها مفتاح ؟ »

« ماذا ؟ »

« مقبض ، زر ، شنكل . شيء تدار به ؟ »

ومدّ « بون » يده الى جيبه ببطء واخرج شيئاً وضعه في
يد جدي . « اغلق الابواب » ، قال جدي ، ومشى وادخل
القفل الجديد بنفسه واداره ووضع المفتاح في جيبه . وفي تلك
اللحظة كان بون يخوض معركة مع نفسه . كان يجتاز أزمة .

كانت القضية يائسة . وراقبناه - أنا ، والسيد واردوين ،
وجدي ، وند ، ودلفين ، وكل شخص أبيض أو أسود كان
يعبر الطريق ، عندما وصلت السيارة - وهو يربحها او ، على
الاقبل ، يربح بدايتها . وقال :

« سأعود بعد الغداء ، فتستطيع السيدة سارة (وهي
جدي) أن تجربها - حوالي الواحدة . أستطيع أن أبكر
إذا كان ذلك الوقت متأخراً . »

فاجاب جدي : « سأرسل خيراً الى الاسطبل . »

ذلك ان العملية كانت مهمة ، لا مجرد تسلية .
كانت معركة حياة او موت ، فاستعد لها كما تستعد الجيوش
عند دخول المعارك فتهتم بامور التموين ونوع أرض
المعركة ، وتأخذ بعين الاعتبار الاساليب الماكرة في
الهجوم وتفاديه ، وفي طبيعة ذلك كله ، الصبر وبعد النظر .
استمر ذلك طوال الأيام الثلاثة الباقية حتى يوم السبت . وعاد
بون الى الاسطبل العمومي . وبعد ظهر ذلك اليوم لم يبتعد
بون كثيراً عن الهاتف ، رغم أنه تظاهر بعدم الاكتراث ،
حتى انه قام بعمله ، أو هكذا ظنوا ، الى ان اكتشف والدي
ان بون قد كلف لوستر من تلقاء نفسه أن يأخذ العربة وينتظر
قطار بعد الظهر الذي يصل لحظة انصراف جدي من عمله .
وعلى الرغم من ان المعركة كانت ما تزال دائرة تتطلب
- بل تفرض - الانتباه الدائم والتحفز ، بدلاً من أن تمضي
بقوة الاستمرار ، فقد كان بون لا يزال واثقاً من نفسه وكان

يقول : « بالطبع أرسلت لوستر . هذه المدينة تنمو على نحو سنحتاج معه ، عما قريب ، الى عربتين لملاقاة القطارات . وقد فكرت ، منذ زمن ، بلوستر ليكون السائق الثاني . لا تهتم . سأراقبه . »

لكن الهاتف لم يرن . وحوالي السادسة اعترف بون نفسه بأنه لن يرن . لكن هذه كانت هدنة . لم يفقد بعد شيئاً . وفي الظلام كان يستطيع تحريك قواته في المعركة ! وفي الصباح التالي ، حوالي العاشرة ، دخل - دخلنا - البنك وكأنا تذكرنا فجأة . وقال لجدي : « اعطني المفاتيح . ان غبار «الميسيسيبي» ووحله ، فضلاً عن وحل تنيسي وغبارها عالق بها . سأخذ انبوب الماء معي من الاسطبل اذا كان قد وضع الانبوب الثاني في غير محله . »

كان جدي ينظر الى بون بتأمل وهدوء ، كأنما كان بون صاحب عربة أو تبناناً جاء يستدين منه خمسة عشر دولاراً . وقال : « لا أريد ان يبتل داخل بيت العربة . » لكن بون باراه في عدم الاكتراث ، بل بزه فيه ، اذ كان اكثر منه استعداداً لإضاعة الوقت . وقال لجدي :

« تذكر قول الرجل ، إن المحرك يجب أن يدار كل يوم ، لا للذهاب الى مكان ما ، بل لمجرد حفظ الصمامات من الصدأ ، لأن جلب قطع غيار جديدة من ميسيس أو من المعمل ذاته يكلف عشرين أو خمسة وعشرين دولاراً . لا ألومك . كل ما أعرفه هو ما قاله لك ، وعليّ انا ان أصدقك . لكنك تستطيع

تحمّل الخسارة . أنت صاحب السيارة . اذا كنت تريد ان
تصدأ فليس ذلك من شأن احد . ولو كانت حصاناً ، لكان
امراً آخر . فانت ، حتى لو لم تدفع ثمنه مئة دولار ، كنت
تأمرني ان انظنطه ليتريض قليلا .

ذلك ان جدي كان رجل اعمال بارعاً ، وكان بون يدرك
ذلك : يدرك ان جدي لا يعرف متى يحجز وحسب ، بل
متى يصلح ويلغي الحجز ايضاً .

ومدّ جدي يده الى جيبه وتناول بون المفتاحين - مفتاح
قفل الكراج ، والشيء الذي تدار به السيارة .

وقالي لي بون : « تعال » . وفيما نحن نجتاز الشارع ، سمعنا
جدتي وهي تنادي ند من نافذة الطابق الثاني . ثم سكتت

عندما بلغنا البوابة . واذ عبرنا الساحة الخلفية لنجلب الانبوب ،
خرجت دلفين من باب المطبخ وقالت : « أين ند ؟ اننا نناديه
من الصباح . هل هو في الاسطبل ؟ »

وقال لها بون : « طبعاً . وسوف اخبره لكن لا تتوقعي
مجيئه » .

وكان ند هناك . كان هو واثنان من اخوتي ينظرون
من خلال شقوق باب الكراج . اظن ان الكسندر كان سيذهب
هو ايضاً لو استطاع المشي . لا اعرف لماذا لم تفكر
العمة كالي بهذا بعد . ثم وصل الكسندر ، وجاءت امي عبر
الشارع من البيت وهي تحمله . فلعل العمة كالي ما زالت تغسل
حوائجه . وقال بون : « صباح الخير ، ايتها السيدة سارة »

وكانت جدتي قد جاءت آنذاك تتبعهما دلفين . ثم جاءت سيدتان أخريان ، من الجيران ، وهما في قبعات النوم . لم يكن بون صاحب بنك ، او حتى تاجراً بارعاً ، ولكنه كان يقيم الدليل على انه محارب عصابات ممتاز . وتقدم بون وأدار القفل ، ثم فتح باب الكراج . وكان نداء اول الداخلين .

« حسناً . » قال له بون ، واطاف : « انت هنا منذ الفجر توصوص عليها من خلال ذلك الشق . ما رأيك فيها ؟ »
فاجاب نداء : « لا رأي لي فيها . كان باستطاعة بريست ان يشتري افضل جواد في يوكونا باتارفا ، ثمنه مئتا دولار ، بثمن هذه السيارة . »

فقال بون : « ليس هنالك جواد بمئتي دولار في يوكونا باتارفا . فلو كان هنالك ، فهذه السيارة تشتري عشرة جياذ . اذهب وضع الانبوب في الحنفية . »

وقال لي نداء ، دون ان ينظر حوله : « اذهب وضع الانبوب في الحنفية يا لوشيووس . » ثم ذهب الى باب السيارة وفتحه ، فاذا به المقعد الخلفي . لم تكن للمقاعد الامامية ابواب في تلك الأيام . وقال نداء : « تفضلي ايتها السيدة سارة ، وانت ، ايتها السيدة أليسون . اما دلفين ، فيمكن ان تنتظر مع الأولاد دورها في النزهة التالية . »

وقال بون : « انت اذهب وضع الانبوب في الحنفية كما قلت لك . يجب أن أخرج من هنا قبل أن أفعل شيئاً بها . »
وقال نداء : « لا احسب انك ستدفعها بيدك لتخرج . »

أظننا نقدر أن نركب الى هناك . وسوف اقودها . لذلك ،
فكلما اسرعت ببدا المسير ، اسرعت هي في سيرها . « وقهقهه
ضاحكاً وهو يقول : « تفضلي يا آنسة ساره . »

وقالت جدتي : « هل هي على ما يرام ، يا بون ؟ »
وقال بون : « نعم ، يا سيدتي . » فدخلت جدتي وأمي .
وقبل أن يتمكن بون من اغلاق الباب كان ند يتصدر
المقعد الأمامي .

وصاح بون : « اخرج من هنا . اذهب وقم بعملك إن
كنت تعرف . »

وقال ند : « لن ألس شيئاً قبل أن أعرف كيف . ومجرد
الجلوس هنا لن يعلمني . هيا ادرها . »

وتوجه بون إلى مقعد قيادة السيارة وأدار المفتاح . ثم عاد
إلى الأمام وأدار العفريت . وفي الدورة الثالثة علا هدير
المحرك .

وصرخت جدتي به . وعلا صياح بون فوق صوت المحرك
يقول : « كل شيء على ما يرام يا سيدة ساره ! » وركض
عائداً إلى المقود .

« لا يهمني . » قالت جدتي . وازافت : « ادخل بسرعة !
لقد أثار هذا أعصابي ! » فدخل بون واوقف هدير المحرك ،
ثم سحب الفرامل . وفي الحال تحركت السيارة بهدوء وببطء
إلى الورااء خارج الكراج ، إلى الساحة في ضوء الشمس ،
ثم توقفت .

وقهقه نذ ضاحكاً .

وقالت جدتي : « كن حذراً يا بون . » وكنت ارى
يدها تتشبث بر كيزة السقف .

وقال بون : « نعم يا سيدتي . » وتحركت السيارة ثانية
الى الخلف وبدأت تدور ثم تقدمت الى الامام وهي ما تزال
تدور . وكانت يد جدتي ما تزال تتشبث بالركيزة . وكان
وجه أمي يبدو مثل وجه فتاة صغيرة . ومشيت السيارة بهدوء
وببطء عبر الساحة حتى غدت قبالة البوابة المؤدية الى الطريق
نحو العالم ، وتوقفت ولم يقل بون شيئاً : كان فقط يجلس
خلف المقود ، والمحرك يدور بهدوء ودون قرقرة . وكان
رأسه يستدير بما يكفي ان ترى جدتي وجهه . ربما لم يكن
بون بارعاً في الأمور المالية مثل جدي . وكان في جفرسون من
يعتقدون انه لم يحسن شيئاً . لكنه في هذا الامر ، كان مهاوشاً
ماهرأ جداً .

وجلست جدتي نحو نصف دقيقة ، ثم اخرجت تنهدة
طويلة وصرخت قائلة :

« لا . يجب ان ننتظر السيد بريست » . ربما لم نتصر .
لكن بون - وهو من جانبنا - لم يكتشف نقطة الضعف في
جبهة العدو (جدي) وحسب ، بل ان العدو نفسه قد يكتشف
الضعف ، هذه الليلة ، وقت العشاء .

وقد اكتشف العدو ، في الواقع ، ان الموقف قد تبدل .
فبعد ظهر يوم السبت التالي ، بعد اغلاق البنك ، وبعد ظهر

كل سبت تلا ، ثم بعد ظهر كل يوم من أيام الصيف ما عدا الايام المطيرة ، كان جدي يجلس على المقعد الأمامي قرب بون و تنتاب ، نحن الباقيين ، احتلال المقعد الخلفي - جدتي ، وأمي ، وأنا واخوتي الثلاثة مع العمه كالي التي ربقتنا جميعاً ، كلا بدوره ، بما في ذلك أبي ، ودلفين واقاربنا وجيراننا وصديقات امي . وكنا في مشالح الغبار والنظارات ، نعبث شوارع جفرسون وضواحيها القريبة ، بما في ذلك العمه كالي ودلفين ، كل منها بدورها ، ما عدا ند ، الذي ركبها مرة واحدة ، مدة دقيقة ، حين خرجت من الكراج ببطء ، ودقيقتين حين دارت وقطعت الساحة ، الى ان فقدت جدتي أعصابها وصرخت محتجة في وجه البوابة والعالم الخارجي . ولم يكرر ذلك . وفي السبت التالي كان قد عرف ، وتقبل - بل اقتنع بشكل ما - انه حتى لو عزم جدي على جعله السائق الرسمي للسيارة لما كان ليستطيع لمسها إلا على جثة بون . ومع انه كان يميل الى الاقرار بوجود السيارة ، فقد قام بينه وبين جدي نوع من التفاهم الضمني وهو : ان لا يتكلم ند عنها باحتقار او استخفاف ، على ان يمتنع جدي ، مقابل ذلك ، عن ان يأمر ند بغسل السيارة او تلميعها كما كان يفعل للعربة - اذ كان كل من جدي وند يعرف ان ند سيرفض حتى وإن قبل بون . وهكذا رفض جدي ان يتيح لند الفرصة لكي يرفض علناً غسل السيارة قبل ان تتاح لبون الفرصة ايضاً لكي يرفض علناً السماح له بذلك .

كان حين انتقل بون - نقل برضى الطرفين - من العمل
النهارى فى الاسطبل الى العمل الليلى . ولولا ذلك ، لما كانت
مهنة الغسل من نصيبه بعد الآن . فتلك الطبقة الثرية فى
جفرسون ، أصدقاء أبى ومعارفه أو ربما أصدقاء الجياد فقط ،
الذين كانوا يتخذون الاسطبل عنواناً ثابتاً لأعمالهم - اذا كانت
لديهم أعمال وبريد - كانوا أقل غربة هناك من بون . كما لو
انك اذا أردت ان ترى بون (أعني أبى) وارسلتني فى طلبه ،
لوجدته يغسل السيارة أو يلمعها - كان يفعل ذلك حتى فى
الأسابيع الأولى مع أنها لا تكون قد غادرت الساحة منذ يوم
السبت السابق ولن تغادره قبل السبت المقبل . فكان يخرجها
من الكراج كل صباح فيغسلها بجنو ، من قمتها حتى عجلاتها ،
ثم يجلس لحراستها حتى تجف .

وكان السيد بالوت يقول : « سيزيل عنها كل الدهان .
هل يعرف السيد أنه يمرر انبوب الماء فوقها خمس ساعات
كل يوم ؟ »

وكان أبى يقول : « وماذا لو أزاله ؟ سيظل بون يجلس
فى الساحة طوال النهار يتأملها . »

فيقول السيد بالوت : « انقله الى العمل الليلى .
حينئذ يمكنه أن يفعل ما يشاء بنهاره ويتمكن جون بويل
من الذهاب الى البيت والنوم فى الفراش كل ليلة ، على سبيل
التغيير . »

ويجيب أبى : « نقلته . سأبلغه حالما أجد من يذهب الى

الكراج ليخبره . ،

كان هنالك فراش من القش في غرفة السروج ، وكان جون بويل ، حتى الآن ، يمضي الليل عليه ، هو أو أحد السواقين أو السواس ، بناء على طلبه . وهياً والذي سريراً نقالا وفراشاً ووضعها في غرفة المكتب نفسها، حيث يستطيع بون أن ينام ، وهذا ما كان يحتاج اليه، ما دام قد أصبح حراً في تضيته النهار كله في ساحة جدي ، يغسل السيارة أو يتأملها فقط .

هكذا صرنا نضعد الى السيارة بالتناوب فتحمل منا قدر ما يتسع له المقعد الخلفي، ونجتاز ساحة البلدة بعد ظهر كل يوم إلى الضواحي . كان جدي قد جهز السيارة بفرمل اضافي للطوارئ ، فصار جزءاً لا يتجزأ من أجهزة السيارة ، تماماً كالمحرك الذي يديرها .

وكنا دائماً نعب ساحة البلدة اولاً . لملك فكرت أنت جدي ، حالما اشترى السيارة ، كان يفعل ما كنت تفعل ، وانه اشترى السيارة لتلك الغاية فقط : يكن بانتظار مرور الكولونيل سارتوريس في عربته ثم يطلع له فجأة ليعلمه كيف يصدر أوامر تحدد حقوق الآخرين وامتيازاتهم دون ان يستشير من كانوا يتقدمون عليه جاهماً ومكانة . لكن جدي لم يفعل هذا. وتحققنا أخيراً انه لم يكن مهتماً بالكولونيل سارتوريس : كان مهتماً بالجياد ، والعربات . لأنه كما قلت لك كان رجلاً بعيد النظر ، رجلاً قادراً على الرؤيا . وكانت جدتي تجلس

متوترة جامدة تتشبث بركيزة السقف ولا تدعو جدي بالسيد بريست على عاداتها منذ ان عرفناها ، بل تدعوه باسمه الذي يناديه به الناس كأنها ليست قريبة له . وحين كنا نلتقي بجواد أو عربية خيل ، كان سائقها يشد لجام الجواد ويسحبه ليفسح لنا الطريق . وأحياناً كانت الجياد تجفل وتقف على قوائمها الخلفية ، فتصرخ جدتي : لوشيوس ، لوشيوس ! فيقول جدي (إذا كان سائق العربية رجلاً وكانت خالية من النساء والأولاد ولا مقطورة شحن فيها) يقول لبون بهدوء :

« لا تتوقف . تابع سيرك . لكن خفف السرعة الآن . »
 أما حين يكون زمام الخيل عني يد امرأة ، فكان يأمر بون بالتوقف ، فينزل هو نفسه ليكلم الجواد المذعور بهدوء حتى يقبض على زمامه ويقود العربية بعيداً ثم يرفع قبعته للسيدة ويعود الى المقعد الأمامي في السيارة ، حينئذٍ فقط يجاوب جدتي : « يجب ان نعودهم على ذلك . من يدري ؟ قد تأتي الى جفرسون سيارة أخرى في السنوات العشر أو الخمس عشرة التالية ! »

الحقيقة أن ذلك الحلم الذي صنعه بوفالو بيده في ساحة بيته الخلفية منذ سنتين ، كاد أن يشفي جدي من عادة لازمته منذ كان في التاسعة عشرة من عمره وهي مضغ التبغ . فعندما أدار رأسه للمرة الأولى ليصق خارج السيارة المنطلقة ، لم تكن نحن الذين نجلس في المقعد الخلفي نعرف ما سيحدث

إلا بعد فوات الأوان . اذ كيف كنا سنعرف ؟ لم يكن أحد منا قد ركب في سيارة من قبل مسافة أطول مما بين الكراج وبوابة الساحة (تلك كانت الرحلة الأولى) ، عدا أننا كنا نسير بسرعة خمسة عشر ميلاً في الساعة (وهذا أمر آخر . فعندما كنا نقطع عشرة أميال في الساعة كان بون يقول أننا نقطع عشرين ؛ وعن العشرين يقول اربعين . ثم اكتشفنا طريقاً قصيرة منبسطة طولها نصف ميل ، على بعد اميال قليلة من المدينة ، حيث يمكن للسيارة ان تنطلق بسرعة خمسة وعشرين . وقد سمعته يقول لجمع من الناس في ساحة البلدة إن السيارة تقطع ستين ميلاً في الساعة . كان ذلك قبل أن يعرف الشيء الذي على اللوحة والذي يبدو مثل عداد بخاري هو في الحقيقة مؤشر السرعة) ، فكيف كان يمكن ان نعرف ؟ ثم ان ذلك لم يكن ان يحدث أي فرق بالنسبة لأي منا . فقد كنا جميعاً نضع نظاراتنا ومشالغ الغبار . وحتى حين تكون المشالغ جديدة ، لم يكن هناك من سبب يدعو لعدم تعريضها لتتقي البقع او اي شيء غير الغبار . ربما لأن جدتي كانت تجلس إلى جهة اليسار ، خلف جدي مباشرة . وفي تلك الايام كانت السيارات تدار من جهة اليمين كالعربات ، حتى هنري فورد ، الرجل الذي كان بعيد النظر مثل جدي ، لم يخطر بباله ان المقود يجب ان يكون الى ناحية اليمين .

وحين قالت جدتي لبون : « اوقف السيارة » ، لم تكن

ثائرة بقدر ما كان غضبها بارداً خفياً ، وبقدر ما كانت
مفتاظة ومصدومة . كانت قد تجاوزت الحسين (عندما
تزوجها جدي كانت في الخامسة عشرة) وخلال اعوامها
الحسين لم تكن تحلم ان شخصاً سيبصق في وجهها ، فكيف
بزوجها نفسه . كما لم تكن تعتقد ان بون يمكن ان يبلغ
منعطفاً دون ان يضغط على الزمور . فلم ترفع يدها لتمسح
البصقة ، بل قالت دون ان توجه الكلام الى أحد : « خذني
الى البيت » .

وصاح جدي : « مهلك ، يا ساره ، مهلك ! » وقذف
التبغ خارجاً وأخرج المنديل من جيبه الآخر . لكن جدي
لم تتناوله . كان بون قد نزل من السيارة وسار نحو بيت
قريب وأتى بوعاء ماء مع صابون ومنشفة . لكن جدي لم
تقبل ذلك ايضاً . وصاحت به : « لا تلمسني ! »
وهكذا مضينا ، وقد جفت البقعة البنية التي سرحت من
نظارة جدي الى خدها . وراحت امي تعرض بالحاح ان
تبصق في منديلها لتبللها وتمسحها . وقالت جدي : « اتركيني
يا أليسون ! »

مع امي كانت المسألة مختلفة . لم تكن تمنع ان مضغ
جدي التبغ في السيارة . ربما كانت السيارة السبب . وشيئاً
بعد شيء أصبحت النزوات تقتصر علينا ، وعلى امي ، والعمة
كالي ، وولد أو اثنين من اولاد الجيران . كانت امي تجلس
في المقعد الخلفي وقد تضرع وجهها وتألق بالحماس كوجه فتاة

صغيرة . لانها كانت قد اخترعت درعاً يدوياً ذا قبضة مثل مروحة كبيرة ، خفيفا الى درجة تتيح لها ان ترفعه قبالتنا بأسرع مما يدير جدي رأسه . هكذا صار بإمكانه ان يمشي . فقد كانت امي دائماً متأهبة لرفع الحاجز . والحقيقة اننا جميعاً صرنا سريعين لدرجة انه قبل ان يعرف جدي انه سيدير رأسه الى اليسار ليبتق ، يكون الحاجز قد ارتفع ونكون نحن ركاب المقعد الخلفي قد ملنا الى اليمين وكأننا مشدودون بخيط واحد . كانت سرعتنا آنذاك عشرين او خمسا وعشرين ميلاً في الساعة ، لانه صار لجفرسون ، ذلك الصيف ، سيارتان إضافيتان . كأنما كانت السيارات هي التي تعبّد الطرق بنفسها قبل ان تعبدها قوة المال الذي تمثله .

وقال جدي : « بعد خمس وعشرين سنة لن تكون في المقاطعة طريق غير صالحة لمرور السيارات في اي طقس . »
وسألت أمي : « ألن يكلف ذلك مال كثيراً ، يا بابا ؟ »
فأجاب جدي : « سيصدر معبدو الطرق سندات .
وسيشترها البنك . »

وسألت امي : « بنكنا ؟ » ، « بنكنا يشترى سندات السيارات ؟ »

وقال جدي : « نعم ، سنشترها . »
« لكن ماذا عنا ؟ أقصد موري . »
« سيحتفظ بعمله في الاسطبل . اننا سيكون له امم آخر

ربما كارج بريست ، او شركة بريست للمحركات . سيدفع
الناس اي ثمن للركوب والحركة . بل سيعملون لذلك . انظري
الى الدرجات . انظري الى بون . لا نعرف لهذا سبباً !
ثم جاء أيار التالي ، ومات جدي الآخر في خليج
سان لويس .

ء

الفصل الثالث

كان أيضاً يوم سبت . وكان ، في الواقع ، السبت التالي . كان لودوس سيعود الى تقاضي أجرته مساء كل سبت . لعله قد كف عن استعارة البغال . كانت الساعة تقارب الثامنة . ولم أكن قد بلغت منتصف الطريق إلى الساحة ومعني فواتير الشحن وكيس الخيش الذي أضع فيه النقود . كنت قد انتهيت من قسم «تموين المزارعين» عندما دخل بون مسرعاً ، أكثر من عادته . كان يجب ان أشك في الحال . لا ، كان يجب ان أعرف فوراً . إذ اني عرفت بون طوال حياتي ، عدا مراقبتي له مدة سنة مع تلك السيارة . وتقدم بون الى كيس النقود وسحبه من يدي قبل ان أتمكن من شد قبضتي عليه ، وقال لي :
« اتركه . اتركه وتعال . »
« على مهلك ! »

« قلت اتركه . خلتصنا . أسرع . عليهم أن يبلغوا الثلاثة
والعشرين . »

قال ذلك وهو يستدير . فقد تجاهل كل شيء عن الفواتير
غير المدفوعة . كانت ، في نظره ، مجرد أوراق تملك شركة
سكة الحديد الكثير منها . لكن الكيس كان يحتوي
على نقود .

وقلت : « من الذي سيبلغ الثالثة والعشرين ؟ كان الرقم
الثالث والعشرون رقم قطار الصباح الذي يتجه جنوباً . أوه ،
نعم ، كان لجفرسون قطارات ركاب آنذاك ، وكان عددها
كبيراً بحيث اقتضى ترقيمها للتمييز بينها .

« يا للشيطان ! » قال بون . « كيف أقدر أن أنقل لك
الخبر بلطف وانت ترفض أن تصغي؟ مات جدك الليلة الماضية .
يجب ان نعجل . »

فصرخت : « لم يمت . كان عند الردهة الامامية هذا
الصباح عندما مررنا . »

كان هناك فعلاً . رأيناه أنا وأبي . كان يقرأ الصحيفة
او يقف هناك او يجلس كعادته كل صباح ، ينتظر حلول الوقت
كي يذهب الى البنك .

وقال بون : « أوه ، ألا تعرف الفرق بين خليج سان
لويس وموبيل ؟ كان هذا بخلافه . كان خليج سان لويس
يبعد ثلاثئة ميل . ولم أكن قد رأيت جدي ليسيب إلا مرتين
في عيد الميلاد في جفرسون ، حين ذهبنا ثلاث مرات في

الصيف . كان مريضاً منذ مدة طويلة . فذهبتنا - نحن وامي - إلى هناك في الصيف لنراه ينام في فراشه الأخير حتى ولو لم نعرف آنذاك . أقول «لو» وأقصد امي . ذلك ان العجوز حين يمرض يكون قد كف عن الحياة . فالموت الفعلي يريح الجو ، ويسمح بإزاحة شيء كان منتهياً .

وقال بون : « طيب ، طيب . ما عليك إلا ان تأتي . جاكسون موبيل ، نيو اورليانز - كل ما اعرف عنها انها هناك في مكان ما . وحينما كانت ، عليهم ان يلحقوا بالقطار . كان على اسم أورليانز الذي لم يهمل ذكره عمداً ، بقدر ما دخل سهواً في محتوى عبارته ، ان ينبىء بكل شيء ، ويكشف لي ما عزم عليه . كان على محارلته الاخيرة لإغرائني ان تساعدني على ذلك . لكنني ربما كنت ما أزال تحت هول الصدمة ، كما انني لم اكن اعرف في تلك اللحظة ما يعرفه بون . لذلك ذهبنا بسرعة - وكنت اهرول حتى أتمكن من لحاقه - سالكين أقصر طريق عبر الساحة ، حتى وصلنا إلى البيت .

كان هناك هرج ومرج ، ولم يكن قد بقي على موعد القطار الا ساعتان . وهكذا كانت امي منهمكة لدرجة لا تجد فيها متسعاً للندب او الحزن : كان وجهها شاحباً ، عليه علام التصميم ، مؤثراً . كنت الآن أعرف ما قاله لي بون مرتين : إن جدي وجدتي ذاهبان هما ايضاً لدفن جدي ليسيب . فقد كان هو وجدتي زميلين في غرفة واحدة ، وفي صف واحد

في الجامعة . وكان كل منها اشبين الآخر ، وهو ما يحتمل ان تكون له علاقة باختيار امي وابي ، واحدهما الآخر ، من الناس قاطبة . وقد عاشت جدتي ، وجدتي ليسيب ، متباعدتين بما يكفي حتى تستمر الاولى في معاملة وحيدة الثانية بلباقة وعطف . ثم ان الناس في تلك الايام كانوا ينظرون إلى طقوس الجنائز بجد . ولا اقول الموت : الموت كان الالف الدائم . ما من عائلة إلا كتبت تاريخها على شاهدة القبر بعبارات تذكارية موجزة الى درجة لا تتسع معها للاسم - هذا ما لم تكن الأم ترقد هي ايضا في ذلك القبر نفسه ، وهو ما يحصل اكثر الاحيان . هنجا عدا الازواج والاعمام والعمات في اعوامهم العشرين او الثلاثين او الاربعين ، والجدود والاعمام العاقرين والعمات العوانس اللواتي متن فوق السرير الذي ولدن فيه .

هكذا كان جدي وجدتي ذاهبين هما ايضا الى الجنائز . وهو ما يعني اننا - لعدم وجود اقارب لنا في البلدة - سنرسل الى مزرعة ابن العم زاكاري ادموند ، التي تبعد سبعة عشر ميلا ، ونبقى هناك حتى يعود ابوانا . ويعني ذلك ان امي وابي سيتغيبان اربعة ايام ، كما يعني ان جدي وجدتي لن يعودا حتى بعد اربعة ايام . لان جدي لم يغادر جفرسون مرة ، حتى ولو كان ذاهبا الى ممفيس ، دون ان ينضي يومين او ثلاثة في نيو اورليانز ذاهبا كان ام راجعا . وهذه المرة ربما اصطحب امي وابي ايضا . كان ما اخبرني عنه بون

مرتين بإطنا ب ، وهو يكاد لا يصدق كلامه ، يعني ان صاحب السيارة وكل من له سلطة عليه ، سيكونون على بعد ثلاثه ميل عنها مدة اربعة ايام أو اسبوع . كانت جميع محاولاته الحرقاء لاغرائني وإفصادي تؤيد ذلك . حتى انه لم يكن يتوسل إلي . إذ كان يمكن ان يأخذ السيارة وحده ، وكان سيأخذها فعلاً لو وجدني غير قابل للافساد ، بالرغم من علمه بأنه ذات يوم سيعيدها او يعود بمفرده كي يواجه متاعب اقل مما سيواجه لو قبضت عليه شرطة جدي . لان العودة محتمة . اذ ان يمكنه ان يذهب ، وهو لا يعرف مكانا آخر ، وهو الذي لا تعني له اسماء جفرسون ، وماك كاسلن ، ودي سبين وكومبسون ، بيته وحسب ، بل الأب والأم ايضاً . لكن طيف فكرة هزيلة ، او بارقة فطنة عذراء ومنطقية ، أقنعتني بأن يجربني أولاً ليأخذني كرهينة . ولم يكن بحاجة الى امتحاني أولاً . اذ عندما يتحدث الكبار عن براءة الاولاد ، لا يعرفون ماذا يعنون بالفعل . ولو اخرجتهم لتقدموا خطوة وقالوا : اذن هو الجهل . الولد ليس بريثاً ولا جاهلاً . ما من جريمة لم يتصورها صبي في الحادية عشرة منذ مدة بعيدة . كل براءته في انه لم يكبر بعد بحيث يشتهي ثمارها . وهذا ليس براءة بل قضية شبيهة . وكل جهله هو في انه لا يعرف كيف يرتكبها . لكن بون لم يكن يعرف هذا . كان عليه ان يغريني . وكان امامه وقت قصير : منذ رحيل القطار حتى الغروب . كان يمكن ان يبدأ في اي وقت ، في الغد ، او بعد الغد ، او

اي يوم بما في ذلك يوم الاربعاء . لكن اليوم ، الآن ، كان موعده المفضل ، إذ كانت كل جفرسون قد رأت السيارة تسير ويسودها جو الرحيل . كأنما كانت الآلهة نفسها هي التي منحت هذه الساعات الحرة بين الحادية عشرة والغروب . وجاءت السيارة وفيها جدي وجدتي ، وصندوق الدجاج المقلي والبيض المسلوق والكعك للغداء ، لانه لن تكون هناك عربة للغداء حتى يغيروا القطار ويقصدوا المكان المعين في الساعة الواحدة. وكانت جدتي وامي تعرفان جدي وابي جيداً . وهما لذلك يعرفان انها لن ينتظرا حتى الواحدة ليتناولوا الغداء ، ايا كان الميث . لا : جدتي ايضاً ، لو كانت المصاب شخصاً آخر غير امي . لا ، هذا ايضاً خطأ . كان افق جدتي اوسع من افق كنتها . فلعل كل ما كانت امي تحتاج اليه هو ان تكون انثى . فليس الرجال هم الذين يقفزون في وجه الموت - إنهم يقاومون ، يحاولون ان يردوا الضربات فتعصر ادمغتهم بنتيجة ذلك - بينما النساء يطوقنه ، يغلفنه بمساهمة عدم مقاومة مثل حشية القطن او نسيج العنكبوت ، بعد ان ينتزعن منه الابرة السامة ويصبح بلا اذى ، لا يُحوّل الى الحجم المناسب ويصبح قابلاً للاستعمال فقط ، بل يصبح مفيداً ايضاً كعازب مفلس او عازبة مستعدة دائماً ان تملأ المكان الفارغ او ترافق الضيف الزائد الى المائدة للعشاء .

اطبقت قبضاتها على قضبان الحاجز ، وكان صن توماس قد رافق امي وابي الى الشارع ثم تبعناهما جميعاً ، امي في

وشاحها الاسود وابي بعصابة ذراعه السوداء ، ونحن وراءها مع العمه كالي التي تحمل الكسندر. وقالت امي : «الى اللقاء، الى اللقاء» وهي تقبلنا من فوق الوشاح ، ورائحتها كالمعتاد ، لكن يخالطها شيء اسود ، مثل الوشاح الرقيق الذي لم يكن يخفي في الحقيقة شيئاً ، مثل تلك البرقية التي جاءت عبر الأسلاك النحاسية مسافة ثلاثئة ميل من خليج سان لويس .
أوه ، نعم ، شممت رائحتها أيضاً عندما قبلتني قائلة : «انت الولد الأكبر، الرجل . يجب ان تساعد العمه كالي على الآخرين، فلا يزعجون ابنة العم لويزا .» وما كدت ادخل السيارة وأجلس قرب جدتي حتى قال بون :

«يجب أن أملاً الخزان للرحلة إلى ماك كاسلين بعد الغداء. وفكرت أن لوشيوس يقدر أن يرافقي ويساعدني حين العودة من المحطة .»

أرأيت كم كانت ستمر بسهولة ؟ كانت سهلة جداً ، إلى درجة تشعرك ببعض الخجل . كأنما كانت أوراق الفضيلة والاستقامة تقف ضد جدي وجدتي وأمي وأبي . حسناً : ضدي أنا أيضاً . حتى كون جفرسون لم تعرف السيارات إلا منذ سنتين أو ثلاث ، ساعد بون - حسناً ساعدنا . كان لدى السيد رانسويل ، وكيل شركة النفط الذي زود كل الدكاكين في مقاطعة بوكنا باتا وفا من خزاناته على الخط الفرعي خلال السنتين الأخيرتين - كان لديه خزانات بنزين خاص ، ومضخة وزنجي ليضخ منها . وكان كل ما على بون ، أو أي شخص

آخر يريد بنزينا، أن يفعله هو أن يقود السيارة ويتوقف وينزل
فيرفع الزنجي المقعد الامامي ويقبس كمية البنزين بانبويه
المعقوف ، ثم يملأ الخزانات ويقبض النقود أو (اذا لم يكن
رانسويل موجوداً) يدعك تكتب اسمك بنفسك وعدد الجالونات
التي اخذتها على دفتر حسابات ملطخ بالشحم .

لكن مع أن جدي كان يملك السيارة منذ سنة تقريباً ،
لم تؤاذه الجرأة هو أو جدتي (أو لم يدفعها الفضول) على
استفهام بون أو تحديه .

هكذا وقفنا هو وأنا على الشرفة . ولوحت لنا امي من
النافذة عندما تحرك القطار. الآن جاء وقت العمل. كان عليه ان
يقول شيئاً ، ان يبدأ . لقد استعد لفرض سيطرته والقبض
عليّ ، على الأقل حتى تبدأ العمه كالي تتساءل عني كما أتساءل
غدائي . اعني لم يكن بون يعرف انه ليس مضطراً لأن يقول
شيئاً او يفعل سوى اخباري الى اين كنا ذاهبين . ولم يكن
يعرف شيئاً عن الكائنات البشرية ، ويظهر انه نسي ما عرفه
ولا شك ، يوماً عن الأولاد .

لم يكن بون نفسه يعرف كيف يبدأ . كان قد صلى طلباً
للحظ ، وسرعان ما تحقق طلبه ، حتى انه لم يعرف ماذا
يفعل بما حصل عليه . لا بد أنك سمعت بأن الحظ صاحب
نزوات ، لا يمنع أبداً بل يعطي خيراً او شراً : يعطيك من
الخير اكثر مما تستطيع التصرف به . هكذا كانت الحال مع
بون .

ولم اساعده . وبذلك انتقمتم . حسناً ، انتقمتم من ؟
ليس من بون طبعاً بل من نفسي ، من خجولي ، او ربما من امي
وأبي اللذين تركاني للعار . او ربما من جدي الذي أفسحت
سيارته للعار طريقاً ، من يدري ؟ ربما من السيد بوقالو نفسه -
ذلك المأخوذ المقتون الذي بدأ المسألة كلها منذ سنتين بريشتين .
لكنتني شعرت بالأسف على بون لان وقته كان قصيراً . كانت
الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة ، والعمه كالي تنتظر عودتي
خلال دقائق ، ليس لأنها تعرف ان العودة الى البيت لا
تستغرق اكثر من عشر دقائق بعد ان سمعت صفير القطار رقم
٢٣ يغيب في النفق ، بل لانها كانت تنتظر بفارغ الصبر حتى
تطعمنا وتأخذنا الى ماك كاسلن . لقد ولدت في الريف وما
زالت تفضله . كان بون يتجنب النظر إلي . وقال : « ثلاثئة
ميل . لحسن الحظ ان احدهم اخترع القطار . لو كانوا
سيذهبون في عربة بغال ، كما اعتاد الناس من قبل ، لما وصلوا في
عشرة ايام ، هذا عدا عشرة أخرى للعودة . »
« ابي قال أربعة ايام ا ، »
« صحيح ، هكذا قال ؟ ربما أمامنا أربعة ايام لنعود الى
البيت ، لكن هذا لا يعطينا الوقت كله . »
« وعدنا الى السيارة وصعدنا إليها . لكنه لم يدرها . وقال
بون : « ربما حين يعود بوس ، بعد أربعة ايام ، سيدعني أعلمك
قيادة هذه السيارة . لقد كبرت كفاية . ثم انك تعرف
قيادتها . هل فكرت في ذلك ؟ »

« لا ، لأنه إن يدعني . »

« حسناً لا تكن عجولاً . أمامك أربعة أيام لتغير رأيه .

مع ان تخميني هو أنه سيتغيب عشرة . »

ولم يكن بون حتى الآن ، قد أتى بحركة ليدير السيارة .

واضاف قائلاً : « عشرة أيام ، قال ابوك ؟ كم تتصور أن

هذه السيارة تقطع في عشرة أيام ؟ »

« أبي قال اربعة . »

« حسناً ، كم تقطع في أربعة أيام ؟ »

« لا ادري . ما من أحد هنا يعلم فيخبرني . »

« حسناً . »

قال ذلك وأدار السيارة فجأة وتراجع بها ثم انعطف محولاً

اتجاهها ، ثم انطلق بسرعة في غير اتجاه الساحة او مضخة

راونسويل للبنزين ، فقلت :

« محسبت ان علينا ان نتزود بالبنزين . »

كنا ننطلق بسرعة . فقال بون : « غيرت رأيي . سنفعل

ذلك قبل ان نذهب الى ماك كاسلن بعد الغداء . حينئذ لن

يتبخر معظمه ونحن واقفون . » كنا الآن في سهل ، نمر

بسرعة بين أكواخ الزوج وحقول الخضراوات وأحواش الدجاج

فتقفز الكلاب والدجاج مذعورة وتبتعد قبل وصول الغبار .

وقطعنا السهل الى حقل مهجور فسيح بدت فيه آثار عجلات

لكن دون إطارات . كانت عجلات سيارة السيد بوفالو التي

ركبها بنفسه والتي عزلها قانون الكولونيل سارتوريس في هذا

المكان منذ سنتين ، حيث تعلم بون قيادة السيارة . ولم اكن بعد فهمت ، حتى أوقف بون السيارة وقال لي : « انتقل الى هنا » .

وهكذا تأخرت عن الغداء . كانت العمه كالي واقفة على الشرفة الامامية تحمل الكسندر . وبدأت تصيح بي وببون قبل ان يوقف السيارة وينزلني . لقد غلبني بون في معركة عادلة . ويبدو انه لم ينس كل ما عرفه في حداثته عن الاولاد . أعرف الآن اكثر بالطبع ، بل كنت اعرف آنذاك ان سقوطي وسقوط بون لم يكونا فجائيين وحسب ، بل متواقطين ايضاً . لكنني فضلت الاعتقاد أن بون غلبني . على اية حال ، هذا ما قلته لنفسي . كنت وأنا متحصن خلف سور الامتقاة المنيع الذي افترت بالاسم الذي أحمله ، المرسوم على هيئة فروسية أجدادي الذكور كما ورثتها - لا ، كما اورثني اياها أبي ، وكما دعمتها أمي وجعلتها نافذة المفعول واقهمتني انها معرضة لان يشوهها العار ، بكل بساطة كنت أمتحن بون . لم اكن أجرب فضيلتي بل أمتحن مقدرة بون على نفسها . ولبراءتي ، كنت شديد الثقة بدرع هذه البراءة ، فقد توقعت بل طلبت اكثر مما كان ذلك الرجل قادراً على تحمله . تقول هذا لا بلهجة النصيح ، بل بنبرة التصميم : فإنني وقد لاحظت كم يشك المحامون وممارسو الفضيحة بمناعة الفضيحة كدرع ، واضعين ثقتهم وأمانتهم ليس في الفضيحة بل في الاله او الآلهة المسؤولة عن الفضيحة ، هكذا باعتبار الفضيحة كأنها ولاء لاله

الآلهة ، يصبح من واجب الآلهة ، اما ان تبعد التجربة او ان تقف بينهما . وهذا يوضح الكثير . إذ يبدو لي ان الآلهة المسؤولة عن الفضيلة مسؤولة عن الحظ ، إن لم يكن عن الطيش ايضاً .

هكذا غلبني بون في معركة عادلة ، مستعملاً القفزات كما يليق بالسيد المهذب . فعندما أوقف السيارة وقال لي : « انتقل » ، حسبت انني عرفت قصده . كنا قد فعلنا ذلك أربع أو خمس مرات من قبل في حوش جدي ، فكنت أجلس في حضن بون وأمسك بالمقود وأوجه السيارة بينما يدعها هو فتتحرك ببطء ، عابرة الحوشى . هكذا كنت مستعداً له . كنت متحفزاً ، بل كنت قد بدأت أرد الضربة فاتحاً في لأقول : « الحر شديد ، والجلوس في الحوض مزعج اليوم . ثم انه من الأفضل أن نعود الى البيت » ، لكنني رأيت يغادر السيارة من جهته وهو ما يزال يتكلم ، ويده على المقود والمحرك لا يزال يهدر . وبقية ثانية أو ثانيتين عاجزاً عن تصديق ذلك لكنه قال لي : « عجل » ، ستخرج العمه كالي في أية لحظة ، حاملة الطفل تحت ذراعها وهي تصرخ .

هكذا انتقلت الى المقود ، وبون يجاني ، فوقى ، أمامي احدى يديه على يدي لتشد مغير السرعة ، والثانية على يدي لتضبط مفتاح البنزين فتتحركنا الى الامام قليلاً ، ثم الى الورا ، ووهج الشمس في عيوننا ، متوترين ، نافدي الصبر ، غارقين مأخوذين ، خارج الزمان ، فوق الزمان ، غير متأثرين

بالزمان الى ان دقت ساعة مبنى المحكمة معلنة انقضاء نصف ساعة على الظهر ، فنبهتنا ، وأعادتنا إلى عالم الخداع القاسي .
وقال بون : « حسناً ، اسرع الآن . » قال ذلك دون ان ينتظر ، رافعاً إياي كما فعل تحت المقود . كانت السيارة تتراجع بسرعة عبر الحقل باتجاه البيت . وكنا الآن نتكلم كلام رجل لرجل ، ندين في الجريمة ، ومتحدثين طبعاً ، ولكن دون أن نتساوى بعد في الفعالية بسبب براءتي . وهممت بأن أقول ماذا أفعل الآن ؟ يجب ان تخبرني . ولكن بون سبقني الى الكلام فصرنا في منزلة واحدة . قال : « هل تصورت ماذا سنفعل ؟ ليس امامنا وقت طويل . »
قلت : « حسناً ، هيا . ارجع الى البيت قبل ان تبدأ العمة كالي بالصياح . » رأيت ما أعنيه عن الفضيلة ؟ سمعت الناس - أولئك ستسمعهم - يتكلمون عن الشيطان ، أو عن جيل شرير . لا وجود لأشياء كهذه . فليست هناك مرحلة من التاريخ أو جيل من البشر كبر الى درجة تؤهلهم لحل اللافضيلة في اية لحظة معينة ، اكثر مما يستطيع استيعاب الهواء في تلك اللحظة . كل ما يستطيعون فعله هو ان يأملوا بأن يكونوا ماوئين بأقل قدر ممكن خلال مرورهم فيها . إذ مما يدعو الى الرثاء ان الفضيلة لا تستطيع ان تدافع عن نفسها كما تفعل اللافضيلة . ذلك ان الجزء الذي تقدمه الفضيلة بالمقابل ليس غير الفضيلة الباردة التي هي بلا طعم ولا رائحة : هذا دون أن تقارن مع المكافآت البراقة للخطيئة واللذة بل

المهارة العارفة بكل شيء - تلك المقدرة الهائلة التي لا تصدق على الاختراع والتخيل - حتى ان خطوات الطفولة المبعثرة تمشي بثبات في ممراتها المفروشة بالورد . لأنني ، أوه أجل ، نضجت بشكل مريع منذ أن دقت الساعة لدقيقتين خلتما . فقد اوصلتني ملاحظاتي الى انه ، باستثناء بعض الحالات الخاصة التي يمكن أن توصف بأنها حالات عدم نضج حادة ، باستثناء ذلك فإن الاولاد كالشعراء يكذبون للمتعة أكثر مما يكذبون للمنفعة . اوهكذا كنت اتصور آنذاك ، ما عدا بعض الاستثناءات التي تتعلق بالدفاع عن النفس ضد الكائنات الأكبر مني (والدي) والأقوى ، لا غير . على الأقل ليس الآن . كنت منجرفاً مثل بون . وفي الخطوة التالية ، كنت أكثر مسؤولية . لانني ادركت - كلا - عرفت . كان ذلك واضحاً . بون نفسه اعترف به . كنت اذكى منه . لقد احسست بتلك الشعلة المهمومة الظافرة التي لا بد ان « فاوست » نفسه قد عاشها : بأنني كنت القائد ، كنت الرئيس ، والسيد ، بيننا نحن الهالكين الذين تجاوزنا نقطة الرجوع .

كانت العمه « كالي » واقفة على الشرفة الامامية ، حاملة الكسندر . وهي تصرخ . فقلت لها : واهدأي ! أليس الغداء جاهزاً؟ تعطلت السيارة . أصلحها بون . ولم يُتيح لنا الوقت كي نزودها بالبنزين . لذا عليّ ان آكل بسرعة وأعود لأساعده على ملء الخزان . وذهبتُ الى غرفة الطعام . كان الغداء على المائدة . كان ليسيب وموري يا كلان ، وقد ألبستها العمه كاي ألبستها

كما لو كانا ذاهبين الى ممفيس ولن يبتعدا اكثر من سبعة عشر ميلا لقضاء اربعة ايام عند ابن العم زاك . ولا اعرف سبباً لذلك ، ان لم تكن بحاجة الى اشغال وقتها بأي شيء ، بين وقت رحيل امي وابي ووقت الغداء . لان موري والكسندر يجب ان يناما وقت القيلولة . وكان موري سيوسخ ثيابه فتضطر ان تغسل وجهه وتلبسه ثانية .

انتهيت قبلها ورجعت اجتاز الشارع الى ساحة بيت جدي . (كانت العمه كالي ما تزال تصرخ في البيت ، لكن بصوت غير مرتفع . انما ماذا كانت تستطيع ان تفعل وهي وحيدة وزنجية امام اللافضية ؟) . ربما كان ند قد ذهب الى المدينة حالما تحركت السيارة . وربما كان سيعود ليتغدى . كان قد عاد . ووقفنا في الساحة الخلفية . وغمزني . كانت لعيني ند ، في بعض الاحيان ، بل معظم الوقت ، نظرة حمراء ، كمنظرة الثعلب . قال لي : « لم لا تبقى هنا ؟ »

فقلت : « وعدت بعض الرفاق بأن نهرب غداً ونجرب مكاناً جديداً للصيد يعرفه أحدهم . »

فغمزني ند قائلاً : « إذن تنوي ان ترافق بون هوجانبك الى ماك كاسلن ، ثم تعود معه . انما عليك ان تجد قصة تخبرها للآنسة لويزا كي تدعك ترجع . وهكذا فأنت بحاجة الى كي استر الامر لك . »

فقلت : « كلا . لا اريد منك شيئاً . اخبرك فقط لتعرف اين اكون فلا يلومونك . بل انني ان ازعجك . سأبقى عند

ابن العم آيك ، .

قبل ان يولد الباكون (اعني أخوتي) كانت امي تتركني عند ند ودلفين حين تنغيب هي وأبي ، وحين يتغيب جدي وجدتي . وأحياناً كنت انام في بيتها الليل كله ، لمجرد التسلية . كنت أقدر ان افعل ذلك الآن ، لو ان المسألة تنطلي عليهم . لكن ابن العم آيك كان يعيش في غرفة واحدة فوق حانوته . لو ان ند (او اي شخص آخر من يهمهم الامر) سأله عما اذا كنت عنده ليلة السبت ، فما كان ليسأله قبل الاثنين . وكنت قد قررت بالأفكر في الاثنين ، رأيت ؟ لو ان الناس لا يمتنعون عن التفكير في الاثنين التالي ، لما كانت الفضيلة تعاني هذا الجفاء والجمود .

وقال ند : « فهمت . لا تريد مني شيئاً . تقول هذا لكبر قلبك ، ولتوفر عليّ الانزعاج والقلق عليك وعلى كل من يريد أن يعرف السبب في عدم بقائك في ماك كاسلن ، حيث أوصاك ابوك بالبقاء . » ثم غمزني مقهقهاً ، فقلت : « حسناً أخبر أبي انني ذهبت الى الصيد يوم الأحد ، أثناء غيابه . اتحسبني اهتم ؟ » فقال : « لا أريد ان أخبر أحداً بأي شيء عنك . لست انا المسؤول عنك ، بل العمه كالي ، حتى تعود أمك . هذا اذا لم يصبح السيد آيك مسؤولاً عنك الليلة ، كما قلت . » وغمزني قائلاً : « متى يأتي بون هوجانبك لأخذك ؟ »
« قريباً . ثم الأفضل لك ألا تدع أبي أو بوس يسمعانك تدعوه بون هوجانبك . »

« دعوته سيداً مرات عديدة ، كافية ليصبح هذا اللقب حقيقة . وذلك بغض النظر عما اذا كان يستحقه ام لا ، . ثم فقهه ضاحكاً كعادته .

أرأيت ؟ كنت أبذل اقصى ما يمكنني . المشكلة الوحيدة كانت في وسائلني . البراءة والجهل : لم تكن تنقصني القوة والمعرفة وحسب ، بل الوقت . عندما تمنحك الاقدار او الآلهة - حسناً ، الالافضية - الفرص ، فإن اقل ما تستطيعه لك هو ان تمنحك المجال . لكن على الاقل كنت تستطيع ان تعثر على ابن العم آيك بسهولة ايام السبت . فقد قال لي : « من كل بد . تعال وابقَ عندي الليلة . قد تذهب للصيد غداً - فقط لا تخبر أباك » .

وقلت له : « كلا سيدي . لن ابقى عندك الليلة . سأبقى عند نند ودلفين كما كنت افعل دائماً . فقط أردت ان اخبرك اين اكون ، ما دامت أمي غائبة ، ولا استطيع اخبارها ، اعني استئذانها . » أرأيت انني فعلت اقصى جهدي في حدود ما كنت اعرفه ؟

ليس لأنني كنت عديم الثقة بنجاحي التام . كان يبدو لي ان الالافضية تضيع في اختباري الوقت الذي كان ضرورياً لغايات اعظم . عدت الى البيت دون ان اركض : يجب الا تراني جفرسون أركض . لكن بأسرع ما يمكنني دونما ركض . لم اجرؤ على ترك بون وحيداً دون ظهير امام العمة كالي . وصلت في الوقت المناسب . الحقيقة ان بون والسيارة هما

الذان تأخرا. وكانت العمه كالي قدألبست موري وألكسندر من جديد. وكانت قبلولتها تلك أقصر قبولة في سجل بيتنا. ند أيضاً كان هناك ، حيث لم يكن له عمل . لا ، هذا غير صحيح . أعني ، وجوده هناك كان خطأ كلياً . إذ انه يكون عادة حيث يؤدي لجدي او جدتي اعمالاً نافعة خارج المدينة . كان يحمل الامتعة : سلة القصب التي تحوي حوائج الكسندر وحوائج اخرى : البقج التي تضم ثيابي وثياب ليسيب وموري لأربعة ايام ، وصرة العمه كالي . وقد رمى هذه الامتعة عند البوابة ، دون عناية ، قائلاً للعمه كالي « الافضل لك ان تجلسي وترجي قدميك . بون هو جانبك كسر تلك الآلة وهو في مكان ما يحاول ان يصلحها . اذا كنت تريدن حقاً ان تصلي الى ماك كاسلن قبل وقت العشاء ، تلفني للسيد بالوت في الاسطبل كي يرسل صن توماس بالعربة ، وسأوصلك على احسن حال . »

وبعد فترة ، بدا كأن ند على حق . اذ بلغت الساعة الواحدة والنصف (وهو الوقت الذي كان يجب ان يمضيه الكسندر وموري في النوم) ولم يبد لبون اثر . كان يمكن موري والكسندر ان يناما نصف ساعة اخرى . وظل ند يقول : قلت لك هذا . « ويكرره مرات عديدة حتى ان العمه كالي كفتت عن الصراخ في وجه بون ، وبدأت تصرخ في وجه ند نفسه ، فذهب وجلس تحت العريشة . كانت على وشك ان ترسلني للبحث عن بون وعن السيارة حين وصل .

وعندما رأيتہ اعتراني ذعر هائل . كان قد بدّل ثيابه . اعني حلق ذقنه ولبس قميصاً ليس ابيض تماماً بل نظيف ، مع باقة وربطة عنق . ولم اشك انه كان يحمل معطفاً عندما نزل من السيارة ليُركبنا فيها، وكانت بقعته الموضوعه على ارض السيارة اول ما رأته العمه كالي حين وصلت . وكان الشيء الذي اثار فيّ الرعب والغضب ، ايضاً (ليس على بون ، كما اكتشفت ذلك فوراً) على نفسي ، انا الذي كنت اقدر ان اعرف هذا واتوقعه لانني كنت ادرك طوال حياتي ان من يتعامل مع بون ، فانما يتعامل مع صبي ، وانه لم يكن عليه ان يقف في وجهه وحسب ، بل ان يتوقع اهواءه الجامحة غير المنتظرة . ولم يكن السبب افتقار بون الى الحس السليم ، بل فشلي الخجل في ان اتحسب او افترض انه يفتقر الى ذلك ، فأقول او اصرخ منادياً ايضاً قد تتهمة في مثل هذه الحالة : « الا ترى ان عمري ليس سوى احدى عشرة سنة ؟ كيف تتوقع مني ان افعل هذا كله ، وانا لا اتجاوز الحادية عشرة ؟ » الا ترى انك تحملني اكثر مما تستطيع ان احمل ؟ ، ولكن في اللحظة التالية تحول غضبي الى بون ايضاً : ليس لأن غباوتها قد قضت على رحلتنا الى ممفيس (صحيح ، ممفيس ، كوجهة سير لنا لم تُذكر قط ، لم اذكرها لك ، ولم اذكرها بيدني وبين بون ولماذا تذكرها ؟) إذ اين يمكن الذهاب ان لم يكن الى ممفيس ؟ وقد تفكر او تخشى بعض المخلوقات المسنة ، على فراش الموت ، من رحلة ابعد ، لكن ليس انا وبون . والحقيقة انني كنت اتنى في

هذه اللحظة ، لو انني لم اسمع بمفيس او بون او السيارات -
كنت الآن في جانب الكولونيل سارتوريس ، اتمنى لو احى
السيد بوفالو وحلمه عن وجه الارض) .

لقد غضبت على بون لانه هدم بضربة صبيانية واحدة
اكاذيبي المتهافتة ، المخلوطة ، المذعورة ، ووعودي الزائفة ،
فاضحاً ادعاءاتي التي بادلت بها روحي - كلاً، لعنتها بها- . هذا
أو ربما تعريض أسمال الروح التي لا قيمة لها والتي كنت سخيلاً
حين اعتقدت أن الشيطان سيدفع أي شيء كي يحصل عليها ،
كمن تفقد عذريتها بسبب صدفة عائرة وقعت دون انتباه ،
وليس سعياً وراء اللذة ، أو الخطيئة . لكن حتى الغضب كان
قد ذهب . لم يبق شيء ، لا شيء . ولم أكن أريد ان أذهب
إلى أي مكان ، او أوجد في أي مكان . لو كنت مضطراً ان
أكون اي شيء ، لتمنيت ان أكون فعلاً مضي . قلت ،
وكنت اعتقد ذلك (اعرف انني كنت اعتقد ذلك لأنني قلته
ألف مرة منذ ذلك الحين وما زلت اعتقد ذلك وآمل ان
اقوله آلاف المرات الاخرى في حياتي واتحدى اي شخص كي
يقول انني لن اعتقد ذلك) « لن اكذب ثانية . الكذب
يسبب متاعب كبيرة . تصبح اشبه بمن يشك ريشة من جهة
الرأس في صحن رمل . لن تكون لذلك نهاية . لن تحظى
بالراحة ابداً . ولا تنتهي من ذلك . ولا تستهلك الرمل ابداً
لكي تكف عن المحاولة . »

لكن لم يحصل شيء . نزل بون دون معطف . كان نـد

يحمل بقبنا وسلالنا وصررنا في السيارة . وقهقه قائلاً : «ها
أدرها كي تتمكن من تعطيلها وتجذ الوقت لاصلاحها وتعود الى
المدينة قبل الظلام » . ثم وجه الكلام الى بون قائلاً : « هل
ستعود الى المدينة قبل ان تذهب ؟ »

حينئذ قال بون : « اذهب الى اين ؟ »

« تذهب للعشاء - اين يذهب اي عاقل عند غروب

الشمس ؟ »

« فكر بعشائك انت . انه العشاء الوحيد الذي يجب ان

تهتم بأمره . »

دخلنا ، وتحركنا ، انا على المقعد الامامي مع بون ،

والآخرون في المقعد الخلفي . واجتازنا الساحة المزدهمة كعادتها

بعد ظهر السبت ، ثم اصبحتنا خارج المدينة . كنا نستطيع

ان ننهي الى المفرق المؤدي الى بيت ابن العم زاك ، وكان

يحتمل ان نذهب في الاتجاه الخاطيء . وحتى لو كنا في الاتجاه

الصحيح ، فلم نكن بعد على شيء من الحرية ، ما دامت العمه

كالي وليسيب وموري والكسندر ما زالوا معنا في المقعد

الخلفي ، كنا متحررين من ند الذي كان حيث لا يتوقع احد

ان يكون ، سائلاً . « هل ستعود الى المدينة اولاً؟ » . ولم ينظر

بون إلي قط ، ولم انظر انا اليه . ولم يكلمني كذلك : قد

يكون شعر انه أفزعني بقميصه النظيف وياقته وربطة عنقه

وحلاقتة في منتصف النهار وكل مظاهر السفر ، الرحيل ،

الابتعاد ، الانفصال . وشعر اني لم أكن مذعوراً فقط ، بل

غاضباً لكوني عرضة للذعر . ورحنا نسير في طريق متوهجة تمتد سبعة عشر ميلاً ، كان يجب ان نقرر خلالها شيئاً ؛ رحنا نسير في الطريق التي تضيئها شمس أيار ، وغبارنا يتطاير خلفنا ويهوم إلا اذا خففنا من سرعتنا عند جسر أو أرض مرملة . كانت الاميال السبعة عشر تتناقص بسرعة متزايدة ، بينما كان يجب أن نفعل شيئاً ، أن نقرر شيئاً بسرعة ، بسرعة . ولم أكن بعد أعرف ما هو نوع القرار ، ربما كان شيئاً يقال ، صوتاً ، ضجة ، صوتاً بشرياً ، ما دام أن الثمن الذي ستنتزعه منك اللافضيلة لن يكون من نوع الصمت والوحشة والوحدة . ولكن بون حاول على الأقل ، ربما كان أي خرق للصمت مفضلاً لديه مهما كان سخيلاً أو ساقطاً سلفاً . لا ، كانت القضية أكثر من هذا . كان أمامنا أقل من نصف المسافة ويجب ان نفعل شيئاً ، ان نبدأ بعمل شيء :

« الطرقات أصبحت ممتازة الآن ، وفي كل مكان ، حتى أبعد من مقاطعة يوكنا باثارفا . لا يمكن الانسان أن ينتظر طرقات أفضل من هذه للرحلات البعيدة . كم تظنون ان هذه السيارة تقطع من الآن حتى الغروب ؟ » . رأيت ؟ لم يكن يوجه الكلام الى احد ، شأن الذي يمد يده فوق سطح المياه بجرعة يائسة وهو يفرق آملاً ان يجد قشة يتمسك بها . ولم يجد شيئاً :

« لا أعرف » قالت العممة كالي من المقعد الخلفي وهي تحمل ألكسندر الذي نام منذ ان غادرنا المدينة ولم يبق

مستيقظاً مسافة ميل ، فكيف بسبعة عشر ميلاً . « ولن
تعرفني ذلك ما لم تنعمي النظر فيه وانت جالسة على ذلك المقعد
الخلفي في سيارة مزروبة في حوش بوص . »
وعندما قاربنا الوصول ، قال بون : « إذن تريد ، من
زاوية فمه رافعاً صوته بقدر ما يمكنني سماعه فقط ، مسدداً
الكلام الى اذني كأنه مسدس أو سهم أو حفنة رمل ترشق
على نافذة مغلقة .

- « اسكت ، » قلت متكلماً على طريقته . كان الحل
البسيط ، الجبان ، ان اطلب منه التوقف فجأة ، وعندما
يتوقف اقفز من السيارة تاركاً للعمة كالي الخيار بين ان تترك
الكسندر مع بون وتركض محاولة اللحاق بي في الأحراج ،
وبين ان تبقى مع الكسندر وتلاحقني بصراخهما فقط . اعني
ان تدع بون يقودهم ويوصلهم الى البيت ويتركهم هناك ،
فأثب انا ثانية من جانب الطريق الى السيارة عندما يمر بون
راجعاً الى المدينة او في أي اتجاه آخر يبعدنا عن كل من
يفتقدني وله سلطة عليّ . إنها طريقة الجبن فلم لم اتبعهما ، وانا
الذي صرت ضالاً كاذباً ، انا الذي لعنتُ بسبب خداعي ، لم
لم اذهب الى نهاية الشوط وأصبح جباناً ايضاً وأغدو غير قابل
للإصلاح او الشفاء كفاوست ، فيجبر مجد الانحطاط سيدي
الجديد على احترام كالي وإن استخف بصفر جسمي . لكنني
لم أفعل . فما كان ذلك ليثمر . يجب ان يكون واحد منا على
الأقل عملياً . لنفرض اننا ، انا وبون ، تمكنا من الذهاب قبل

ان يتاح لابنة العم لويزا ان ترسل الخبر الى الحقل حيث يكون ابن العم زاك هناك في الساعة الثالثة بعد الظهر، وقت الزرع. ولنفرض ان ابن العم زاك عجز عن اللحاق بنا على جواده المسرج : ما كان سيفعل هذا ، بل كان سيمتطي جواده ويتجه توأ الى المدينة ، وبعد ان يجتمع بند وابن العم آيك ، كل على حدة ، مدة دقيقة واحدة ، يعرف جيداً ما يفعل ، وسيفعله مستعيناً بالهاتف وبالشرطة .

وصلنا . وخرجت وفتحت البوابة (لم يتغير المكان منذ أيام لوشيووس كوينتوس كاروزرس . وقد وضع ابن عمك الحالي كاروزرس حرساً على أبقاره ، فصار بمقدور السيارات أن تمر ، إنما ليس ذوات الحوافر .) وعبرنا الطريق الى البيت (كان ما يزال هناك ، ذلك البيت المبني من الاخشاب المطلية بالطين ، والذي نصفه مسكن والنصف الثاني حصن بنسائه لوشيووس عندما عبر الجبال من ولاية كارولينا عام ١٨١٣ مع عبيده و كلاب صيد الثعالب . كان ما يزال قائماً هناك مغموراً بألواح الخشب وبزخارف خشبية توضع عادة على المراكب ، كانت قد أضافتها النساء اللواتي تزوجهن رجال آل ادموندس) .

وسمعت ابنة العم لويزا وكل من كان هناك هدير سيارتنا يقترب (باستثناء ابن العم زاك الذي ربما كان قد شاهدنا عن ظهر جواده) فتجمهروا جميعاً على شرفة البيت الأمامية وعلى الدرج وفي الساحة حين وصلنا وتوقفنا .

وقال بون « حسناً ، من زاوية فمه ، واطاف

قائلاً : « تفضل ! » وهكذا كان . لم يعد هناك متسع من الوقت ، ناهيك بعدم وجود انفراد ، كي يعرف فكرة ولو غامضة عن ما كان يحرص اشد الحرص على معرفته . ذلك أننا كنا - هر وأنا - حديثي عهد في هذا الشأن . كنا أقل خبرة من الهواة : بريئين كل البراءة في شؤون سرقة السيارات ، حتى أن أحداً منا لم يصف العملية بالسرقة ، لأننا كنا ننوي إعادتها سالمة ، حتى لو تركنا الناس والعالم (الذي كان جفرسون) حتى لو تركونا وشأننا ولم يفتقدونا .

كان وضعي اسوأ من وضعه . كان كل منا مستميتاً ، لكنني كنت أكثر منه استعجالاً ، إذ كان عليّ ان أفعل شيئاً ، بسرعة ، وفي مدى دقائق ، بينما كان كل ما عليه ان يفعله هو ان يجلس في سيارته شابكاً أصابع يديه . ولم أعرف ماذا أفعل . كنت قد لفتت من الاكاذيب أكثر مما تصورت ان خيالي يستطيع . وقد نجحت باقناع الآخرين بصدقها ، او على الاقل باحتمال وقوعها ، مما ملأني بالدهشة ان لم أقل بالرعب : كنت في موقف الزنجي الذي قال : « انا هنا يا إلهي . فاذا كنت تريد خلاصي فهذه هي أفضل فرصة تراني فيها واقفاً هنا محدقاً فيك . » لقد أطلقت آخر سهامى ، وكذلك بون . إذا كانت اللافضية ما تزال راغبة في أي منا ، فقد كانت هذه فرصتها .

وقد فعلت . كانت قتلبيس ابن العم زاكاري ادموندس . لقد خرج من الباب الأمامي في تلك اللحظة ، وفي اللحظة

ذاتها رأيت في الساحة صبياً زنجياً يسك بلجام جواده. أفهمت ما أعني؟ ابن العم زاكاري ادموندس الذي لا تراه جفرسون في أيام الأسبوع، منذ ان يبدأ العمل في الأرض في اوائل آذار حتى يتوقف في تموز - ابن العم زاكاري نفسه ذهب الى المدينة هذا الصباح (لسبب ضروري يتعلق بالطاحون) وتوقف في مخزن ابن العم آيك بعد خروجي منه بدقائق. فقد طابقت اللافضية بين الوقت الذي حملت فيه بون على ان يخلق ويبدل قيصه، وبين الوقت الذي يحتاج اليه ابن العم زاك كي يعود الى البيت على جواده وينزل عن ظهره عند العتبة، لحظة سمعوا هناك هدير سيارتنا. وقال لي: «ماذا تفعل هنا؟ آيك اخبرني انك ستبقى في المدينة الليلة، وسيأخذك لصيد السمك غداً.»

وطبعاً بدأت العمة كالي تصرخ، لذلك لم أكن بحاجة إلى ان اقول شيئاً، حتى لو كنت اعرف ما يجب أن يقال. «صيد السمك يوم الأحد؟ لو سمع ابوه هذا، لقفز من القطار هذه اللحظة، حتى دون ان يرسل برقية! وأمه أيضاً. الآنسة أليسون لم تقل له ان يبقى في البلدة مع السيد آيك، أو أي شخص آخر! وإنما قالت له أن يأتي معي إلى هنا هو وهؤلاء الاولاد، وإذا لم يكن سلوكه كما يجب، علمه السيد زاك كيف يكون السلوك.»

وقال ابن العم زاك: «حسناً حسناً. كفي عن الصراخ

لحظة . لا أستطيع سماعه . ربما غير رأيه . هل غيرت رأيك ؟

« فقلت : سيدي ؟ نعم سيدي . أعني ، كلا سيدي ! »
« حسنا ، اختر لنفسك . هل تبقى هنا أم تعود مع بون ؟ »

« نعم ، سيدي ، اعود . قال لي ابن العم آيك ان أسألك إذا كنت تستطيع العودة . » واخذت العمه كالي تصرخ ثانية (الحقيقة انها لم تكف عن الصراخ إلا لتأخذ نفسا طويلا ، إطاعة لأمر ابن العم زاك) . وانتهى الأمر عند حد الصراخ ، فيما كان ابن العم زاك يأمرها قائلاً : « اسكتي ، اسكتي . لا اقدر ان اسمع صوتي . إذا لم يحضره آيك غداً ، ارسلت في طلبه يوم الاثنين . » وعدت إلى السيارة ، وكان بون قد ادار المحرك .

وقال بون : « ويحي ، دون ان يرفع صوته ، وباحترام كلي يخالطه بعض الخوف . »

وقلت : « هيا . لنخرج من هنا . » ومضينا مسرعين باتجاه البوابة . وقال بون :

« لعلنا نضيع وقتنا بانفاقه على رحلة في سيارة . ربما يجب ان استخدمك في شيء يكون فيه نفع مادي . »
وقلت له : « ما عليك الا ان تتابع سيرك . » إذ كيف كنت أستطيع ان اقول له :

« لقد اسقمني الكذب ، والاضطرار الى الكذب ! »

لأنني عرفت ، ادركت ان ما لفقناه من اكاذيب ليس سوى
بداية ، وانه لن يكون آخر الاكاذيب .

وعدنا الى المدينة ، منطلقين هذه المرة بسرعة ، دون ان
يسمح لنا بمشاهدة مناظر الطريق . كانت الساعة حوالي
الخامسة . وتكلم بون بحدة والحاح قائلاً : « يجب ان نوقفها
لفترة . رأوني انقلكم الى مـاك كاسلن ، وسيروني اعود
واياك وحيدين . لذلك يتوقعون ان يروني اعيد السيارة الى
حظيرة بوص . ثم يجب ان يرونا ، انا وانت ، مفترقين ،
نتمشي كأننا لم يحدث شيء . » ولكن كيف كان لي ان اقول
له : « لا . لنذهب الآن . إذا كان عليّ ان اكذب بعد ،
فليكن ذلك على الغرباء ! » وكان بون ما يزال يتكلم :
« - سيارة . ماذا قال عما إذا كنا سنرجع الى المدينة قبل
ذهابنا ؟ »

« ماذا ؟ من قال ؟ »

« ند . هناك قبل ان تغادر المدينة . »

« لا أذكر . ماذا عن السيارة ؟ »

« اين نتركها . بينا اقوم بجولة حول الساحة ، تذهب انت

الى البيت وتأتي بقميص نظيف او اي شيء آخر تحتاج اليه . عليّ

ان أنزل كل الحوائج في ماك كاسلن . حوائجك ايضاً . وذلك

خشية ان يتدخل شخص فضولي يكون واقفاً بالصدفة ، كما

يحصل غالباً . » وكان كلانا يعرف من يعني بهذا الشخص .

« لم لا تستطيع ان تضعها في الكراج ؟ »

« المفتاح ليس معي . ليس سوى القفل . بوص اخذ
المفتاح مني هذا الصباح وفتح القفل واعطى المفتاح للسيد
بالوت ليحتفظ به حين عودته . والمفروض ان أدخل السيارة
حالما اعود من ماك كاسلن واغلق القفل عليهما . وسيبرق
بوص إلى السيد بالوت عن القطار الذي سيأتي فيه كي يفتح
الباب واستطيع ان استقبله . »

« إذن يجب ان نحاطر ! »

« نعم ، سنضطر للمخاطرة . ربما بغياب بوص والسيدة
سارة . حتى دلفين ذاتها لن تراه ثانية قبل الاثنين . » وهكذا
جازفنا . فأوصل بون السيارة الى الكراج وأخذ صرته ومعطفه
من عتلية البيت ، حيث كان قد خباهما . ثم مد يده ثانية
واخرج مشمعا ملفوفا ووضع صرته ومعطفه في داخله ، وألقى
بهذه كلها على مقعد السيارة الخلفي . وكانت قنكة البنزين
جاهزة : كانت قنكة جديدة تتسع لخمسة جالونات أوصى
عليها جدي عند السنكري الذي كان يصنع له عدة العمل ،
وقد صنعها بحيث يحول دون تسرب الرائحة منها ، لأن جدي
لم تكن تحب رائحة البنزين . ولكننا لم نستعمل القنكة قبل
الآن لان السيارة لم تبعد هذه المسافة من قبل . اما القمح
ومصفاة البنزين فقد كاتا في صندوق العدة مع ادوات الاطارات
والعفريت والمفاتيح الانكليزية ، وهي عدة تأتي مع السيارة
من المعمل ، ثم الفانوس والفأس والمجرفة والاسلاك الشائكة
والبكرة وادواتها ، وهي التي أضافها جدي مع دلو الصفيح

لملء خزان التبريد بالماء عندما نمرّ قرب ساقية او بئر . وقد وضع التنكة في مؤخرة السيارة وهي مملوءة (ربما كان هذا هو السبب الذي جعله يتأخر في المجيء الينا) وفتح المشمع دون ان يفلشه ، ثم لملءه ووضع في المؤخرة ، فبانت كل محتوياته وكأنها جزء من المشمع نفسه . ثم قال : « سندخل حوائجك بالطريقة نفسها . حينئذ ستبدو جزءاً من المشمع الذي يظهر وكأن صاحبه تكاسل عن طيه . أفضل ما تفعله هو ان تذهب الى البيت وتحضر قميصاً نظيفاً وتعود الى هنا للحال وتنتظر . لن أتأخر . سأتجول حول الساحة فيراني آيك ، إذ ربما أراد أن يعود الى طرح الاسئلة من جديد . بعد ذلك نذهب . »

وأغلقنا الباب . وبدأ بون يعلّق القفل المفتوح في الرزّة . فصرخت : « لا . » ولم أستطع ان أذكر السبب . كنت قد نضجت بسرعة هائلة في الشر : « ضعه في جيبك . » لكنه عرف السبب . فقال : « أصبت . لقد فعلنا المستحيل لكي لا نسمح لاحد أن يمر بالصدفة ويقفله متصوراً أنني نسيت إقفاله . »

وذهبت الى البيت . كان في الجهة المقابلة من الشارع . وكان خالياً، وغير مقفل طبعاً ، إذ لم يكن احد في جفرسون يقفل بيته في تلك الأيام الآمنة . كانت الساعة بعد الخامسة بقليل ، لكن النهار كان قد انتهى ، اما البيت الخالي الصامت فلم يكن خامداً مطلقاً بل كان مسكوناً بحضور كائنات حبست

أنفاسها. وفجأة تمنيت حضور امي؛ لم أعد أريد حريتي، أردت ان
 ارجع، ان اقلع عن هذا، ان اكون آمناً ، وانجو من هذا النوع من
 التصميم واتخاذ القرارات إنما كان الوقت قد فات الآن، اذ كنت
 قد اخترت، قد انتخبت. وإذا كنت قد بعثت روجي للشيطان
 بأكلة عدس فالأحرى بي ان أحصل هذا العدس وآكله: ألم يذكرني
 بون نفسه بذلك ، منذ هنيهة ، وكأنه قد تنبأ بلحظة الضعف
 والتردد هذه التي ستنتابني في البيت الخالي ، محذراً : « لقد
 تورطنا كثيراً كي لا نتيح لأي شيء ان يوقفنا عما نؤينا عمله . »
 كانت ثيابي المكونة من القمصان الجديدة ، والبنطلونات ،
 والجوارب ، وفرشاة الاسنان ، قد اصبحت في ماك كاسلن .
 طبعاً ، كان في دولاب ملابسي المزيد منها ، باستثناء فرشاة
 الاسنان التي لم يكن احد يهتم بأمرها في غياب امي ، لا
 العمه كالي ولا ابنة العم لويزا . لكنني لم آخذ أية ملابس ،
 ليس لأنني نسيت ، بل لأنني لم أنو ان افعل ذلك قط .
 ودخلت البيت ووقفت داخل الباب مدة تكفي كي اثبت
 لنفسي انني ، بيني وبين بون ، لم اكن انا الذي عجزت عن
 القيام بالواجب . ثم عدت اقطع الشارع واعبر ساحة بيت
 جدي الى الحوش . لم اكن انا الذي عجزت عن القيام بالواجب
 ثم عدت أقطع الشارع وأعبر ساحة بيت جدي الى الحوش .
 لم يكن بون هو الذي قصّر بواجبه ، إذ سمعت المحرك يهدر
 يهدو قبل ان ابلغ الكراج . وكان بون خلف المقود، فقال:
 « اين قميصك النظيف ؟ لا بأس . سأشتري لك واحداً في

مفيس . هيا ، يمكننا ان نتحرك الآن . « وأخرج السيارة .
كان القفل المفتوح معلقا في الرزة . وناداني : « تعال . لا
تتوقف لا قفاله فتؤخرنا . »

فقلت : « لا . » دون ان استطيع ، هذه المرة ايضا ،
ان اوضح السبب : إذ باغلاق الباب وإطباق القفل قد يبدو
كان السيارة سالمة في الداخل . وهكذا كانت المسألة كلها
تبدو لي كأنها مجرد حلم سأصحو منه غداً ، او ربما الآن ،
او في اللحظة التالية ، واعدو آمنا وانجو . فاغلقت الباب
واطبقت القفل وفتحت البوابة لبون كي يخرج ، ثم صعدت
الى السيارة وهي تسير - اذ انها لم تتوقف تماما ثم قلت
لبون : « اذا ذهبنا من الطريق الخلفية ، نتجنب المرور في
الساحة . » فأجاب :

« فات الوقت الآن . كل ما يمكنهم فعله هو الصراخ . »
لكن احداً لم يصرخ . حتى وإن كنا قد قطعنا الساحة ،
فلم يكن الوقت قد فات بعد . الخطوة التي لا تقبل التراجع
كانت ما تزال امامنا على بعد ميل حيث تتفرع الطريق الى
ماك كاسلن من طريق مفيس . هناك كنت استطيع أن اقول :
« توقّف . انزلني . » وكانت سيمثل لي . او اقول :
« ارجعني الى ماك كاسلن . » واعرف انه كان سيفعل ذلك
ايضا . ثم ادركت فجأة انني لو قلت له : « ارجع . سأخذ
المفتاح من السيد بالوت ، وسرّج السيارة الى حظيرتها حيث
يعتقد بوصولها موجودة الآن . » كان سيفعل ذلك . بل

اکثر من هذا : كان يريدني ان افعل ذلك . كان يتوسل إلي بصمت ان افعل . كان كلانا مذهولاً ليس من جرأته منفرداً ، بل من طيشنا المشترك المتبادل . وكان بون يعرف انه لا يملك القوة لتحمل هذا ، لذلك طرح نفسه عليّ معتمداً على قوتي واستقامتي . رأيت ما اخبرتك عن اللافضية ؟ لو ان الامور انعكست وكنت انا الذي يرجو بون بصمت كي يعود ، كنت ساعتمد على عنصرَي الفضية والشفقة عنده ، وهو ما كان معدوماً لديه . لذلك لم اقل شيئاً . حتى مفرق الطريق ، اليد الضعيفة العاجزة التي حسبت انها ستمتد وتخلصني ، مرت بنا سريعاً ثم اختفت الى غير رجعة . فقلت بيدي وبين نفسي : حسناً ، ما قد جئت . ولعل بون سمع ذلك ، على اية حال فقد تركنا جفرسون ورائنا . كان الشيطان سيدافع عن نفسه في اليومين التاليين على الاقل . اذ همس في آذاننا قائلاً : « ليس امامنا ما نقلق له سوى وادي الجحيم الذي سنعبه غداً . اما وادي الأعاصير فليس مهماً » .

« من قال انه مهم ؟ » كان وادي الاعاصير يبعد اربعة اميال عن البلدة . وكنا ، طوال حياتنا ، نعبه بسرعة دون ان نعرف اسمه . لكن الذين كانوا يعبرونه آنذاك كانوا يعرفونه . كان هناك جسر خشبي يقوم فوق الساقية ، لكن الاماكن المجاورة له كانت ، حتى في اوج الصيف ، بمثابة حفر عميقة مملوءة بالوحول . وقال بون :

« هذا ما أقوله لك . لم يكن شيئاً مهماً . عبرناه انا

والسيد ووردوين في العام الماضي ، حتى دون ان نستعمل
البكرة وادواتها ، بل بالفأس والمجرفة اللتين استعارهما السيد
ووردوين من بيت علي مقربة نصف ميل . ومما اظن انه
أرجعها . ولكن ، لحسن الحظ ، جاء صاحبها في اليوم التالي
وأخذها .

كان علي حق . فقد عبرنا الحفرة الأولى ووصلنا الى الجسر ،
لكن الحفرة الثانية أوقفتنا . فترنحت السيارة مرة ، مرتين ،
ثم مالت وتوقفت وجمدت في مكانها . فلم يضع بون الوقت ،
اذ خلع حذاءه (نسيت ان أقول بانه قد لمّعه أيضاً) وطوى
بنظونه ونزل في الوحل ، صائحاً بي : « انتقل إلى هنا .
أدر أقصى السرعة وانطلق حين أقول لك . هيا . انت
تعرف كيف تقودها الآن . علمتكم هذا الصباح . » وجلست
أمام المقود . ولم يستعمل البكرة وأدواتها ، بل قال : « لا
أحتاج إليها . يستغرق إخراجها واعادتها وقتاً طويلاً وليس
أمامنا وقت . » ولم يحتج إليها : كان هناك سياج قرب الطريق ،
فاقتلع القضيب العلوي ، وركبناه في الوحل والماء ، ودفع
قضيب السياج تحت محور العجلات وقال : « الآن ، اضبط
على دواصة البنزين ! » ورفع السيارة الى الأعلى ودفعتها الى
الأمام حتى أوصولها الى الارض الجافة ثانية صارخاً بي :
« أقفلها ! أقفلها ! » ففعلت ذلك ، فصعد وأزاحني جانباً
وجلس أمام المقود ، ولم يتوقف كي يرخي ساقى بنظونه
الملوثين بالوحل .

كانت الشمس تشارف المغيب الآن . وكان الظلام سيحل
قبل ان نصل الى البنوز ، حيث يمكننا تضيئة الليل . وانطلقنا
بأقصى السرعة ، ونحن نمر قرب بيت ويوت ، وهم اسرة من
أصدقائنا ، كان أبي قد اخذني لصيد الطيور في جوارهم ،
في عيد الميلاد الماضي . كانت تبعد ثمانية اميال عن جفرسون ،
ولكن ما يزال بينها وبين النهر أربعة اميال . ومضينا . كان
القمر سيطلع بعد قليل ، لأن مصابيح الكاز الأمامية كانت
تصلح لتعرف الناس بقدمك ، اكثر مما تصلح لاضاءة الطريق
أمامك . وفجأة قال بون : « ما هذه الرائحة ؟ أهى منك ؟ »
وقبل ان اتمكن من النكران ، كان قد ضغط على الفرامل
وتوقف لحظة ، ثم استدار الى الوراء ومدّ يده وقذف كتلة
المشمع المنكورة الى مؤخرة السيارة وهنسا نهض ند من أرض
السيارة . كان يرتدي بزة سوداء مع قبعة وقميص أبيض دون
ياقة أو ربطة عنق ، وهو ما كان يلبسه ايام الأحاد . وكان
يحمل بيده شنطة صغيرة (تدعونها اليوم حقيبة او محفظة)
كانت للوشبوس ماك كاسلن ، قبل ان يولد أبي

لا اعرف ماذا كان يضع فيها في المناسبات الأخرى . كل
ما رأيت فيها هو الكتاب المقدس (منذ ايام جدة جدته)
ولم يكن يحسن قراءته . كما كان فيها زجاجة تحوي دلمقان
من الوسكي .

وصاح بون : « ما هذا ؟ »

فأجاب ند مقمقماً كعادته : « وانا ايضاً اريد ان اذهب في

رحلة ! »

الفصل الرابع

وقال ند : « لي الحق ان اقوم برحلة ، مثلك وقبل
لوشيوس وأكثر . هذه السيارة تخص بوس . وما لوشيوس
سوى حفيده ، اما انت فلا قرابة لك به قط . »
وقال بون : « حسناً ، حسناً . ما اعنيه هو انك استلقيت
تحت ذلك الغطاء طوال الوقت وتركتني اغوص في الوحل
وأرفع السيارة وحدي . »

وقال ند : « كان الحر شديداً تحته أيضاً . لا أعرف
كيف تحملته . هذا فضلاً عن اضطراري لتفادي تحطيم رأسي
بهذه التنكة ، كلما كنت تخضعنا ، ثم انتظاري حتى يدخل
البنزين ، او اياً كان الاسم الذي تدعوه به ، حيث يمكن ان
يشتعل . ماذا كنت تريدني ان افعل ؟ كنا على بعد اربعة
اميال من البلدة . كنت ستجبرني على العودة الى البيت ماشياً »

فقال بون: « نبعد الآن عشرة اميال، فما الذي يجعلك تظن انك لن ترجع الى البيت ماشياً؟ »
 فقلت للحال: « هل نسيت؟ مزرعة ويوت تبعد مبلين. »
 وقال ند بانسراح: « صحيح. لن نسير مسافة طويلة من هنا، ولكن بون لم يطل النظر إليه، بل قال له: « اخرج واطور ذلك الغطاء كي يشغل مكاناً كبيراً، جدد هواءه قليلاً إن كنا سنبقيه معنا. »
 وقال ند: « تتكلم وكأنني قد أسأت التصرف وعرضت نفسي للانتقاد. »

وأضاء بون انوار السيارة الأمامية عندما توقفنا، ومسح قدميه وساقيه باحدى زوايا الغطاء ثم لبس جواربه وخذاه وارخى اطراف سرواله، وكانت قد جفنت. كانت الشمس قد غربت الآن وصرنا نستطيع رؤية ضوء القمر. وعندما نصل الى بالنبور سيكون الليل قد انتصف.

وقد علمت ان بالنبور اصبحت مكاناً لصيد السمك يديرها بين الحين والآخر مهرب ايطالي - واعني بقولي بين الحين والآخر مدة الاسبوع او الاسبوعين اللذين يحتاج اليهما العمدة الجديد الذي ينتخب كل اربع سنوات ليكتشف الارادة الحقيقية للشعب الذي حسب انه صوت له. كانت من تلك المنطقة من وادي النهر - وهي جزء من حلم البارونية البائد عند توماس ستين وموقع مخيم الصيد الخاص بالميجر دي سبين - قد اصبحت الآن منطقة لتصريف المياه. كما كانت

الاحراج - التي كان بون يصيد فيها الدببة والغزلان والفهود ،
ايام شبابه ، او التي كان يرتادها اثناء قيام اسياده بالصيد -
هذه قد اصبحت الآن مزروعة بالقطن والذرة ، حتى ان
عبارة ويوت لم تعد إلا اسماً لغير مسمى .

وحتى عام ١٩٠٥ ، كانت هناك بقايا أحراج ، على الرغم
من اكثر الغزلان وجميع الدببة والفهود (وكذلك الميجردي سين
وصياديه) قد اختفت ، ومثلها العبارة . واصبحت عبارة
ويوت تدعى الآن بالجسر الحديدي . وقد سمي بالجسر الحديدي
لأنه كان اول جسر حديدي عرفناه في مقاطعة يوكناباتا وفا ،
كما ظل الجسر الوحيد عدة سنين . لكن في الايام الغابرة
- ايام صغار ملوكنا ، ملوك التشيكاسو ، امثال استينيها
ومو كيتوتبي ومغتصب العرش الذي كان يسمى نفسه «الهلل»
وكذلك عندما اتى ويوت الأول وأراه الهنود العبارة وبني
مخزنه وزورقه واطلق عليه اسمه - لم تكن هذه العبارة هي
الوحيدة على مسافة اميال عديدة وحسب ، بل كانت مركزاً
لحركة الملاحة ايضاً . كانت المراكب (عند ارتفاع المياه في
الشتاء ، حتى المراكب البخارية الصغيرة) تصل إلى باب بيت
ويوت قادمة من فيكسبرج حاملة الوسكي والمحارث وزيت
الكاز وروح النعناع وترجع محملة بالقطن والفراء .

لكن ممفيس كانت اقرب من فيكسبرج حتى بواسطة
قوافل البغال ، لذلك بنيت طريق مستقيمة قدر الامكان تمتد
من جفرسون حتى المنعطف الجنوبي لمعبر ويوت وطريق

اخرى مستقيمة قدر الامكان ايضا تمتد من الطرف الشمالي للمعبر حتى ممفيس . لذلك اصبح القطن والبضائع الأخرى تأتي وتذهب بواسطة تلك الطريق على عربات تجرها البغال او الثيران . وفجأة ظهر من الغيب عملاق مجبول النسب يدعو نفسه بالنبو . وقد قال البعض انه اشترى من ويوت الغرفة الصغيرة المعتمة الهادئة التي كانت تضم المسكن والمخزن بما في ذلك كل حقوق ملكية ويوت في عبارة تشيكاسو القديمة . وقال آخرون ان بالنبو أدخل في رأس ويوت بأنه (اي ويوت) قضى هناك مدة كافية ، لذلك آن له أن يبتعد اربعة اميال عن النهر ويصبح مزارعاً .

على اية حال ، هذا ما فعله ويوت . ثم أصبح محله المنعزل للصغير الذي قام وسط البرية ، مكاناً صاخباً بكل ما في الكلمة من معنى : أصبح نزلاً وموقفاً لتناول الطعام وصالة لعمال تحميل المراكب العابرة ، وسائقي عربات البغال الذين كانوا سليطي اللسان وقساء القلوب يجيئون لمقابلة العربات عند ضفتي النهر ، بينما يقوم بغلان او ثلاثة ، وأحياناً اربعة ، وقد ربط بعضها الى البعض الآخر ، يجر العربات الثقيلة الى العبارة عند إحدى الضفتين ، ثم بالعكس : من العبارة الى التلال المجاورة . كان مكاناً صاخباً لم يستطع مجابهته غير الرجال الأشداء ، دون غيرهم ، الى ان قام الكولونيل سارتوريس (ولا اعني صاحب المصرف ذا اللقب غير الرسمي الذي ناله بالوراثة والقراية ، والذي كان مسؤولاً عن وجودي ووجود

بون حيث نحن الآن ، بل اعني اياه ، الكولونيل الحقيقي في جيش الولايات الاميركية الاتحادية - الجندي ورجل الدولة والسياسي والمبارز ، الذي يقول عنه أحد الذين تحدروا من سلالته من ابناء اخوته وعمومته - وهو شاب من مقاطعة يوكناباتوفا ، له من العمر احدى وعشرون سنة - انه قاتل قام ببناء سكتة الحديدية حوالي عام ١٨٦٥ ثم قضي عليه .
 لكنه لم يهدم سكة بالنبو ، فجاءت قطارات الشحن وطردت المراكب من النهر وغيرت اسم عبارة ويوت الى اسم عبارة بالنبو . ثم انتزعت القطارات بالات القطن من العربات ، فأزالت لذلك العبارة من بالنبو ، لكن كان ذلك كل شيء .
 وقبل تلك الفترة بأربعين سنة ، اي ايام التاجر البسيط ويوت ، اثبت بالنبو انه قادر على التنبؤ بالموجة التي ستحدث في المستقبل والسيطرة عليها . ثم كان عهد ابنه ، وهو عملاق آخر جاء لابسا (كما قيل) معظفاً مبطناً بأوراق مالية اميركية غير مقصوفة ، حين عاد عام ١٨٦٥ من اركنساس ، حيث خدم وُسرح بشرف من فرقة فدائين وطنيين نسي فيما بعد اسم قائدها . وقد اثبت انه لم يخسر شيئاً من حذقه ومهارته ودرايته بكل شيء .

وكان الناس في الماضي يمرون بالنبو بملك ويتوقفون فيه لقضاء ليلة . اما الآن فانهم يذهبون اليه في الليل ويذهبون مسرعين ليعطوا بالنبو اطول وقت ممكن لإخفاء الحصان أو البقرة في المستنقع قبل وصول رجال القانون أو صاحب الحيوان

المسروق . ذلك انه ، بالاضافة الى جماعات المزارعين الحانقين الذين كانوا يتتبعون آثار حوافر خيولهم ومواشيهم التي ذهبت بلا رجوع ، كان هناك العمدة الذين يتبعون المجرمين الحقيقيين الى بالنبو . فقد ترك محصل ضرائب فدرالي واحد على الأمل مجموعة من آثار الأقدام التي لم ترجع . لأن بالنبو الابن لم يكن يكتفي ببيع الوسكي مثل أبيه بل كان يصنعها أيضاً . ثم اصبح حامياً لما يسمى تغطية وتلطيفاً ، بصالة الرقص . وما ان حلت اواسط العقد الثامن من القرن ، حتى اصبح اسم بالنبو مرادفاً للرعب والسخط الى مسافات بعيدة . وقد حاول القسس والعجائز من السيدات اختيار عمد يكون هدفهم اخراج بالنبو وسكيرييه وموسيقيه ومقارميه وبناته خارج مقاطعة يوكنا بانوفا ، بل خارج مسيسيبي إن امكن . لكن بالنبو وحاشيته - الاسطبل ، بيت الملذات ، سده ، شئت - لم يزعجوننا قط نحن الآخرين . فهم لم يخرجوا ابداً من معتقلهم كما لم يكن هناك قانون يجبر احداً على الذهاب إليهم . كذلك بدا ان هوايته الجديدة (التجسد) كانت مفيدة حتى انتشر خبر مفاده ان كل شخص لا يتطلع أو يطمح الى الحصول على أكثر من حصان مريض او بقرة عجفاء فهو غير مقبول هناك . وهكذا عمد الراشدون الى ترك بالنبو ، بما فيهم العمدة الذين لم يكونوا راشدين فحسب بل أرباب عائلات ايضاً . وقد اتخذوا عبرة بما حل بمحصل الضرائب الفيدرالي الذي اختفى في تلك الجهة منذ مدة غير بعيدة .

بقيت الحال كذلك حتى عام ١٨٨٦ ، عندما جاء الى
 بالنبو قسيس معمداني اسمه حيرام هايتور . كان هو ايضاً
 عملاقاً كبالنبو وبمثل ضخامته . وكان ايام الاحاد ، منذ
 عام ١٨٦١ حتى عام ١٨٦٥ ، قسماً من جماعة فورست ، وفي الأيام
 الستة الباقية من أقسى جنوده واجراًهم . وقد جاء هذا
 القسيس مسلحاً بانجيوله وببيديه الخاويتين ورداً المنطقة
 بكاملها الى الدين بواسطة قبضتيه ، واحداً واحداً كلما استطاع ،
 واثنين اثنين ، أو ثلاثة ثلاثة ، كلما اضطر الى ذلك . وهكذا
 عندما جئت انا وبون وند في غسق يوم من ايام ايار عام ١٩٠٥ ،
 كان بالنبو يتجسد للمرة الثالثة في شخص آنسة يبلغ عمرها خمسين
 سنة ، كانت ابنته الوحيدة وكانت متأنقة نحيلة صارمة شاحبة اللون
 تقوم بزراعة ربع ميل مربع من الأرض الخصبة الصالحة لزراعة
 القطن والذرة ، وبإدارة مخزن صغير تعلوه غرفة فيها صف
 من فرش القش ، وقد غطي كل فراش منها بشراشف وأغطية
 ومساند وبطانيات نظيفة جداً . وكانت تلك العلية مخصصة
 لنوم صيادي الثعالب والراكون والسماك ، الذين (كما قيل)
 كانوا يعودون دائماً ليس من اجل صيد الحيوانات والسماك ،
 بل من أجل الموائد التي كانت تعدها الآنسة بالنبو .
 سمعت جلبتنا نحن ايضاً . لم نكن نحن الأول . فقد قالت
 لنا ان سيارتنا كانت الثالثة عشرة التي مرت من هناك خلال
 السنتين الأخيرتين ، وان خمساً منها قد مرت خلال الأربعين
 يوماً الأخيرة . وقد فقدت من جراء ذلك خمس دجاجات ،

وربما اضطرت لإبقاء كل دواجنها مزروبة ، حتى الكلاب .
كانت تقف هي والطباخة ورجل اسود في الرواق الامامي
وقد غطوا عيونهم من وهج أضوائنا الامامية : لم تكن تعرف
بون من قديم وحسب ، بل تعرفت الى سيارته من النظرة
الاولى . فهي وان لم تكن قد رأت غير ثلاث عشرة سيارة ،
فقد كانت تستطيع التمييز بين السيارات تمييزاً حسناً .

وقالت : « اذن ، تمكنت فعلاً من الوصول الى جفرسون ! »
وقال : « ها قد مضت سنة . يا الله ، يا آنسة بالنبو .
وصلت هذه السيارة الى اماكن أبعد مئة مرة من جفرسون ،
منذ ذلك الحين ألف مرة . ان لك ان تستسلمي : عليك ان
تعتادي السيارات كأي شخص آخر . » كانت هذا عندما
اخبرتنا عن الثلاث عشرة سيارة خلال سنتين ومن الدجاجيتين .
« على الاقل ركبتا سيارة لمسافة قليلة وهو ما لا يمكنني
قوله . »

وقال بون : « أتعنين انك لم تركبي سيارة بعد ؟ هيا يا زبد
اخرج من هناك مع الحقائق . اسرع ، دع الآنسة بالنبو تلبس
في المقعد الامامي حيث يمكنها ان ترى جيداً . »
وقالت الآنسة بالنبو : « انتظر . يجب أن أكلم ليس
بشأن العشاء . »

وقال بون : « يمكن العشاء ان ينتظر . اراهن ان ليس ،
هي ايضاً ، لم تركب سيارة قط . هيا يا أليس . من ذا الذي
معك ؟ زوجك ؟ »

وقالت الطباخة : « لا ابحث عن زوج ، ولن افكر في
« إفوم » حتى لو كنت ابحث عن زوج . »
وقال بون : « احضريه معك على اية حال . » وتقدمت
الطباخة والرجل وركبا في المقعد الخلفي مع تنكة البنزين
والنظاء المطوي . ووقفت انا وند في ضوء المصباح عند الباب
المفتوح وراقبنا السيارة والضوء الخلفي الأحمر ، وهي تسير
على الطريق . تتوقف ، وترجع الى الخلف ، وتدور ، وتعود
مارة بنا . وضغط بون على الزمور . كانت الآنسة بالنبو تجلس
منتصبة على المقعد الامامي ، وهي متوترة الاعصاب قليلاً ،
بينما جلست أليس وإفوم في المقعد الخلفي . وحين مروا قربنا
أشار إلينا ، وهتف إفوم لند قائلاً :
« يا سلام ! »

وقال ند عن بون : « انه يتباهى . يجب ان يكون مسروراً
جداً لان بوض بريست ليس واقفاً هنا ايضاً . وإلا لكاتب
لقنه درساً » . ووقفت السيارة ورجعت الى الخلف ودارت
ثانية وعادت في اتجاهنا ووقفت . وبعد لحظة قالت الآنسة
بالنبو « حسناً . » ثم سارت وقالت بسرعة : « هيا يا أليس »
وهكذا تعشينا . وعرفت لماذا كان القناصة وصيادو السمك
يعودون . ثم سار ند مع إفوم ، ورافقت انا الآنسة بالنبو
بينما كان بون يحمل المصباح . وصعدنا جميعاً الى الغرفة التي
تعالو الخزن .

وقال بون : « ألم تحضر شيئاً ، حتى ولا منديل نظيف؟ »

« لن احتاج الى شيء . »

« حسناً ، لا تقدر ان تنام هكذا . انظر الى هذه الفراشيف النظيفة . اخلع حذاءك ومسروالك على الاقل . امك تجعلك تنظف اسنانك ايضاً .

« كلا ، ما كانت لتجعلني . لا يمكن . ليس معي اي شيء انظفها به . »

« ما كان هذا ليمنعها ، وانت تعرف ذلك . ان لم تستطع ايجاد شيء عملت شيئاً لتنظفها به او لتعرف سبب ذلك . »
« رقلت : « حسناً ، وكنت قد استلقيت على فراشي ، فقال : « تصبح على خير . » ووقف رافعاً يديه ليظفء المصباح وهو يقول :

« هل انت بخير ؟ »

« اسكت . »

« دعنا نعود الى البيت . ليس الآن بل غداً صباحاً . »
« أبعد كل هذه المدة تخاف ؟ »

وقال : « طابت ليلتك . » ثم أطفأ المصباح واستلقى على فراشه . وخيم ظلام الربيع : نقيق الضفادع الكبيرة الأجنس والصوت الذي تحدثه الغابات ، الغابات الكبيرة ، البرية بما فيها من حيوانات برية : الراكون والارانب والقنادس والبوم والأفاعي الكبيرة - الافاعي السامة والحيات ذوات الأجراس - وربما كانت الأشجار ذاتها تتنفس ، حتى النهر يتنفس . هذا فضلاً عن الأشباح - تشيكاسو القدماء

الذين اعطوا الأرض اسمها قبل ان يراها البيض ، ثم من بعدهم
البيض أنفسهم - ويوت ، وستوبن المعجوز ، وصيادو الميجر
دي سبين ، والزوارق المسطحة المملأى بالقطن ، ثم قطارات
الشحن وسائقو العربات وسلسلة اللصوص والقتلة التي جاءت
بالآنسة بالنبو . وفجأة عرفت الصوت الذي كان يحدثه بون .
وقلت لبون : « علام تضحك ؟ »

« افكر في بطن وادي الجحيم . سنصل اليه حوالي
الحادية عشرة قبل ظهر غد . »

« ظننتك قلت اننا سنواجه المتاعب هناك . »

« الحقيقة اننا سنواجه المصاعب . سنتعب الفأس والمجرفة
والسلك الشائك والبكرة وادواتها وجميع درابزينات السياج ،
كما سنتعب نحن الثلاثة ، انا وانت وند . هذا ما يضحكني .
فعندما ننتهي من وادي الجحيم غداً ، سيتمنى ند لو انه لم
يسء التصرف باختبائه تحت ذلك الغطاء حتى يشعر اننا
وصلنا الى ممفيس . »

ثم ايقظني باكراً ، كما ايقظ كل شخص على مسافة نصف
ميل ، مع ان ايقاظ ند الذي كان ينام في بيت افوم واحضاره
الى المطبخ ليتناول فطوره استغرق بعض الوقت ، كما ان
اخرجه من المطبخ ، استغرق وقتاً أطول لوجود امرأة فيه .
وقتناولنا طعام الغداء . ثم اني لم اشعر بأية رغبة في الذهاب
الى اي مكان لو كنت قناصاً او صياد سمك . وأخذ بون
الآنسة بالنبو في رحلة أخرى في السيارة ، ولكن دون

اصطحاب أليس وإفوم هذه المرة ، على الرغم من ان افوم كان موجوداً . ثم قمنا انا بون بتعبئة خزان السيارة بالبنزين وتعبئة جهاز التبريد لا لانها كانا بحاجة الى تعبئة بل لان الآنسة بالنبو وإفوم كانا يراقباننا على ما اظن . وادرنا السيارة . كانت الشمس تشرق عندما عبرنا الجسر الحديدي فوق النهر الى بلاد غريبة وبمقاطعة أخرى . وفي المساء سنكون قد بلغنا ولاية اخرى ، الى ممفيس . وقال بون : « شرط ان نعبير وادي الجحيم » . فأجبت : « ربما اذا توقفت عن التحدث عنه » . وقال بون : « طبعاً بطن وادي الجحيم لا يهمه ان تحدثت عنه » . « لم تتحدث . لن يهتم ابداً . وسترى » . ثم قال : « حسناً ، انه هناك » . كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة بقليل ، وكننا قد امضينا وقتاً رائماً نتبع القمم . وكانت الطرق جافة ، كثيرة الغبار بين الحقول البيضاء . وكانت الارض خالية وهادئة ، والناس في ملابس الاحد جالسين دون عمل على الشرفات الامامية ، والاولاد والكلاب يجرون نحو السياجات او الطريق لمراقبتنا اثناء مرورنا ، ثم اناس في مختلف انواع العربات وعلى ظهور الخيل والبغال . وكان هناك اثنان او ثلاثة يركبون الحصان ، لا البغل . وكننا قد مررنا بعد التاسعة بقليل بسيارة اخرى ، قال بون عنها انها من طراز فورد ، اذ كان يستطيع التفريق بين السيارات مثل الآنسة بالنبو . وكان هؤلاء في طريقهم الى الكنائس الصغيرة البيضاء القائمة في الاحراج .

وامتدّ امامنا واد واسع . وكانت الطريق تنحدر من الهضبة في اتجاه حزام من أشجار الصفصاف والسرور التي تميز الوادي . ولم يبد المكان سيئاً جداً بالنسبة لي ، ولم يكن هناك مكان قريب بمثل اتساع بطن النهر الذي كنا قد اجتزناه ، حتى اننا استطعنا رؤية الطريق الضيقة الترابية الصاعدة الى الهضبة المقابلة الواقعة ورائه . لكن بون كان قد بدأ يشتم ويسوق بسرعة اكبر في طريق النزول ، كأننا كان متحمساً ومشتاقاً كي يصل الى ذلك المكان ويشتبك معه في معركة . وقال بون : « انظر اليه . انه بريء براءة البيضة الطازجة . يمكنك ان ترى الطريق التي ورائه كأنها تضحك منا ، وكأنها تقول : اذا استطعتم الوصول الى هنا اقتربتم من ممفيس ، لكن يجب ان تحارلوا الوصول الى هنا . »

وقال ند : « اذا كان سيئاً بهذا المقدار ، فلماذا لا ندور حوله ؟ هذا ما كنت افعله لو كنت جالساً مكانك . » وقال بون بعنف : « ليس هناك مكان للدوران حول بطن وادي الجحيم . اذا اخذت احدى الطرق تنتهي في « الاباما » ، واذا اخذت الطريق الاخرى تسقط في نهر الميسيسيبي ! »

وقال ند : « رأيت نهر الميسيسيبي في ممفيس مرة . وقد شاهدت ممفيس لكنني لم اشاهد الاباما قط . أحب ان اقوم برحلة اليها . »

فأجابه بون على الفور :

« ولم تزر بطن وادي الجحيم كذلك . عساك تعلمت شيئاً
 اثناء اختبائك تحت الغطاء . هل تعرف لماذا لم نر بين جفرسون
 وهذا المكان سوى سيارة الفورد تلك ؟ لأنه لا وجود
 للسيارات في الميسيسيبي ، خلف وادي الجحيم . » فقلت :
 « ولكن الأنسة بالنبو قالت إنها رأت ثلاث عشرة سيارة
 خلال السنتين الماضيتين . » فأجاب بون :
 « اثنتان منها كانتا هذه ثم انها لم تعد السيارات الباقية
 وهي تعبر وادي الجحيم . » فضحك نذ قائلاً :
 « ذلك يتوقف على من يتولى السواقة ، هه ، هه ، هه . »
 وأوقف بون السيارة بسرعة والتفت نحو نذ قائلاً :
 « هيا . اقفز منها . ألا تريد زيارة ألاباما ؟ حسناً أخذت
 خمس عشرة دقيقة حتى تنطق ! »
 « هل من الضروري أنت تزجوني لأنني سأمضي النهار
 معك ؟ »

لكن بون لم يكن مصغياً . ولا أحسبه وجهه الكلام الى
 نذ . كان قد خرج من السيارة وفتح صندوق العدة الذي
 ركبه جدي على رفراف السيارة الخلفي لحفظ البكرة وادواتها
 والفأس والرفش والفانوس . وأخرج هذه الأدوات ، ما عدا
 الفانوس ، وقدفها على المقعد الخلفي حيث يجلس نذ وقال :
 دون ان يوجه الكلام الى أحد : « كي لا نضيع الوقت . » ثم
 أقفل الصندوق وعاد الى عجلة القيادة .
 لم تكن الطريق تبدو لي سيئة بعد . كانت مثل أي طريق

ريفية تعبر وادياً موحلاً . وكنا قد اجتزنا قسمها الجاف ،
لكنها لم تصبح رطبة تماماً . ولحسن الحظ كان رواد آخرون قد
مروا قبلنا وغطوا الحفر والغياض بالأغصان ، كما كانت بعض
أجزاء الطريق مرصوفة بأعمدة وضعت فوق الوحل . (أوه ،
أدركت فجأة أن الطريق لم تعد رطبة) ربما كان بون مسؤولاً
عن إعمار ذلك المكان الموحش المغطى بالسرور والصفصاف ،
المليء بأزير البعوض ، وباطياف السيارات المغرزة والناس
المتعبين وشتائمهم المتلاحقة .

وترنحت السيارة ثانية ومالت وغرزت ، كما حصل أمس
في وادي الأعاصير . وعاد بون يخلع حذاءه وجوربيه ويطوي
طرفي بنطلونه . ثم قال لند : « هيا ، أخرج . » فأجاب ند
دون أن يتحرك : « لا أعرف كيف ، ولم أتعلم شيئاً عن
السيارات بعد . سأعرق عملك إن نزلت ، لذلك سأبقى هنا
مع لوشيس لأفسح لك المجال . » فقال بون متمكماً بوحشية
ولئوم : « أردت القيام برحلة ، وقد حصلت على ما أردت .
الآن ، اخرج ! » فصاح ند : « لكنني في ملابس الاحد ! »
وقال بون : « وأنا كذلك . وما دمت لا أخاف على
بنطلوني فلا داعي لخوفك على بنطلونك . » فاجبت : « أنت
عندك السيد موري ، أما أنا فعلياً ان اعمل لأكسب المال .
وعندما تبلى ملابسني اضطر الى شراء ملابس جديدة . »
فقال : « لم تشتري في حياتك قطعة واحدة . عندك معطف
بديل ، لبسه لوشيس ماك كاسلن العجوز نفسه يوماً فضلاً عن

معطف الجنرال كومبسون ، ومعطف الميجر دي سبين ، ثم
معطف بوس . يمكنك ان تلف طرفي بنظلوذك وتخلع حذاءك
هذا شأنك . ولكنك ستخرج من هذه السيارة !
« ليخرج لوشيبوس ، انه اصغر مني سنأ وأقوى نسبياً .
« سيدسوق السيارة » .

« انا اسوقها ان كان هذا ما تحتاج اليه . طوال حياتي
وأنا اسوق الخيول والبغال والثيران . ولا أحسب ان تحريك
هذا المقود الى اليمين واليسار اصعب من توجيه الدواب إلى
اليمين واليسار بواسطة الحبل او المنخس » . ثم التفت ند
إلي وقال :

« اخرج يا بني وساعد السيد بون . والافضل ان تخلع
حذاءك وجواربك . فصاح به بون محتدأ : هل تخرج ام
التقطك بإحدى يدي وأنتزع هذه السيارة من تحنك
باليدي الأخرى ؟ »

عند ذلك نهض ند بسرعة مدعنا للأمر الواقع ، وراح
يتمتم وهو يخلع معطفه وحذاءه ويرفع أطراف بنظلوته
وعندما التفت نحو بون رأيتة يجير عمودين وبعض الجذوع من
بين الأعشاب والعليق ، فقلت له :

« ألن تستعمل البكرة والخطافات هذه المرة ايضاً ؟
« طبعاً لا . عندما يحين الوقت لن نحتاج الى استئذان
أحد في الأمر » .

فقلت في نفسي : « إذن هذا هو الجسر . وقد لا يكون

هناك اي جسر وهذا أدهى ما في الأمر ، . وكاننا قرأ بون أفكاري فقال : « لا تقلق على الجسر . لم نبلغه بعد » .
 وأنزل ندى إحدى قدميه في الماء بحذر ، ثم قال : « في هذا الماء تراب . ليس اكره عليّ من دخول التراب بين أصابع قدمي » . فقال بون : « ذلك لان الدم لم يتحرك في عروقك بعد جيداً . امسك هذا العمود . قلت إنك لا تعرف شيئاً عن السيارات . والآن هذه هي فرصتك لكي تتعلم » . ثم قال لي :

« دعها تسير الى الامام الآن ، وحالما تتوقف عن الانزلاق تابع السير بها . » وهذا ما حصل . وقام بون وند بوضع الأعمدة تحت محور العجلات الخلفية ورفعهما ، ثم دفعاها الى الامام مسافة قصيرة الى ان بدت عجلاتها تدور ، في حين غمرها الوحل المتطاير من تحت العجلات الخلفية ، وكاننا رُشا بإحدى آلات رش الدهان .

ثم رأيت الجسر . وضعنا فوق أرض جافة نسبياً ، وكان على بون وند اللذين لم يعد من الممكن تمييزهما مما عليها من الوحل - كان عليها ان يركضا وهما يحملان العمودين ، ولم يستطيعا اللحاق بالسيارة . وظل بون يصرخ لاهثاً : « استمر تابع السير ! » وتابعت الى ان رأيت الجسر على بعد مئة ياردة ثم رأيت ما كان يفصلنا عن الجسر ، حينئذ ادركت ما كان يعنيه بون ، فأرقت السيارة .

لم تتغير الطريق التي أمامنا بقدر ما تغيرت عناصرها ،

فاصبحت أشبه بوعاء كبير مليء بالقهوة المزوجة بالحليب ،
وقد برزت فيها هنا وهناك أطراف قضبان وشجيرات وجدوع
مهملة لا فائدة منها ، وعلت في انحاءها اكوام من التراب بدت
كأنما جرفت وكومت عمداً بالمحراث . ثم رأيت شيئاً آخر ،
وفهمت ما قاله بون عن بطن وادي الجحيم ، منذ أكثر من
سنة ، وما ظل يكرره بنوع من الدهول المزعج المقلق ، منذ
ان غادرنا جفرسون . ثم رأيت بغلين مربوطين الى شجرة
بجانب الطريق (القناة) مجهزين بعدة الحراثة ، وقد اسند إلى
شجرة اخرى قريبة محراث مزدوج كبير مجهز بسكة كبيرة ،
وكان الوحل يغلف هذه الادوات جميعاً . وكان خلف ذلك
المكان مباشرة مسكن جديد ، غير مدهون ، مؤلف من
غرفتين ، وعلى شرفته رجل حافي القدمين تتدلى حمالات
مرواله على وسطه ، بينما كان حذاؤه الغليظ (المغطى بالوحل
ايضاً) يرتكز الى الجدار قرب الكرسي . وعرفت ان بون
اضطر ، هو والسيد ووردوين ، في هذا المكان لا في وادي
العواصف ، وذلك في السنة الماضية ، الى استعارة المحرفة التي
نسي السيد ووردوين ان يعيدها .

ورأى ند ايضاً ما رأته . وكان قد ألقى نظرة الى حفرة
الوحل ، والتفت الى البغلين المجهزين بالعدة ، الواقفين هناك
يطردان البعوض بذيلهما ، وكأنهما بانتظارنا . ثم تمتم وانلا :
« شيء ملاحظ ! »

فقال له بون بحدة : « اخرس . لا تفه بكلمة . لا تحدث

صوتاً . « كان يتكلم بغضب مكتوم . ثم أسند العمود الموحل الى السيارة وأخرج البكرة وادواتها والسلك الشائك والفأس والرفش وهو يردد : « يا ابن الكلبة » ، ثم قال لي : « وانت ايضاً . »

« انا ؟ » وقال ند :

« انظر الى البغلين والسلسلة المتصلة بالعمود الرئيسي » فقال بون بلمهجة حادة ، ولكن بصوت منخفض :

« ألم تسمعي أقول لك اسكت ؟ »

- « عجباً ، ترى ، لماذا يريد ذلك المحراث المزدوج ؟ وهو مغطى بالوحل حتى المقيض ايضاً . كما لو كان ... أتعني انه يأتي الى هنا مع ذينك البغلين ويحراث هذا المكان كما لو كان مزرعة ، لمجرد ابقائه مستنقماً ؟ » وكان بون يحمل الرفش والفأس والبكرة وادواتها بين يديه . ظننت للحظة انه سيقذف ند باحداها او ربما بها كلها . فقلت له بسرعة :

« هل تريدني ؟ »

« نعم ، الموقف يحتاج الى تعاوننا جميعاً . لقد واجهت ، انا والسيد ووردوين ، مشكلة بسيطة معه هنا في السنة الماضية . علينا ان نعبر هذه المرة . »

فقال ند : « ما هو المبلغ الذي اضطررتم الى دفعه له في السنة الماضية كي يجرّكم من الوحل ؟ »

« دولاران . فخير لك ان تخلع بنظلمونك كله وتخلع قميصك ايضاً . »

« دولاران ؟ هذا المتسكع اللعين . سأطلب من بوص ان يبيء لي حفرة بمائة . »

« حسناً ، يمكنك ان تتعلم كيف ، في هذه الرحلة . »
قال ذلك وأعطى ند البكرة وأدواتها وقطعة السلك
الشائك قائلاً : « خذها الى هناك ، الى تلك الصفصافة ،
للاصفصافة الكبيرة ، واربطها بها جيداً . »

وارخى ند الحبل من البكرة وحملها الى الشجرة . وخلصت
بنطلوني وخذائي ونزلت الى الوحل فبدأ لطيفاً بارداً . ربما
بدأ كذلك لبون ايضاً . وربما كان لند مجرد انعتاق ، مجرد
تحرر من اضاءة الوقت في تجنب التلوث بالوحل . على اية
حال ، تجاهل الوحل وهو يقرفص فيه ويشتم بهدوء وحزم
بينما كان يعقد قطعة السلك الأخرى على مقدم السيارة ليشبك
بها الخطاف . ثم قال لي : « خذ ، ستقوم بجر بعض من تلك
الشجيرات الموجودة هناك ، وكأننا أدرك ما يدور في فكري
فأجاب : « انا ايضاً لا ادري من اين اتت . ربما كومها هناك
بنفسه ليجعلها في متناول الناس ، فيعرفوا كم هو يستحق
الدولارين . »

وهكذا قمت بجر الشجيرات ، ثم وضعتها في الوحل امام
السيارة ، بينما وضع بون وند طرف الحبل في خطاف البكرة
واستعدا . ثم وقفت ، انا وند ، عند طرف الحبل المربوط
بخطاف البكرة ، ووقف بون عند مؤخرة السيارة حاملاً
العمود وقال لنا : « العمل الهين لكما . كل ما عليكما ان

تفعلاه هو ان تمسك بهذا العمود جيداً عندما ادفع السيارة .
حسناً ، هيا بنا ، .

كان هناك شيء يشبه الحلم . لم يكن مثل الكابوس ، بل
مثل الحلم - إنه ذلك التركيب الساكن ، الهادئ ، النائي ،
الادغالي ، الفطري تقريباً ، للطين والوحل والنباتات البرية
والحرارة . وكان البغلان اللذان يضربان الهوام والحشرات
المتناهية في الصغر التي لا تعد ولا تحصى ، يلائمان ذلك الجو
الحقيقي الذي كنا نتحرك فيه ونتنفس ، وذلك بشكل عجيب
إذ كانا في حد ذاتها نهاية بيولوجية عقيمة ، وبالتالي زائلة
قبل ان تولد . ثم هنالك السيارة ، هذه اللعبة الميكانيكية
التي تعادل في قوتها عشرات الخيول والتي وقفت عاجزة عديمة
الحيلة في قبضة بضع بوصات من مزيج مؤقت لعنصرين لطيفين
مسالمين - التراب والماء - فضلاً عن اننا وقفنا ثلاثتنا ، ثلاثة
مخلوقات متشابهة متباعدة ، هنا وهناك ، يغطيها الوحل حتى
لا يمكن تمييزها ، تصارع هذين العنصرين صراع المستميت .
وكنا نتقدم بوصة بوصة - هذا إذا تقدمنا . وكان الرجل في
أثناء ذلك يجلس على كرسيه المقشش يراقبنا من شرفته ، بينما
كنا ، انا وند ، نجهد لسحب كل بوصة نتمكن من سحبها على
الحبل الذي صيرته الوحل زلقاً حتى صار من الصعب القبض
عليه بالأيدي . وكان بون خلف السيارة يجاهد كمارد جبار ،
يثبت العمود تحت السيارة ، ويرفعها ويدفعها الى الامام .
وسقط مرة فرمى العمود وامسك السيارة بيديه ودفعها الى

الأمم مسافة قدم او قدمين كأنها عربة يد . ولم يكن
بإستطاعة أي رجل ان يتحمل ذلك . وهو يجب ألا يتحمل
ذلك . هذا ما قلته في النهاية . ثم توقفت عن السحب
وقلت وأنا ألث : « كلا . لا نستطيع القيام بهذا ، لا
نستطيع . » فقال بون بصوت يتلاشى ، ضعفاً ورقة ، مثل
همسة الحب :

« اذن ابتعدا من الطريق والا جعلتها تسير فوقكما . »
« كلا . »

وتعثرت وزلت قدمي وغصت في الوحل ، ثم تطلعت
اليه وقلت مكرراً : « كلا ، ستقتل نفسك . »
« لست تعباً . الآن بدأت جهودي تثمر . لكن يمكنكما ،
انت وند ، ان تستريحا . وفي هذه الاثناء أرى ان تقوما
بجر كمية اخرى من ذاك الشجيرات . »
« كلا ، كلا . ها قد اتى ! أتريده ان يراها ؟ ، ذلك لاننا
كنا نستطيع ان نراه ، نسمع وقع حوافر البغلين وهما يسيران
على حافة حفرة الوحل ، ونسمع خشخشة السلاسل المعقودة ،
وكان الرجل يعتلي أحد البغلين ويقود الآخر وقد ربط
حذاءه الى احد الخطافات ، يتقدمه عمود المهرات كأنه أحد
صيادي الجاموس البري القدماء الذين تمثلهم الصور وهم يحملون
مسدساتهم . كان رجلاً ضئيل الجسم ، لكنه ، مع ذلك ،
كان أكبر منا - أو مني أنا على الأقل . وحين وصل حيانا
قائلاً :

« صباح الخير يا شباب . يبدو أنكم أوشكتم أن تحتاجوا
ألي . » ثم قال لبون « مرحباً يا جفرسون . يظهر أنك
تمكنت من العبور في الصيف الماضي . »
« يبدو كذلك . »

قالتها بون وقد تغير للحال تغيراً كلياً ، كلاعب « بوكر »
رأى ورقة الاثنيين الثانية تعطى للاعب في الجهة المقابلة . ثم
أردف : « كنا سنتمكن من العبور هذه المرة ايضاً ، لو لم
تضعوا كمية كبيرة من الوحل هنا . »
« لا تلقي تبعة ذلك علينا . الوحل من افضل محاصيلنا في
هذه الجهات . »

فقال ند : « يجب ان يكون المحصول الأفضل ، ما دمتم
تحصلون على دولارين مقابل عبور كل حفرة . » فرمقه الرجل
لحظة ثم قال :

« ربما كنت على حق . خذ هذا العمود ، يظهر أنك
تعرف كيف تربطه الى البغل . » فقال بون : « انزل وافعل
ذلك بنفسك ، وإلا لماذا ندفع لك دولارين ؟ لن نستأجرك
كخبير . فعلت ذلك في السنة الماضية . »

« ذلك كان في السنة الماضية . اصبت حينئذ بالروماتيزم
بسبب نزولي في الماء لشبك السلاسل ، فانهارت قوتي . »
لذلك لم يحرك ساكناً ، ولم يفعل سوى احضار البغلين
وإيقافهما جنباً الى جنب ، بينما قام بون وند بربط السلاسل
إلى عمود المحراث ، ثم قرفص بون في الوحل ليثبت السلسلة

الى السيارة . ثم سأل الرجل :

- « اين تريدني ان اشبكها ؟ »

- « هذا لا يعنيني . اشبكها بأي جزء من السيارة تريد

اخراجها من حفرة الوحل هذه . لكن اذا اردت ان تخرجها كلها معاً ، اشبكها بمحور العجل . ولو انني مكانك ، لأعدت

جميع الرفوس والحبال الى السيارة لاننا لن نحتاج إليها . »

فجمعنا أنا وند ، بينما قام بون بشبك السيارة . وقفنا

نحن الثلاثة جانباً وراقبنا الرجل وهو يعمل . كان خبيراً بعمله ،

لكن البغلين ايضاً أصبحا خبيرين . كانا يشدان العمود الرئيسي

بتوازن اشبه بتوازن بهلوانت يسير على الحبال . لقد قاما

بتخليص السيارة وجرها دون ان يحتاجا الى أكثر من كلمة

بين الحين والآخر ، ولمسة طفيفة بالسوط ، وأخيراً اوصلاها

الى أرض كان التراب فيها اكثر من الماء . فقال بون :

« حسناً يا ند ، فكيتها . » فقال الرجل :

« انتظر قليلاً . هناك حفرة اخرى في هذا الجانب من

الجسر . ساعدكم تعبرونها مجاناً . لقد مضى على معرفتك بهذا

المكان سنة كاملة . » ثم قال لند : « هذا ما نسميه هنا

بالرقعة الاحتياطية . » فاردف ند قائلاً : « تعني سمود

عيد الميلاد ؟ »

-- « ربما كنت أعني ذلك . لكن ما هو ؟ »

- « هكذا كنا نفعل في ما كاسلن ، قبل الاستسلام في

المعركة ، عندما كان لوشيووس كونييتوس حياً ، وما زال ابن

ادموندس يفعل ذلك . في كل ربيع يوضع العمود في أجود نقطة في الحقل ، وكل نبتة قطن تقع بين ذلك العمود وطرف الحقل يذهب ثمنها الى صندوق عيد الميلاد ، ولا يأخذ صاحب المزرعة أية حصة منه ، بل يوزعها على زوج ما كاسلن في عيد الميلاد . هذا هو عمود عيد الميلاد . وأرجح أنكم أنتم ، مزارعي الوحل هنا ، لم تسمعوا به . ، فنظر الرجل الى ند لحظة . عندئذ قال ند : « هه ، هه ، هه » . فقال الرجل : « هذا أفضل ظننت لحظة أننا أو شكنا أن نسيء فهم بعضنا بعضاً . » ثم قال لبون : « الأفضل أن يقوم أحدكم بقيادتها . » فقلت : « لا بأس . » فقال « هيا . » وهكذا جلست خلف المقود بما عليّ من وحل وغيره .

وقبل ان نتحرك قال الرجل : « نسيت ان اذكرك امراً . تضاعفت اسعارنا عما كانت عليه في السنة الماضية . » فقال بون : « لماذا ؟ السيارة هي ذاتها ، وحفرة الوحل هي ذاتها . ولا أشك أبداً في ان الوحل ما يزال هو ذاته . » فأجابه الرجل :

« كان هذا في السنة الماضية . لكن العمل ازداد الآن . ازداد الى درجة ارغمتني على رفع الاسعار . »
« حسناً . لعنك الله . هيا بنا . »

وهكذا تحركنا ، ومشينا بسرعة البغلين ، الى ان دخلنا حفرة الوحل التالية ، وخرجنا منها دون ان نتوقف . كان الجسر أمامنا . وخلفه كنا نستطيع رؤية الطريق وبداية

الأمان . فقال الرجل : « اصبحتم في أمان الآن ، الى ان
تعودوا . » فقال بون : « لن نعود من هذه الطريق . » فقال
الرجل : « لو انني مكانكم ، لما عدت ايضا . »

وفك بون السلسلة واتجه الى اقرب بركة ماء وغسل الوحل
عن يديه ثم عاد واخرج اربعة دولارات من محفظته . لكن
الرجل لم يتحرك . بل قال :
« ستة دولارات . »

« دفعنا دولارين في السنة الماضية . قلت ان السعر تضاعف
الآن . ضعف الاثنان اربعة . هذه اربعة دولارات . »

« كنت آخذ دولاراً عن كل راكب . كنتما اثنان في السنة
الماضية ، فأخذت دولارين . تضاعف السعر الآن ، وأنتم
ثلاثة . فتكون الاجرة ستة دولارات . ربما كنت تفضل
العودة الى جفرسون ماشيا على ان تدفع دولارين . لكن ربما
لا يرغب بذلك هذا الصبي وذلك الزنجي ا »

« لنفترض انني لن ادفع لك ستة دولارات ، بل لنفترض
انني لن ادفع لك شيئاً البتة ؟ » فاجاب الرجل :

« يمكنك ان تفعل ذلك . صحيح ان البغلين قد تعبوا ،
لكن ما زالت لديها القدرة على سحب ذلك الشيء وإعادةه
الى حفرة الوحل الاولى . »

لكن بون كان قد اذعن للأمر الواقع . مع ذلك
قال :

« مسا هذا الصبي سوى طفل ا. ليس اكثر من
طفل صغير . »

– « قد تكون العودة الي جفرسون سيراً على الاقدام
أخف عليه ، لكنها لن تكون اقصر . »
« ولكن انظر الى الشخص الآخر ! عندما يغسل الوحل
عنه لن يصير ابيض ؟ »

« يا بني ، هذا البغلان . مصابان بعمى الألوان ! »

«

الفصل الخامس

كان بون قد اخبرنا ، أنا وند ، أننا حالما نقهر بطن وادي الجحيم ندخل العالم المتمدن . وصور لنا أن الطرق تمتلئ بالسيارات ابتداء من ذلك المكان . ربما كان ضرورياً أن نبتعد أولاً عن وادي الجحيم بعدنا عن المطهر ، أو حتى يغيب عن أنظارنا على الأقل . مع ذلك كان علينا ان نتخلص من وحل وادي الجحيم قبل أن نصبح جديرين بالمدينة . على أية حال ، لم يكن قد حدث شيء بعد . أخذ الرجل دولاراته الستة ، وذهب مع بغليه . ولاحظت أنه لم يعد إلى ذلك البيت ، بل مضى عبر المستنقع واختفى كأنما قد انتهى النهار . ولاحظت ذلك ايضاً وقال : « ليس طماعاً ، ولا هو بحاجة الى ان يكون . لقد كسب ستة دولارات ولم يحن بعد موعد الغداء . » فقال بون : « لقد حان بالنسبة لي . أحضر الغداء . »

هكذا أخذنا صندوق الطعام الذي كانت الانسة بالنبو قد أعدته لنا ، كما أخذنا البكرة والفأس والمجرفة واحذيتنا وجواربنا وبنطلوني وعدنا الى الوادي وغسلنا الأدوات . (لم نكن نستطيع ان نعمل شيئاً للسيارة قبل ان نصل الى ممفيس ، حيث لا وجود لحفر الوحل - او هكذا تصورنا) ولم يكن هناك ما نستطيع عمله بشأن ثياب بون وند ، مع ان بون غطس في الماء دون ان يخلع ملابسه ، ثم حاول ان يقنع ند بالاقتراء به . فقد كان بون يحمل ملابس إضافية لكن ند اكتفى بخلع قميصه وارتداء معطفه . اظنني أخبرتك عن حقيبتيه التي لم يكن يحملها بقدر ما كان يلبسها ، كما يلبس الدبلوماسيون حقائبهم ، والتي يضع فيها انجيله ومقدار ملعقتين من أجود أنواع الوسكي عند جدي .

وتناولنا طعام الغداء . كان يتألف من لحم الخنزير والدجاج المحمر والبسكوت ومربي الاجاص ، وابتق من اللبن المخيض ثم اعدنا أدوات مكافحة الوحل (التي اتضح في النهاية أنها لم تكن للمكافحة بل للتباهي) . ثم قسنا كمية البنزين في الخزان ، وتابعنا سفرنا . كان الامر قد قضي فعلا . لم نندم ولم نقل يا ليت أو لعل . وعندما تغلبنا على وادي الجحيم اغلقنا البوابة وأحرقنا الجسور خلفنا . وقد بدا اننا كمن كسب مهلة قبل تنفيذ العقاب مكافأة على تصميمنا الذي لا يقهر ، وعلى رفضنا الاعتراف بالهزيمة . او ربما كانت الفضيلة نفسها التي استسلمت وتخلت عنا الى اللافضية ترعانا وتدلنا كما نستحق

بعد ان قايضنا ارواحنا مقايضة لا رجوع عنها الآن .
 بدأ ان الأرض نفسها قد تغيّرت . المزارع صارت اكبر
 وأكثر ازدهاراً ، وسياجاتها اكثر إحكاماً . وكانت تتخللها
 بيوت مدهونة وزرائب . وكان الهواء نفسه هواء مدن .
 وأخيراً وصلنا الى طريق رئيسية عريضة تمتد بشكل مستقيم
 الى مسافة بعيدة ، وعليها آثار عجلات كثيرة . فقال بون
 بنوع من الاعتزاز ، وكأننا كنا نشك في كلامه ، او كأننا هو
 الذي فتح الطريق ومهدا بيديه (بل كأنه هو الذي اضاف
 آثار العجلات اليها) : «ماذا قلت لكما ؟ هذه هي الطريق الى
 ممفيس » .

كانت أمامنا سحابة غبار تسرع متوعدة . لم يكن هناك شك
 بأنها الطريق . ولم يدهشنا وجود السيارات عليها . كنا نمر
 ببعضنا بعضاً ، جامعين غبارنا في سحابة واحدة دائلة تشبه
 العمود ، أو كأنها لوحة إعلانات رفعت لتغطي الأرض بنموذج
 عن المستقبل : الحركة الدائبة جيئة وذهاباً ، ذلك المصير
 الآلي الدائم الحركة الذي لا مفر لأمر كما منه .
 كان لوننا قد أصبح رمادياً من رأسنا الى اخمص قدمينا
 بسبب الغبار (خاصة ملابس بون التي كانت ما تزال مبتلة) .
 وخرج بون من السيارة ، دون أن يطفىء المحرك ، ودار
 حولها برشاقة واقترب مني قائلاً : «انتقل الى الجانب الآخر .
 انت تعرف كيف تسوق قاطرة سكة حديد تسير بسرعة
 أربعين ميلاً في الساعة . »

وهكذا قادت السيارة في عصر يوم مشمس من ايام ايار .
ولم أكن أستطيع التطلع حولي ، فقد كنت مأخوذاً بكليتي ،
أركز انتباهي على شيء واحد (حسناً ، كنت منفعلاً جداً ،
ومزهواً) كان عصر يوم احد ، القطن والذرة ينموان دون
إزعاج العمال ، والبغال نفسها كانت بلا عمل تستريح في
المراعي ، والناس ما يزالون في ملابس الأحد على الشرفات
وفي الساحات الظليلة . وأمامهم أقداح الليمونادة أو صحون
للبوظة التي تركت هناك منذ الغداء . وزدت السرعة من
جديد . وكنا نقرب من المدن فقال بون : « إننا نقرب من
بعض المدن . الأفضل ان اتولى القيادة . »

وقابعنا طريقنا . أصبحت مظاهر المدنية موجودة
باستمرار : كانت هناك مخازن ريفية منفردة أو قرى صغيرة
على مفارق الطرق ، ما تكاد تغيب الواحدة منها حتى تطل
الأخرى . وكانت التجارة منتشرة حولنا ، والهواء هواء
مدن فعلاً . وكان للغبار نفسه الذي أثارنا وجلبناهُ معنا طعم
المدن ورائحتها ، حتى الكلاب والأطفال لم يركضوا نحو
السيارات والأبواب ليراقبونا ويراقبوا السيارات الثلاث التي
مررنا بها في الثلاثة عشر ميلاً الأخيرة .

ثم انتهى الريف . لم تعد هناك مسافات بين البيوت
والدكاكين والمخازن . وفجأة وجدنا انفسنا في بولفار عريض
غرست على جانبيه الاشجار بشكل مرتب ، في وسطه طريق
للسيارات . ثم كانت هناك الحافلة الكهربائية ، وكان سائقها

ومساعدته يقومون بتغيير وجهتها للعودة بها الى الشارع الرئيسي .
وفجأة قال بون : « قبل ثلاث وعشرين ساعة ونصف كنا
في جفرسون ميسيسيبي على بعد ثمانين ميلا . هذا رقم قياسي . »
وكنت قد جئت الى ممفيس قبلا (وكذلك ند . هذا ما
قاله لنا هذا الصباح . وسيثبت ذلك بعد ثلاثين دقيقة) .
ولكننا كنا نذهب إليها بالقطار ، ولم أرها هكذا قط :
تنمو وتكبر وتبدو لي كملعقة بوظة تتلاشى في الفم . كنت
أحسب اننا سنذهب الى فندق جايوسو كما كنا نفعل دائما (انا
على الاقل) . ولا اعرف افكار من قرأ بون هذه المرة ،
فقال : « سنذهب الى نزل اعرفه وسيمعجبك . وصلتني
رسالة في الاسبوع الماضي من إحدى إلب . السيدات المقيبات
هناك تقول فيها ان ابن أخيها يقوم بزيارتها الآن . وهكذا
تجد من يشاركك اللعب . وسيجد الطباخ لند مكانا ينسأ
فيه . »

فقال ند : « هه ، هه ، هه . »

وكانت هناك الى جانب الحافلات الكهربائية عربات من
جميع الانواع . وكانت الخيول تنظر إلينا شزراً ، لكنها ظلت
محتفظة برصانتها ، مما دلنا على ان خيول ممفيس كانت معتادة
على السيارات . وهكذا لم يستطع بون ان يدير رأسه لينظر
الى ند ويستفهمه ، لكنه تمكن من النظر اليه بعين واحدة
وقال له :

« ماذا تعني بهذا ؟ »

« لا شيء . انتبه الى طريقك ولا تهتم بي لا تهتم بي مطلقاً .
أنا ايضاً لي اصدقاء هنا . اخبرني فقط اين ستكون هذه
السيارة صباح الغد وساحضر الى هناك ايضاً » . فاجابه بون :
« خير لك ان تكون هناك . هذا اذا كنت تنوي العودة
فيها الى جفوسون . لم يدعك أحدنا الى هذه الرحلة ، لذلك
لسنا مسؤولين عنك . ولا يهمني إطلاقاً ، أعدت الى جفوسون
ام لم تعد » .

« عندما نعيد هذه السيارة الى جفوسون وتلتقى أعيننا
بعيني بوض بريسست والسيد مورين لن يكون لدى أي منا
الوقت كي يهتم بمن عاد ومن لم يعد . »

على ان وقت الخوض في هذا الموضوع كان قد فات .
لذلك قال بون : « حسناً ، حسناً . كل ما قلته هو أنك اذا
كنت تريد العودة الى جفوسون ، فخير لك ان تكون حيث
أراك عندما اتأهب للعودة » .

وكنا نقرب من الشارع الرئيسي حيث البنايات المرتفعة
والخازن والفنادق : جاستون (زال الآن) وبيبودي (نقل
منذ ذلك الحين) ثم جايوسو ، وهو فندق كنا نحن ، آل
ماك كاسلن وادموندس و بريست ، نقدره كثيراً ونعتبره
مزاراً عائلياً ، لان ابن عمنا البعيد ، تيوفيلوس ماك كاسلن ، كان
أحد افراد فرقة الخيالة التي تقول الاسطورة ان اخا الجنرال
فورست قادها على ظهر الخيول الى ردهة هذا الفندق وكاد
يعتقل جنرالاً شمالياً . لكننا لم نصل الى هناك . فقد انعطف

بون الى شارع جانبي اقرب ما يكون الى زقاق خلفي .
كانت تحتل زاويته حانتان ، وعلى جانبه بيوت ليست بالقديمة
ولا بالجديدة . كان كل شيء هادئاً هدرء جفرسون عصر يوم
أحد . الحقيقة ان بون أشار الى ذلك حين قال :

« كان يجب ان تراها ليلة امس . يجب ان تراها في مساء
يوم سبت ، أو في إحدى ليالي الاسبوع ، عندما يكون في
المدينة مؤتمر لرجال الاطفاء او الشرطة ، او لأعضاء جمعية
إلك او غيرها . » فقلت :

« لعل الجميع ذهبوا لحضور صلاة المساء . »

« كلا . لا اظن ذلك . الأرجح انهم يستريحون . »

« يستريحون من اي شيء ؟ » فقال ند وهو في المقعد

الخلفي :

« هه ، هه ، هه . »

وكان واضحاً اننا عرفنا ان ند جاء الى ممفيس قبلاً ، لكن
جدي نفسه لم يكن يعرف عدد زياراته . وكما تعلم ، لم يكن
لي من العمر اكثر من احدى عشرة سنة . كان الشارع امامنا
خالياً فأدار بون رأسه نحو ند وقال : « إذا تلفظت بكلمة
اخرى ... » فقاطعه ند قائلاً : « أية كلمة اخرى ؟ كل ما
طلبتة هو ان تدلني على المكان الذي ستكون السيارة فيه
صباح الغد ، حتى اكون جالساً فيها عندما ترحل . »

وهذا ما فعله بون . كنا قد وصلنا الى المكان . كان بيتاً
يقوم وسط ساحة صغيرة خالية من العشب ، ووقف بون

السيارة عند المنعطف . وصار بإمكانه ان يدور وينظر الى
ند ليقول له : « حسناً سأخذ بقولك ، وخير لك ان تأخذ
بقولي . دعنا نلتقي عندما تدق الساعة الثامنة صباح الغد .
اعني عند الدقة الاولى لا الاخيرة ، لانني لن اكون هنا
لأسمعها . »

وخرج ند من السيارة يحمل حقيبته وقميصه المغطى بالوحد
وهو يقول : « ألا تكفيك متاعبك حتى تهتم بمتاعبي ؟ ما
دمت تستطيع انهاء اعمالك في الثامنة من صباح الغد ، فلماذا
تظنني لا استطيع ذلك ؟ » ومضى في طريقه دون ان يلتفت
الى الورا قائلاً : « هه ، هه ، هه . »

ومد بون يده الى مؤخرة السيارة وتناول حقيبته . ثم
تذكر شيئاً آخر . فسحب مفتاح السيارة ووضعه في جيبه
وحمل الحقيبة . ثم عاد واخرج المفتاح من جيبه وقال لي :
« خذ ، احتفظ به انت . قد اضعه في مكان ما
واضيئه . خبئه جيداً كي لا يسقط . اربطه بطرف
منديلك . »

وأخذت المفتاح ، بينما انحنى هو لحمل حقيبته ، ثم توقفت
ثانية والتفت بسرعة نحو البنسيون ، ثم اخرج محفظته من
جيبه الخلفي وفتحها وأخرج ورقة من فئة الدولار ثم اغلق
المحفظة وناولني إياها قائلاً : « احتفظ بهذه ايضاً . قد أنساها
في مكان ما . عندما نحتاج الى نقود سأطلبها منك . »
ولم اكن قد دخلت بنسيوناً من قبل ، ولاتنس انني

كنت في الحادية عشرة فقط . هكذا وضعت المحفظة في جيبي
وعبرنا البوابة وسرنا في الممر حتى بلغنا الباب الامامي .
ولم يكذبون يلمس الجرس حتى سمعنا وقع اقدام في الداخل
فقال لي بسرعة « ماذا قلت لك ؟ ربما كانوا جميعاً يسترقون
النظر إلى السيارة من خلف ستائر النوافذ » .

وفتحت الباب صبية زنجية . لكن قبل أن تتلفظ بكلمة
دفعتها امرأة بيضاء جانباً . هذه أيضاً كانت صبية ذات وجه
صارم جميل ، وشعر شديد الاحمرار ، تضع في أذنيها ماستين
يضرب لونها إلى الصفرة . ولم أر في حياتي أكبر منها . فقالت
لبون على الفور : « عليك اللعنة . حالما تسلمت كوري
برقيتك ، قلت لها أن تبرق لك فوراً وتطلب منك عدم
إحضار الصبي . عندي واحد في البيت ، مضى على مجيئه
اسبوع . شيطان واحد يكفي أي بيت أو شارع ، بل يكفي
مفيس كلها ، هذا اذا كان من نوع الصبي الذي عندنا . ولا تكذب
فتدعي أنك لم تتسلم البرقية » . فقال بون : « لم أتسلمها .
لا بد أننا غادرنا جفرسون قبل أن تصل . ماذا تريدني أن
أفعل به ؟ »

فقالت : « تفضلاً بالدخول » . وابتعدت عن الباب لتفسح
لنا طريقاً . وحالما دخلنا أقفلت الخادمة الباب . ولم افهم
السبب آنذاك ، ربما كانت تلك من عادة اهل مفيس حتى أثناء
وجودهم في البيت . كانت القاعة مثل أية قاعة أخرى فيها
درج يؤدي الى الطابق الثاني . إلا انني حالما دخلت شممت

شيئاً . كانت الرائحة ناعم البيت كله . ولم اكن قد شممتها من قبل . ولم أنفر منها ، بل دهشت - اعني انني حالما شممتها بدت كرائحة كنت طوال حياتي انتظر ان اشمها . اظن ان الأمر يختلط عليك عندما تقع ، دون سابق إنذار ، في تجربة قد تقضي حياتك دون ان تصادفها ثانية . لكن بالنسبة الى تجربة لا مفر منها ، لا يليق بالظروف ، او القدر ، ألا تعدك لها أولاً ، لا سيما ان الاعداد بسيط بساطة ابن الخامسة عشرة . كان هذا نوع تلك الرائحة . وكانت المرأة ما تزال تتكلم ، فقالت : « تعلم ان السيد بنفورد لا يوافق على استعمال البيوت كما كان لقضاء إجازات الاولاد . سمعته في الصيف الماضي عندما أحضرت كوري ، ذلك الصغير الملعون . فالسيد بنفورد يقول انهم سيأتون إلى هنا عما قريب ، فلا تستعجلوهم قبل أن يصبح لديهم مال ، ويصبحوا قادرين على صرفه ، .

وكننا قد وصلنا إلى غرفة الطعام ، والمرأة ما تزال تتكلم وتقول : « ما اسمها؟ »

«لوشيومس . قدم احترامك الى الأنسة ريبا . فعلت كما أفعل دائماً . ربما بالطريقة التي تعلمها جدي من أمه ، وعلمتها جدي لوالدي ، وعلمتني إياها أمي . وهي ما يدعونها ند الانحناء وثني الركبة .

وعندما انتصبت واقفاً كانت الأنسة ريبا تراقبني وفي عينيها نظرة غريبة . وقالت : « يا للعجب ! ميني ، هل رأيت هذا ؟ هل الأنسة كوري ... » فأجابت الخادمة :

« إنها تلبس ثيابها ، حينذاك رأيتها ، أعني سن ميني .
كانت لها أسنان كحجارة المرمر ، صغيرة متناسقة تتناسب مع
لون وجهها البني كالشوكولاته . ولكن كان عندها شيء آخر .
كانت سنها الأمامية العلوية التي الى جهة اليمين من ذهب .
كانت تتربع كملكة بين الأسنان البيضاء الأخرى ، وكانت
تسبح وتتلاها كأن فيها نارا داخلية ، أو اشعاعاً غير إشعاع
الذهب ، حتى ان تلك السن الذهبية بدت وحدها أكبر من
ماستي الأنسة ريبا مجتمعتين - (علمت فيما بعد أنها افتقرت
هذه السن الذهبية ووضعت مكانها سناً بيضاء عادية كبقية
الناس ، فعزنت لذلك . وقد فكرت آنذاك ، لو أنني كنت
من جنسها ومن عمرها ، لرغبت في أن أكون زوجها لمجرد
رؤية تلك السن يومياً . وقد بدا لي أن طعم الأكل الذي
تمضغه لا بد أن يكون مختلفاً ، إذ يصبح أطيب) .
والتفتت الأنسة ريبا الى بون ثانية وقالت له : « ماذا
كنت تفعل ؟ تصارع الحنازير ؟ » فقال : « مقطننا في حفرة
وحل أثناء الطريق ثم خرجنا منها . السيارة امام البيت
الآن » .

« رأيتها . كلنا رأيناها . ولكن لا تزعم انها ملكك .
وإذا كان رجال الشرطة يتبعونها ، ابعدها عن بابي . السيد
بنفورد لا يرغب في مجيء الشرطة إلى هنا . وأنا كذلك » .
« لا تخافي ، لا بأس على السيارة » .
« الأفضل ان تكون كذلك . لبتك اتيت الى هنا من

قبل . السيد بنفورد يحب الأطفال . ويظل يحبهم حتى بعد ان يبدأ بالشك . في الاسبوع الماضي ، كان ما يزال مستعداً ان يثق « بأوتيس » ويأخذه الى حديقة الحيوانات بعد الغداء . ثم قالت « لميني » : « اصعدي الى فوق وقولي للجميع ألا يشغلوا الحمام خلال نصف الساعة القادمة » . وقالت لبون : « هل تحمل معك ملابس للتبديل ؟ »

« نعم . »

« إذن اغتسل وألبسها ، هذا مكان محترم . ليس حانة قدرة . دعيتها يستعملان غرفة فيرا يا ميني . فيرا ذهبت لزيارة اهلها . »

ثم قالت لبون : « ميني أعدت لأوتيس سريراً في العلية يمكن للوشبوس ان ينام معه الليلة . »
وسمعنا وقع اقدام تهبط الدرج ، وتجتاز القاعة ثم تدخل من الباب . واطلت فتاة ضخمة ، لم تكن بدينة بل ضخمة ، كما كان بون ضخماً . لكنها كانت فتاة صغيرة السن . شعرها أسود وعيناها زرقاوان . وحسبت في البداية ان وجهها عادي لكنها دخلت الغرفة وهي تنظر اليّ وعرفت ان شكل وجهها لم يعد هم . فقال لها بون : « مرحباً يا صغيرتي . » لكنها لم تلتفت إليه . كانت تنظر إلي . فقالت لها الآنسة ريبا : « انتبهي الآن . هذه هي الآنسة كوري ، بالوشبوس . » فانحنيت وقدمت احترامي ثانية . حينئذ قالت الآنسة ريبا : « أترين ما أعني ؟ احضرت ابن اخيك الى هنا ليتعلم

التهديب . مما هو التهذيب بانتظاره . لكنه لن يفهم لماذا يتصرف هكذا . ولكن لوشيوس قد يستطيع ان يعلمه التقليد على الاقل . ثم قالت لبون : « اذهبوا واغتسلا . » فقالت بون ، وهو يمسك بيد كوري : « هل يمكن ان تأتي كوري لمساعدتنا ؟ » ثم قال لها ثانية : « مرحباً يا صغيرتي . » فقالت الأنة ريبا : « لا اريدك ان تبدو كجرذ من جردان البيوت الحقيرة . سألقي هذا المكان محترماً يوم الاحد . »

وقادتنا ميني الى الغرفة والحمام في الطابق العلوي وأعطت كلاً منا صابوناً ومنشفة وخرجت . ووضع بون حقيبته على السرير ، وفتحها وأخرج قميصاً نظيفاً وبنطالوناً . وقال لي :

« رأيت ؟ قلت لك هذا . بذلت جهدي كي أجعلك تحضر قميصاً نظيفاً على الأقل . »

« قميصي ليس ملطخاً بالوحل . »

« لكن يجب أن تبدل قميصك بعد الاستحمام . »

« لن أستحم . استحممت البارحة . »

« وأنا كذلك . لكنك سمعت ما قالته الأنة ريبا . »

أم تسمعها ؟

« سمعتها . لم أر سيدة لا تحاول أن ترغم الناس . »

الاستحمام . »

« عندما تعرف الأنة ريبا اكثر ، ستكتشف أنك

عرفت المزيد عن السيدات . أي انها ، عندما تقترح عليك

عمل شيء ، متجدد ان من الأفضل تنفيذه ، رغبت بذلك أم لا ، . كان يتكلم بصوت مرتفع وبلهجة الشخص الذي يكون اول من صعد الدرج صبيحة عيد الميلاد وجاء يخبرك بما ينتظرك على الشجرة من الهدايا ، وتكون هذه الهدايا غير ما طلبته من بابا فويل .

« لا أحد يفكر في مقدار ما يمكن أن يتعلمه في مدة وجيزة عن شيء لم يكن يعرفه ، بل لم يخطر له أنه سيرغب في معرفته ، أو سيجده مفيداً - شرط أن يحافظ عليه ولا يدعه يفلت منه . خذ نفسك ، مثلاً . فكر قليلاً . فكر في مقدار ما تعلمته ولم يمض يومان بعد : تعلمت كيف تقود سيارة ، وكيف تذهب إلى ممفيس براً دون الاعتماد على سكة الحديد ، وكيف تخرج سيارة من حفرة وحل حتى إذا كبرت وصارت لك سيارتك الخاصة لن تجيد قيادتها وحسب بسبل ستعرف الطريق إلى ممفيس أيضاً ، كما ستعرف كيف تخرجها من حفرة الوحل . »

يقول بوب انني عندما أصبح في سن قؤولني لامتلاك سيارة ، لن تكون هناك حفرة وحل تسقط فيها السيارات . وان جميع الطرق ستكون ملساء وصلبة ، حتى ان السيارة قد تحجز ويستعيدتها المصرف ، او تفنى دون ان تصادف حفرة وحل . »

« طبعاً ، طبعاً . حسناً . مع أنه لن تكون هناك حاجة إلى معرفة كيفية الخروج من حفرة الوحل ، ستكون خبيراً

بذلك ، لماذا ؟ لأنك ان تتخلى عمّا عرفته لأحد ، .
 « ان يمكنني ان أتخلى عنه ؟ من يهّمه ان يعرف ذلك ان
 لم تعد هناك حفر وحل ، .
 « حسناً ، حسناً . هلا أصفيت قليلاً ؟ انا لا أعني حفر
 الوحل . اتكلم عن الأشياء التي يمكن للصبي ان يتعلمها ، تلك
 الأشياء التي لم يفكر فيها من قبل والتي تصبح بعد ذلك في
 متناول يده عندما يحتاج إليها . لانه ليس هناك ما تتعلمه
 ولا يأتي اليوم الذي ستحتاج اليه فيه . شرط ان تكون قد
 احتفظت به ولم تدعه يفلت منك صدفة ، او لم تفرط به
 عن إهمال أو سوء تصرف . هل فهمت الآن ما أعني ؟ هل
 هذا واضح ؟ »

« لا ادري . يجب ان يكون كذلك ، وإلا لما استطعت
 ان تواصل الحديث عنه . »

« حسناً ، هذه هي النقطة الاولى . الآن ننتقل الى النقطة
 الثانية . اصبحنا انا وانت صديقين حميمين منذ التقينا للمرة
 الاولى ، وقمنا معاً برحلة ممتعة ، وتعلمت بضعة أشياء لم ترها
 أو تسمع بها . وانا فخور بكوني الشخص الذي رافقك وساعدك
 على تعلمها . وانت مقبل اللبّة على تعلم أشياء اخرى ، أرجح
 أنك فكرت فيها من قبل . وسيدعي الكثيرون في جفرسون
 وغيرها انك لست في سن تسمح لك بعرفتها . لكنني اعتقد
 ان الصبي الذي يتعلم في يوم واحد كيف يدير سيارة ويقودها
 الى ممفيس ، ويخرجها من حفرة الوحل اللعينة تلك مؤهل لأن

يعرف كيف يعالج اي امر يواجهه .. « وهنا سعل ، وتنحنح
وذهب الى النافذة وفتحها وبصق ، ثم اقفلها ، وعاد يتابع
كلامه :

« اصل الآن الى النقطة الثالثة ، وهي التي احاول ان ألح
عليها . كل ما يراه الرج ... الشا ... الصبي ، ويتعلمه ،
سينتفع به يوماً ، وان لم يفهمه في حينه ، شرط ان يحتفظ به ،
ولا يتخلى عنه لأحد . آنذاك سيشكر حسن طالعه على الصديق
المخلص الذي أخذ بيده على ظهر أول حصان ركبه ، وحذره
في الوقت المناسب من التفريط به او فقده بطريق الصدفة ،
او الثروة بما ليس من شأن أحد غير اصحابه .. »

« تعني أنني يجب الا احبر جدي او ابي او امي او جدي
عما رأيت في هذه الرحلة . هل هذا قصدك ؟ »
« الا توافق على ذلك ؟ أليس هذا معقولاً وليس من شأن
احد غيري وغيرك ؟ ألا توافق ؟ »

« اذن ، لماذا لم تقل ذلك مباشرة وبصراحة ؟ »
وكان ما زال يتذكر أمر اقناعي بالاستحمام . وكانت
رائحة الحمام قد غدت اكثر طغياناً ، ليس بمعنى القوة ، بل
بمعنى الكثرة . لم أكن اعرف شيئاً عن البنسيونات ، ففكرت
ان بعضها قد ينحصر للنساء فقط . فسألت بون عن ذلك
ونحن نهبط الدرج . كنت جائعاً والظلام قد بدأ بالانتشار .
« أصبت . انهن سيدات . وإذا ضبطتك وانت تتصرف
بوقاحة مع احداهن ... »

« أعني ، الا يقيم هنا رجال ؟ او يعيشون هنا ؟ » .
« كلا ، لا يقيم هنا باستمرار غير السيد بنفورد . هذا
ليس مكاناً للإقامة بالمعنى الصحيح . لكن يأتيهم زوار
كثيرون ، يدخلون ويخرجون بعد العشاء ، وسترى فيما بعد .
طبعاً هذه ليلة الأحد ، والسيد بنفورد دقيق جداً فيما يتعلق
بيوم الأحد : لا رقص ، ولا لهُو . يزور الرجال صديقاتهم
المعينات بهدوء وتهذيب . ويتأكد السيد بنفورد من تطبيق
هذا النظام اثناء وجودهم هنا . الواقع انه يتمسك بهذا النظام
حتى في أيام الأسبوع . وبالمناسبة ، كل ما عليك أن تفعله هو
ان تكون هادئاً ومهذباً ، وتمتع نفسك ، وتصغي جيداً إذا
وجه الكلام اليك . انه لا يتكلم بصوت مرتفع في المرة
الاولى ، ولا يجب ان يضطره احد الى إعادة كلامه . تعال من
هنا . لعلهم في غرفة الأنسة ريبا . » .

وكانوا هناك : الأنسة ريبا ، والأنسة كوري ، والسيد
بنفورد ، وأوتيس . وكانت الأنسة ريبا ترتدي ثوباً أسود
وثلاث ماسات أخرى ، ضاربة الى الصفرة أيضاً . وكانت
السيد بنفورد صغير الجسم ، أصغر شخص في الغرفة ، بنا في
ذلك أنا وأوتيس . وكان يرتدي بذلة سوداء وقميصاً بأزرار
ذهبية تتدلى من جيبه ساعة ذهبية كبيرة ، له شاربان كبيران
ويحمل عصا لها رأس ذهبية ، ويلبس قبعة عالية . وكانت
أمامه على المائدة كأس من الوسكي . لكن أول ما تلاحظه
فيه ، كانت عيناه ، لأنها أول ما تلفت نظرك . كأنه يحدق

فيك . وكان اوتيس يلبس ثياب الأحد أيضاً . ولم يكن
حجمه في مثل حجمي ، لكنه كان فيه شيء غريب . وقال
السيد بنفورد :

« مساء الخير ، يا بون . »

« مساء الخير ، يا سيد بنفورد . هذا صديقي : لوشيموس
براست . »

ولكنني عندما انحنيت أقدم له احترامي ، لم يقل شيئاً
واكتفى بالنظر إلي . ثم وجه الكلام الى ريبا :

« قدمي خمرأ الى بون وكوري ، يا ريبا . وقولي لميني أن
تعد الليمونادة للصبين . فأجابت الانسة ريبا : « ميني تعد
مائدة العشاء ، وقريب كوري لا يرغب في الليمونادة أكثر
مما يرغب فيها بون . انه يريد أن يشرب البيرة . فقال السيد
بنفورد :

« أعرف ذلك . هل الصبي الذي معك مولع أيضاً بالبيرة
يا بون ؟ » فقلت :

« كلا ، يا سيدي ، لا أشرب البيرة . »

« لماذا ؟ ألا تحبها ؟ ام أنك لا تستطيع الحصول عليها ؟ »

« كلا ، يا سيدي . لست بعد في عمر يسمح لي بشربها . »

« وسكي إذن ؟ »

« كلا ، يا سيدي . لا اشرب شيئاً . وعدت امي بالآلا اشرب

إلا إذا دعاني ابي او الرئيس « بوس » الشراب . فقال السيد

بنفورد لبون :

« من هو رئيسه ؟ » فأجاب بون :

« انه يعني جده » .

« اوه ، صاحب السيارة . يبدو انكما لم تعداه بشيء » .
ثم التفت إلي وقال : « لكن امك غائبة الآن . وانت
في رحلة مع بون ، تبعد عنها ثمانين ميلا ، أليس كذلك ؟ »
« كلا سيدي . وعدتها » .

« فهمت . وعدتها بالألا تشرب مع بون . لكنك لم تعدها
بعدم الذهاب معه الى بيوت الدعارة » .

فوثبت الأنسة ريبا والأنسة كوري معا وصرخت الاولى
« يا ملعون ! فقال السيد بنفورد : « كفى » لكن الأنسة ريبا
تابعت كلامها بحدة : « يمكنني ان اقدف بك الى الخارج . ما
هذا الكلام ؟ » فقالت لها الأنسة كوري : « وانت ايضا .
كلامك ليس افضل . تتكلمان أمامها ... » فقال السيد
بنفورد :

« قلت يكفي ، لعلها حضرا الى هنا من اجل التهذيب
فقط ، حسناً ، ما قد تعلمان ان الدعارة والملعنة كلمتان يجب
ان يفكرا كثيراً قبل ان يتلفظا بهما . والآن يا آنسة ريبا
نريد هدوءاً . لنشرب نخب الهدوء » . وعندما رفع كأسه
بدأ شخص ما يقرع جرساً يدويًا في مكان ما من البيت ،
ولعلها ميني . فقال السيد بنفورد :

« هذا افضل وقت الأكل . التهذيب والتمنن يعلماننا ان
للغم وظيفة افضل من التشنق بالاراء الخاصة » .

وذهبنا الى غرفة الطعام يتقدمنا السيد بنفورد . وقبل ان نبلغها سمعنا وقع اقدام تسيير بسرعة ، ثم رأينا سيدتين ، بل فتاتين - أعني ان احدهما كانت ما تزال فتاة حديثة السن - كانتا تنزلان الدرج بسرعة وهما تبككلان أزرار ثوبيهما . وكانت احدهما ترتدي ثوباً أحمر ، بينما ترتدي الثانية ثوباً وردياً وقالت للسيد بنفورد ؛ وهي تلهث قليلاً :

« لم نتأخر . » فأجاب : « يسرني ذلك ، لا احب التأخير ، هذه الليلة خاصة . »

ودخلنا الغرفة . كانت الاماكن على المائدة تزيد عن عدد الحضور . وكانت ميني ما تزال تحضر الاطباق . وكانت وجبة الجميع تتألف من دجاج ممر بارد وبسكوت وخضروات متبقية من الغداء ، ما عدا طعام السيد بنفورد . وكان عشاؤه ساخناً : كان طبقاً كبيراً من شرائح اللحم المغطاة بالبصل . (اترى كم كان السيد بنفورد يسبق عصره ؟ كان جمهورياً . لا اعني جمهورياً من طراز عام ١٩٠٥ - الحقيقة لا اعرف ماذا كانت ميوله السياسية في تنيسي ، أو اذا كانت له اية ميول - بل اعني انه كان جمهورياً من طراز عام ١٩٦١ . وكانت اكثر من ذلك . كان محافظاً . هكذا . فالجمهوري هو الرجل الذي يكسب ماله ، والحر هو الذي ورث ماله ، والديمقراطي هو الذي يركض حافي القدمين في سباق الضواحي والمحافظ هو الجمهوري الذي تعلم القراءة والكتابة .)

وجلسنا جميعاً . وبدأنا نأكل . لعل السبب في ان رائحة شريحة السيد بنفورد كانت ممتازة ، هو ان رائحة بقية الطعام

كانت قد طارت عند الفجر . وقالت إحدى السيدتين الجديديتين
(التي لم تعد فتية) : « هل كنا يا سيد بنفورد ! » ماذا
كننا ؟ فصرخت الفتاة :

« تعرف ماذا ، انت تعرفين آنسة ريبا اننا نبذل جهودنا
- لا نجرؤ على إحداث ضجة - لا موسيقى يوم الأحد ، بينما
تسمع كل البيوت الاخرى بالموسيقى . اننا نسكت زبائنا كلما
ارادوا الحصول على مزيد من التسلية . ولكن لو لم نصل الى
غرفة الطعام ، قبل ان يتدخل فيما لا يعنيه ، لكان غرّمنا
بوضع خمسة وعشرين سنتاً في ذلك الصندوق الملعون . » فقال
السيد بنفورد : « هذه انظمة البيت . البيت بدون انظمة
لا يكون بيتاً . المشكلة معكن أيتها العاهرات ، أن
عليكن أن تتصرفن في بعض الأحيان ، كالمحصنات . لكنكن
لا تعرفن كيف . وعلي ان اعلمكن . » فقالت الكبرى :
« لا يمكنك أن تكلمنا بهذه الطريقة . » فقال : « حسناً ،
سنعكس العبارة . مشكلتكن أيتها المحصنات أنكن لا تعرفن
كيف تتصرفن كالعاهرات . »

كانت الكبرى واقفة الان . كان في سيائها شيء غريب
ايضاً . ليس لكونها كبيرة ، في عمر جدتي ، لأنها لم تكن
كذلك . بل لأنها كانت وحيدة وما كان يجب ان تكون هنا
وحيدة ، وتعاني هذا الوضع . ذلك فظييع . الحقيقة ، يجب
ألا يكون أي إنسان وحيداً الى هذا الحد . وقالت : « آسفة
يا آنسة ريبا . سأغادر هذا المكان الليلة . » فقال السيد بنفورد .

« إلى أين ؟ إلى الجهة المقابلة من الشارع ؟ إلى بيت بيردي
واتس ؟ لعلها تسمح لك هذه المرة بإحضار حقيبتك معك ،
إلا إذا كانت قد باعتهما ! »

وعادت المرأة تنادي الانسة ريبا بهدوء . فقالت هذه
بسرعة : « حسناً ، اجلسي وتناولتي عشاءك . لن تذهبي إلى
أي مكان . نعم ، أنا أيضاً أحب الهدوء . لذلك سأقول شيئاً
واحداً ثم نقفل هذا الموضوع نهائياً » . ثم وجهت الكلام إلى
السيد بنفورد قائلة : « ماذا دهاك ؟ ماذا جرى بعد ظهر
اليوم وجعلك بهذا المزاج ؟ » .

« لا شيء . لا أذكر أن شيئاً قد حصل » .

فقال اوتيس فجأة : « صحيح . لم يحدث شيء .
حتى أنه لم يركض » .

وفجأة تغير الجو ، كأننا مست الجميع صدمة كهربائية .
وظل فم الانسة ريبا مفتوحاً ، ونصف الشوكة داخل فيه .
ولم اكن بعد قد فهمت ، لكن الآخرين فهموا جميعاً . حتى
بون فهم . وفي اللحظة التالية فهمت أنا أيضاً . وقالت الانسة
ريبان : « من الذي لم يركض ؟ » فأجاب اوتيس : « الحصان
والعربة اللذان راهننا عليهما في السباق . أليس كذلك يا سيد
بنفورد ؟ » وفي هذه اللحظة لم يعد السكون مكهرباً بل
مشحوناً بالكهرباء . وكانت الانسة ريبا ما تزال تقاقل . لأن
النساء رائعات ، ولأنهن حكيماً إلى درجة تجعلهن يتحملن
أي شيء ، ويتركن الأحزان والمتاعب تدخل نفوسهن ثم

مخرج من الجانب الاخر . وهن يستطعن تحقيق هذا ، ليس
لأنهن يرفضن تبجيل الألم الجسماني بصورة جدية وحسب ، بل
لأنهن لا ينجلن من فكرة الهزيمة . قالت :

« سباق خيل ، في حديقة الحيوانات ؟ في حديقة
اوفرتون ؟ فقال اوتيس :

« كلا . في ميدان السباق . التقينا في الحافلة برجل كان
يعرف اي حصان وعربة سيكسبان ، وغيرنا رأينا ولم
نذهب الى حديقة اوفرتون . إلا أنهما لم يكسبا .
أليس كذلك يا سيدي بنفورد ؟ لكننا لم نخسر قدر ما خسر
الرجل ، لم نخسر حتى اربعين دولاراً ، لان السيد بنفورد
أعطاني خمسة وعشرين سنتاً كي لا اتكلم . لذلك نكون قد
خسرنا تسعة وثلاثين دولاراً وخمسة وسبعين سنتاً . لكنني
فوق ذلك كله فقدت الخمسة وعشرين سنتاً ثمناً لكأس البيرة .
أليس كذلك يا سيد بنفورد ؟ »

وعاد السكون ثانية . وظل كل شيء هادئاً ، حتى قالت
الانسة ريبا : « يا ملعون » ثم اضافت « أكل عشاءك أولاً ،
الا أن السيد بنفورد لم يكن من النوع الذي يتراجع .
كان أيضاً ألباً ، من النوع الذي لا يعطي شيئاً أو يقبل شيئاً ،
شان طيور الصيد . وبكل هدوء وضع السكين والشوكة
متقاطعتين فوق الشريحة التي لم يكن قد قطعها ، ثم طوي
الفوطة ووضعها في الحلقة ونهض قائلاً . « استاذنكم جيماً ،
وخرج دون ان ينظر إلى احد ، حتى إلى اوتيس . فقالت

صغرى المرأتين الأخيرتين : « يا للغرابية ، من كان يخطر هذا بباله ؟ » ولاحظت ان ميني في هذه الأثناء كانت تقف بباب المطبخ الذي كان نصف مفتوح .

وقالت الانسة ريبا للفتاة : « اخرجي من هنا . اخرجنا كلا كما . » فوقفتاني الحال ، وقالت الفتاة : « تعنين .. نترك المكان؟ » فقالت الانسة كوري : « كلا . اخرجن من هنا فقط . وإذا كنتم لا تنتظران زواراً خلال الدقائق القليلة القادمة ، لماذا لا تقومان بنزهة حول البيت ؟ » فنهضتا للحال . ثم نهضت الانسة كوري وقالت لأوتيس : « اصعد الى غرفتك وابق فيها . » فقال بون . سيمر بباب غرفة الانسة ريبا في طريقه . هل نسيت ربع الدولار ؟ » فقالت اوتيس : « كان اكثر من ربع دولار . كان معي خمسة وثمانون سنتاً كسبتها لأنفقها ليلة السبت . وعندما عرف بأمر البيرة اخذها مني ايضاً . ونظرت اليه الانسة ريبا قائلة : « اذن تخلت عنه مقابل خمسة وثمانين سنتاً ؟ » فقالت الانسة كوري : « اذهب الى المطبخ . ليعد الى هناك يا ميني . » فأجابت هذه : « حسناً . سأحاول ان ابقيه بعيداً عن الثلاثجة . لكنه أسرع مني . » فقالت الانسة ريبا : « دعيه يبقى هنا . فات الاوان . كان يجب ان يرسل مكان آخر ، قبل ان ينزل من قطار اركنساس في الاسبوع الماضي . » وانتقلت الانسة كوري إلى كرسي قرب الانسة وقالت لها بلطف : لماذا لا تذهبين لمساعدته على حزم امتعته ؟ فاجابتها : من تتهمين ! إنني أأتمنه على كل ما عندي ، الا على تلك الخيول !

ووقفت فجأة بجسمها المتناسق المتلىء ، ووجهها الجميل المتجهم ، وشعرها الشديد الاحمرار . وقالت : « لماذا لا أستطيع الاستغناء عنه ؟ لماذا لا أستطيع ؟ » فقالت لها الأنسة كوري : « مهلا ، مهلا . تحتاجين الى كأس . اعطي ميني المفاتيح - اوه ، كلا ، لا يمكنها الذهاب الى غرفتك الآن . » فقالت ميني : « ذهب . سمعت الباب الأمامي يغلق . لا يتطلب ذهابه وقتاً طويلاً . هكذا دائماً . » فقالت الأنسة ريبا : « هذا صحيح . كنا انا وميني هنا من قبل . أليس كذلك يا ميني ؟ ثم اعطت ميني المفاتيح ، فخرجت وعادت تحمل زجاجة جن . وشرب الجميع كأساً من الجن ، حتى ميني (مع انها أبت ان تشرب مع هذا العدد الكبير من البيض دفعة واحدة . فكانت في كل مرة تذهب الى المطبخ وفي يدها كأس مملوءة ، ثم تعود بعد قليل وقد افرغتها) . ولم تشرب ، أنا واوتيس . وهكذا عرفت دور السيد بنفورد .

كان قديم البيت . وهذا لقبه واسمه الرسميان ، مع انها غير مكتوبين . وكان لجميع البيوت المشابهة قيم كالسيد بنفورد . كانت هذا ضرورياً . ولكنه ، في العالم الخارجي الغريب ، حيث يعيش المحظوظون الذين لا يضطرون الى العيش بهذه الطريقة للقاسية المرهقة ، كان له امم آخر ، أقسى واكثر تحقيراً . فهو الذكر الوحيد ، ليس في بيت عادي للنساء بل في بيت خيمت عليه هستيرياهن . كان الوسيط غير المشكور ، والقوة الواهية الوحيدة التي تلبس لباساً من الاحترام

يكفي لفرض قدر كاف من النظام على قلبك الهستيريا ، بحيث يجعل البيت قادراً على دفع الديون ، أو على الأقل الحصول على الطعام . كان الوكيل الذي يجري الحسابات ويتسلم إيصالات الضرائب ، والذي يتعامل مع موظفي تجار المشروبات والبقالين وتجار الفحم والعمال المكلفين بتنظيف المجاري أو المداخن والمزاريب ، وازتزاز الأعشاب من الحديقة . كانت يده هي التي تدفع الرشوات الى رجال اللقانون . وكان صوته هو الذي يخوض المعارك الحاسرة ضد مفوضي التخمين ، ويشتم بائع الصحف يوم لا يحضر الصحيفة . ومن بين هؤلاء (اعني القيمين) كان السيد بنفورد الامير والمثال : كان رجلاً ذا اسلوب ، وخلق ومثل أعلى . وخلال السنوات الخمس التي ظل فيها عشيق الأنسة ريبا ، كان أكثر إخلاصاً من عدد كبير من الأزواج . وكان عيبه الوحيد المراهنة على خيول السباق . وقد عرف هذا للضعف وحاربه . ولكنه ما ان يسمع صوتاً يهتف : « انطلقت ! » حتى ينهار بين يدي اي غريب معه دولار يراهن به .

وقالت ميني : « هو نفسه يعرف ذلك . ويشعر بالحنج ليعجزه عن مقاومته . وهو يعني ما يقول حين يعدنا بالاقلاع عن هذه العادة ، كما حصل قبل سنتين عندما اضطررتا لطرده . » ثم قالت للآنسة ريبا : « تذكرين اي مجهود بذلنا بعد ذلك لاسترجاعه . »

« اذكر . صبي لنا مرة ثانية » .

« لا ادري كيف سيتدبر أمره . فهو عندما يذهب لا يأخذ معه غير ما عليه من الثياب . وقبل انقضاء يومين يقرع الباب رسول يحمل لنا كل سنة منه الأربعين دولاراً . »
فاستدرك بون قائلاً : « تقصدون تسعة وثلاثين وخمسة وسبعين سنتاً . » فأجابت :

« كلا . بل كل سنت من الأربعين دولاراً ، حتى ربع الدولار ذاك لأنه يخص الآنسة ريبا . ثم ترسل الآنسة ريبا في طلبه ، ولكنه لا يعود . وعندما وجدناه في السنة الماضية كان يعمل مع فرقة لمد خطوط المجارير . وقد اضطرت الآنسة ريبا أن تتوسل اليه راکعة على ركبتيهما . . . » فقاطعتها الآنسة ريبا قائلة : « هيا . كفى ثرثرة . صبي لنا الخمر لشرب . »

وبدأت ميني تصب . ثم توقفت فجأة وقالت : « ما هذا الصراخ ؟ »

وسمعنا صوتاً ضعيفاً آتياً من وراء البيت . فقالت لها الآنسة ريبا :

« هاتي الزجاجاة ، واذهي للاستطلاع . »

وأعطتها ميني الزجاجاة وذهبت ثم عادت لتقول : « هناك رجل يقف في الساحة الخلفية وينادي السيد بون هوجانبك ، ومعه شيء كبير . »

وركضنا خلف بون عبر المطبخ الى الرواق الخلفي ،
فرأينا في الظلام ظلين معتمين : ظل صغير وظل كبير ،
كانا يقفان وسط الساحة . وكان الظل الصغير ينادي : « بون
هوجانبك ! يا سيد بون هوجانبك ! هالو . هالو . » وظل
ينادي حتى قاطعه بون صائحاً :

« اخرس ! اخرس ! اخرس ! » .

كان ذلك نداءً وائى جانبه حصان .

،

الفصل السادس

كنا جميعاً في المطبخ . وقال بون : د يا إلهي ! استبدلت
سيارة الرئيس (بوص) بحصان؟، واضطر لتكرار عبارته مرتين
لأن ند كان ما يزال يحدق في سن ميني ، أعني انه كان ينتظر
ظهورها ثانية . فلعل الآنسة ريبا قالت لها شيئاً ، أو انها هي
نفسها قد تكلمت - لا أدري . كل ما اذكره هو ومضة الذهب
عندما انفرجت شفتاها في الضوء ، وكأنا اکتسبت السن من
نور المصباح الضعيف ، وسط الظلام ، القمّ جديداً وسحراً .
كما اکتسبت ذلك عينا الحصان . وكان لهذا تأثيره في ند .
وكم صعقته تلك السن ، كما صعقتني عندما رأيتها للمرة
الاولى . لذلك عرفت أبة تجرّبة كان يجتاز . لكن تجرّبه
كانت اوسع . وقد ادركت هذا بشكل غامض ، حتى في سن
الحادية عشرة . كانت تجرّبتني مجرد شعور بالروعة ، بخروج
أخذه وسرور . ولم اكن استطيع ان التجاوب مع تلك السن

شأن ند . كان يخوض معركة الجنس الازلية ، وأمامه عدو
جدير بما يمتلك من القوة . وكأنا استيقظ فيه التضامن القديم
الغامض بين بني العرق الواحد ، وتمثلت له كاهنة كبرى
تستحق أن يموت من أجلها . لذلك اضطر بون الى تكرار ما
قاله قبل ان ينتبه ند او يسمع . ثم قال ند :

« انت تعرف كما انا اعرف ، ان الرئيس لا يريد
السيارة . لقد اشتراها لانه اضطر الى ذلك ، كي يضع
الكولونيل سارتوريس عند حدوده . ان الرئيس لا يحب غير
الجياد - لا اعني أمثال تلك الخيول الخائفة القوي ، ذات
الاسماء الشهيرة التي يملكها السيد موري ويبقيها عندك في ذلك
الاسطبل ، بل اعني الجياد الاصلية . وقد حصلت له على ما
يريد . وحالما يرى هذا الحصان سيشكرني ويشكر الصدف
التي جعلتني احصل له عليه قبل ان ياخذه غيرنا . »

كنت في ما يشبه الحلم او الكابوس . وحين نكون في حلم
نعرف ذلك . فاذا استطعت ان تلمس بالصدفة شيئاً صلباً ،
شيئاً حقيقياً ، صجوت . وخطر لي ولبون الفكرة نفسها .
فتحركنا بسرعة ، فاستوقفنا ند ، اذ قرأ افكارنا ، فقال :
« لا داعي لتفقدتها . جاء واخذها . »

وجسدي بون في منتصف خطوته وحدثني . كان كلانا
نعاني شكاً رهيباً ، بينما كنت أعبت في جيبي بمفتاح السيارة .
وقال ند ثانية : « مهلاً . لم يحتاج الى مفتاح . انه خبير . وقد
ادعى انه يعرف كيف يمد يده خلف القفل ويديره من الخلف . »

ولم أصدق حتى رأيته يفعل ذلك . لم يلاق آية صعوبة . حتى انه رمى الرسن مع الحصان ... »

وذهبنا مسرعين باتجاه الباب الامامي ، تتبعنا الآنسة ريبا والآنسة كوري . كانت السيارة قد ذهبت . عندها فقط شعرت بوجود السيدتين . كانتا تراقبان بصمت ، دون ان يبدو عليهما اي رد فعل ، كأننا هما من عالم آخر ، منفصل عني وعن بون وند وسيارة جدي والحصان .

ورجعنا الى المطبخ حيث تركنا ند وميني . واستطعنا ان نسمع ند يقول : « المال الذي تتحدثين عنه ايتها الجميلة ، اما ان يكون معي ، او انني استطيع الحصول عليه . دعيني اجد لهذا الحصان مأوى وطعاماً ، ثم نخرج معاً وندع هذه السن تتألق قبالة شيء ما ، كصحن سمك او لحم خنزير - اذا كانت تفضل لحم الخنزير .. » فقاطعه بون قائلاً : « حسناً ، اذهب واحضر الحصان . اين يعيش ذلك الرجل ؟ »

« أي رجل ؟ ماذا تريد منه ؟ »

« اريد ان استعيد سيارة الرئيس . وسأقرر بعد ذلك اذ كنت سأرسلك الى السجن هنا ، او اعيدك معي الى جفرسون ، وأترك للرئيس هذه المهمة . »

« لماذا لا تكف لحظة عن الكلام وتصفي الي ؟ طبعاً أعرف أين يسكن الرجل . ألم ابادله وأخذ الحصان منه ؟ لكن دعه وشأنه . لا نريده الآن . فنحن لن نحتاج اليه الا بعد السباق ، لأننا لم نحصل على حصان عادي ، بل على

حصان سباق . هناك في « بوسم » حصان آخر ينتظر كي يسابق هذا ، حالما نصل الى هناك . و « بوسم » تقع حيث يتقاطع خط سكة الحديد الاتي من جفرسون مع سكة حديد ممفيس .

فقال بون : « حسناً ، هناك رجل في بوسم ... » فقالت الأنسة ريبا : « اوه ، تعني بارشم » . فقال ند : « أصبت . هناك ، حيث يجربون كلاب صيد الطيور . هذا الرجل يملك حصاناً كان قد تحدى به هذا الحصان في سباق من ثلاث جولات ، وجائزة كل جولة خمسون دولاراً . ولكن مئة وخمسون دولاراً ليست شيئاً مهماً . سنسترد السيارة . » فقال بون : « كيف ؟ كيف ستستخدم الحصان لاسترداد السيارة من الرجل الذي اعطاك الحصان بدلاً منها ؟ » فاجابه قائلاً : « لأن الرجل لا يصدق أن الحصان يستطيع أن يركض . لماذا تظنه بادله بشيء رخيص كالسيارة ؟ لماذا لم يحتفظ بالحصان ويكسب لنفسه سيارة ان كان يرغب فيها ، وهكذا يحصل على الاثنين : الحصان والسيارة ؟ »

« عجباً ! لماذا ؟ »

« قلت لك ان هذا الحصان انقلب مرتين حتى الان . ولم يعرف أحد كيف يجعله يجري . وطبيعي ، بعد هذا ، ان يعتقد الرجل ان الحصان لن يركض هذه المرة ، ما دام انه لم يركض في المرتين السابقتين . لذلك ستراهنه على الحصان مقابل سيارة الرئيس . وما دامت السيارة عنده فسيصره ان يشترك

في الرهان كي يربح الحصان ايضاً ، لا سيما انه لن يخاطر بأكثر من الوقوف عند نهاية الشوط حتى يصل الحصان فيمسك به ويربطه خلف للسيارة ويعود به الى مفيس ...»

وتكلمت الأنسة ريبا للمرة الاولى فقالت :

« عجيب ! ، فاستأنف ند كلامه قائلاً : « لانه لا يعتقد ان باستطاعتي ان اجعل الحصان يحري . » ثم وجه كلامه الى بون ، فقال : « ان كنت عاجزاً عن جمع مبلغ اضافي من هؤلاء السيدات لاقتناعه بالتخلي عن السيارة مقابل الحصان ، فخير لك ألا تدع الرئيس بريست يراك بعد اليوم . وقد يتمكن هذا الحصان من حل المشكلة . لأنني حالما رأيته تذكرت ... هه ، هه ، هه ... »

فقال بون وسط ذلك الجو المخلوط بالهزل المر : « كيف تبادل سيارة الرئيس بحصان لا تستطيع ان تركضه ، وتتدبر الان امر إعادة الحصان شرط ان اجمع مبلغاً كافياً ... »

« دعني أكمل . هل ستدعني أكمل ؟ »

« هيا ، أكمل . واجعل كلامك ... »

« تذكرت بفلا كنت املكه .. »

وسكت الاثنان بغتة وتبادلا النظرات .. وقبع ندد ..

بعد لحظة ، بصوت لطيف حاثم فقال : « هؤلاء السيدات لا

يعرفن ذلك البغل . لسوء الحظ ان الرئيس والسيد موري

ليسا هنا لتخبراهن عنه . »

كان باستطاعتي انا أن اخبرهن ، لأن ذلك البغل كان

اسطورة من اساطير عائليتي ، يعود الى يوم كان أبي وزند شابين ، أي قبل أن ينتقل جدي من ماك كاسلن ليصبح صاحب بنك في جفرسون . وفي أحد الأيام ، اثناء غياب ابن العم ماك كاسلن ، قام ند بتعشير فرسه من حمار المزرعة . وبعد أن انتهت الضجة التي حدثت نتيجة لذلك وولد البغل ، أجبره ابن العم ماك كاسلن على شرائه منه مقابل عشرة سنتات تحسم من أجره الاسبوعي مدة ثلاث سنوات . وفي تلك الفترة ظل البغل يغلب كل بغل ينازله في المنطقة على بعد أربعين ميلاً .

ولدت انت متأخراً ، لذلك لا تعرف شيئاً عن البغال . ولذلك سقت لك هذا الايضاح . ان البغل الذي يركض مسافة نصف ميل في الاتجاه الذي يختاره له راكبه ، ولو مرة واحدة ، يصبح اسطورة الجوار ؛ أما البغل الذي يفعل ذلك باستمرار فيعتبر ظاهرة لا تصدق . لأن البغل أذكى من ان يرهق قلبه بالركض مسافة ميل طلباً للمجد كما يفعل الحصان . لذلك أصنف البغال في مرتبة تلي مرتبة الجرذان في الذكاء . بعد البغال تأتي القطط ، ثم الكلاب ، واخيراً الخيول . هذا إذا كنت تقبل تعريفي للذكاء . وهو كما أراه ، المقدرة على مجابهة البيئة ، أي الاستسلام للبيئة وقبولها كما هي ، مع المحافظة على شيء من الحرية الذاتية .

أصنف الجرذ في المرتبة الأولى . فهو يعيش في بيتك دون أن يساعدك على شرائه أو بنائه أو اصلاحه . وهو يأكل

ما تأكل دون أن يساعدك على زرع طعامك أو حمله إلى البيت
 أو شرائه ، ولا يمكنك أن تتخلص منه .
 تأتي القطط في المرتبة الثالثة وتشارك مع الجرذ في بعض
 الصفات ، لكنها مخلوقات اضعف من الجرذ واتفه عنه . القطط
 تتطفل عليك ، تعيش معك ، وتعتمد عليك اعتماداً كلياً في
 المأكل والنأوى ، لكنها لا تدافع عنك ، ولا تحبك . واصنف
 الكلب في المرتبة الرابعة . فهو شجاع . ووفى وثابت في ولاءه .
 وهو أيضاً طفيلي عليك ، يتضح عجزه بخدمتك - اعني تلقائياً
 وبسرور . انه يقوم بأية لعبة مهما كانت سخيفة مقابل التربيت
 على رأسه . ويتضح عجزه ايضاً من كونه متملقاً . فهو يحض
 من كرامته وينتهكها من أجل تسليتك ، ويحرك ذيله تذلاً ،
 جواباً على رفسة . وفي المعركة يضحى بحياته من أجلك ،
 ويموت جوعاً وهو يرقد فوق قبرك حزناً عليك . أما الحصان
 فيأتي في المرتبة الأخيرة . إنه كائن لا يستطيع التفكير في
 أمرين في وقت واحد أبرز صفاته الجبن والخوف . يستطيع
 طفل ان يخدعه ويتملقه ، فيجعله يحطم اضلاعه او قلبه في
 الركض مسافه بعيدة وبسرعة كبيرة . أو في القفز فوق أشياء
 عريضة او عالية . ان لم يربح كالطفل ، يأكل حتى يموت .
 ولو كان عنده درهم واحد من ذكاء الجرذ لكان هو الخيل .
 لكن البغل يحتل المرتبة الثانية . وضعه في هذه المرتبة
 لسبب واحد ، هو انه باستطاعتك ان تشغله ، لكن ضمن
 الانظمة الصارمة التي حددها لنفسه . فهو لا يسمح لنفسه

بالافراط في الطعام . يجر عربة او محراثاً لكنه لا يجري في سباق . لا يقفز فوق اي شيء إن لم يتأكد مسبقاً انه يستطيع القفز فوقه . لا يدخل مكاناً إلا إذا عرف ضمناً ماذا يوجد في الطرف الاخر . يعمل لك بصبر مدة عشر سنوات على امل ان تتاح له فرصة رفسك ولو مرة واحدة . وبكلمة صريحة ، انه مرتاح من التزامات النسب ومسؤوليات النسل . لم يقهر الحياة وحسب بل الموت ايضاً ، فهو لذلك خالد . إذا باد عن وجه الارض اليوم ، فإن التركيب البيولوجي الذي انتجه بالأمس سينتجه بعد ألف سنة ، دون تبديل او تغيير ، ودون ان يسري عليه قانون التطور . وهو يبقى مع ذلك حراً وقادراً على مواجهة وضعه . وهذا ما جعل بغل ند فريداً من نوعه ، او قل ظاهرة خاصة . ضع اثني عشر بغلاً في حلبة سباق ، وعندما تصدر كلمة «انطلق» فان البغال تتجه في اثني عشر اتجاهاً مختلفاً، كما تنتشر حشرات خائفة على سطح مستنقع . والبغل الذي يصادف ان يكون اتجاهاً باتجاه المرمح يكون الرابع حتماً .

لكن ذلك لم يكن ينطبق على بغل ند . وقد روى ابي انه كان يجري كالحصان ، انما دون هوس الحصان واضطرابه واندفاعاته السريعة الخيفة التي تضني القلب . كان يركض وكأنه يؤدي عملاً : كان ينطلق بالسرعة الصحيحة الضرورية التي يكون قد قدرها ، وذلك وفقاً للهمة ند (او صوته ، او أياً كانت الاشارة) ، ولا تتبدل تلك السرعة حتى يكون

قد تجاوز نهاية الشوط وأوقفه ند . ولم يعرف أحد حتى ابي الذي شاهد ند - بسر البغل وماذا كان ند يفعل له . وطبيعي ان الاسطورة قد نمت وتضخمت ، أعني ذلك السحر الذي اكتشفه ند او ابتدعه لجعل البغل يجري بصورة تختلف عن اي بغل آخر . لكننا لم نعرف ذلك السر قط ، ولم يعتل البغل اي خيال آخر ، حتى بعد ان بدأ ند يكبر ويزداد وزنه ، حتى مات البغل عن اثنتين وعشرين سنة دون ان يغلب . وما يزال قبره قائماً في ماك كاسلن حتى الان .

هذا ما عناه ند وعرفه بون . وحدق واحدهما في الاخر ، ثم قال بون : « هذا غير ذلك البغل . هذا حصان . » وقال ند : « لدى هذا الحصان نفس الحساسية التي كانت لدى ذلك البغل . ليس الى حد كبير لكنه من النوع ذاته . » وحدق واحدهما في الاخر . ثم قال بون : « لنذهب ونلق عليه نظرة . »

واضأت ميني مصباحاً ، فحمله بون وذهبنا الى الساحة الخلفية ترافقنا ميني والانسة كوري والانسة ريبا . كان القمر قد بدأ يرتفع وصار بإمكاننا ان نرى . وكان الحصان مربوطاً تحت شجرة خروب في الزاوية ، فتوقدت عيناه لدى اقترابنا ونفخ بأنفه ، وسمعناه يحرك رجله بعصبية .

توقفنا ، ورفع بون المصباح عالياً . وتوقدت عين الحصان ثانية بفتور وعصبية عندما سار ند باتجاهه وظل يكلمه الى ان استطاع ان يلمس كتفيه ويربت عليهما ، وظل يكلمه حتى

متطاع ان يمك بالرسن . ثم قال لبون : « لا تقرب
المصباح منه . ابتعد وارفعه حتى يمكن للسيدات أن يرين
حصانا . وعندما أقول حصانا، فإنني أعني حصانا حقيقيا .
وليس تلك الكدائش التي تسمونها في جفرسون خيولاً .
فقال بون :

« كف عن الكلام واحضره لنراه . »

« اذك تراه الان . ارفع المصباح . »

لكنه احضر الحصان وحركه قليلا . نعم ، ما زلت
اذكره : كان عمره ثلاث سنوات . وكان كستنائي اللون ،
صغيراً ، لم يبلغ اقل من ستة عشر شهراً ، ذا عنق طويل للتوازن ،
وكتفين منحدرين يساعدان على السرعة ، ومايض كبيرة من
أجل الاندفاع .

ومع انني كنت آنذاك في الحادية عشرة ، فقد تبين لي
انني كنت أفكر في ما كان بون يفكر فيه . اذا ادار نظره بين
الحصان وند . ثم تكلم بصوت هامس : « هذا الحصان ... »
لكن الانسة كوري قاطعته قائلة : « انتظر ، صحيح ،
نسينا اوتيس . هذا شيء آخر عنه دائماً تنتبه الى وجوده قبل
فوات الأوان بلحظة واحدة فقط . وقالت الانسة ريباموجهة
الكلام اليه : « نعم ، اخرج من هنا . » ان النساء رائعات
حقاً . ثم قالت الانسة كوري : « ادخل الى البيت يا اوتيس
فقال :

« حاضر . تعال يا لوشيموس . »

« كلا . انت فقط . اذهب الان . يمكنك ان تصعد الى

غرفتك . »

« ما زال الوقت مبكراً . ولم انعس بعد . » فقالت

الانسة ريبا :

« لن اقول لك ذلك مرتين . »

« وانتظر بون الى ان دخل ارتيس الى البيت . ثم استأنف

حديثه مع ند بذلك الصوت الفاتر الرتيب ، ثم قال هامساً :

« هذا الحصان مسروق ! » فاجاب ند : « وماذا عن

تلك السيارة ؟ »

قلت لك ان النساء رائعات . فقد قالت الانسة ريبا

بصوت منخفض لكن بسرعة : « يجب ان تخرجاه من

المدينة . » فقال ند : « هذا ما فكرت فيه عندما احضرته الى

هنا . حالما اتناول عشائي سأبدأ الرحيل به الى بوم . »

فقال بون :

« أتعرف كم تبعد « بوم » . وفي اي اتجاه ؟ » فاجاب

ند : « هل هذا مهم ؟ عندما غادر الرئيس البلدة دون ان يأخذ

السيارة معه ، هل اهتمت بالمسافة الى ممفيس ؟ » فقالت

الانسة ريبا : « ادخلا الى البيت . هل يمكن ان يراه احد

هنا ؟ » فاجاب ند : « أبداً . لقد اهتمت بهذا الأمر . »

ثم ربط الحصان الى الشجرة وصعدنا الدرج الخلفي تتقدمنا

الانسة ريبا ، وهي تقول : « إلى المطبخ . هذا وقت مجيء

الزبائن . » وهناك قالت لميني : « اجلسي في غرفتي كي تفتحي

الباب حين يقرع . إذا سأل أحد عن الانسة كوري ، قولي ان صديقاً لها من شيكاغو موجود في المدينة . ، فأردف بون قائلاً :

« إذا لم يصدقوك ، قولي لهم ان يجتازوا الممر ويقرعوا الباب الخلفي . »

« بحق المسيح ، اليس عندك متاعب تكفيك ؟ إذا كنت لا تريد ان تستقبل كوري زبائن ، فلماذا لا تشتريها مرة واحدة بدلاً من استئجارها مرة كل ستة اشهر ؟ » فقال بون :

« حسنا ، حسنا . » ثم تابعت الانسه ريبا قائلة لميني :
« تفقدي كل شخص في البنسيون . » فقالت كوري . سأهتم به بنفسي . فقالت الانسة ريبا . « دعيه يبق في غرفته . لقد سبب لي اليوم متاعب تكفيني . » وخرجت الانسة كوري ، واقفلت الانسة ريبا الباب ووقفت تنظر الى ند ثم قالت :

« هل تعني انك ستقود الحصان الى بارشم ماشيا على قدميك ؟ »

« اجل ؟ »

« هكذا تعرف كم تبعد بارشم ؟ »

« وهل لذلك أهمية ؟ لا تهمني معرفة المسافة الى بوسم . لا اريد سوى بوسم . لهذا السبب غيرت رأي بشأن قيادته ، فقد تكون بعيدة . وقلت بما أنك تعملين في الاتصالات .. »

« ما تعني ؟ أنا أدير بنسيوناً . كل شخص مهذب يدعوهُ

كذلك . »

« أعني قد يكون لدى أحد معارف السيدات عندك

حصان ركوب ، أو حصان حراثة أو على الأقل بغل يمكنني

أن أمتطيه ، بينما يمتطي لوشيوس المهر . بهذه الطريقة نذهب

إلى بوسم . لأن الحصان لن يجري ميلاً واحداً فقط بعد غد ،

بل لا بد أن يجتاز المسافة ثلاث مرات ، ويجب أن يسبق

الحصان الآخر مرتين على الأقل . »

« طيب ، لنفرض أنك وصلت أنت والحصان إلى بارشم

يبقى عليك أن تجد حصان سباق . »

« أي شخص معه حصان يستطيع أن يجد حصان سباق

أينما كان . يكفي أن يكونا قادرين على الصمود تلك المسافة . »

« هل يمكنك أن تجعل هذا الحصان يصمد تلك المسافة ؟ »

« نعم . »

« هل تستطيع أن تجعله يجري ؟ »

« نعم . »

« ما أدراك أنك تستطيع ذلك ؟ »

« جعلت ذلك البغل يجري ! »

« أي بغل ؟ » وهنا دخلت الأنسة كوري وأقفلت الباب

خلفها . فقالت لها الأنسة ريبا : « أقفليه جيداً . » ثم

استأنفت حديثها مع ند قائلة : « حسناً ، أخبرني عن ذلك

السباق . » وتأملها ند طوال ربع دقيقة ، ثم قال لها :

« تبدين أحياناً كمن يريد ان يتكلم كلاماً معقولاً . »
 فقالت : « جرّبني ! » فقال : « حسناً . هناك رجل غني
 أبيض لا اذكر اسمه ، لكنني أستطيع أن اجده ، لديه حصان
 أصيل آخر ، كان قد سبق هذا الحصان مرتين في الشتاء
 الماضي ، فغلبه مرتين . وقد استطاع ذلك الحصان ان يغاب
 هذا في الجولة الاولى ، بشكل جعل صاحبه يراهن بضعف
 المبلغ في الجولة الثانية . وعندما يصل هذا الحصان الى «بوسم»
 ليشارك في سباق آخر ، سيكون ذلك الرجل الغني الابيض
 اكثر من راغب في اشراك حصانه في السباق . »
 « حسناً ، تابع . »

« هذا كل شيء . استطيع ان اجعل هذا الحصان يجري
 ولا احد يعرف هذا حتى الآن . لذلك إذا رغبتين في جمع بعض
 المال استطعنا ، انا ولوشيوس والسيد هوجانبيك ان نحمله معنا
 ايضاً . »

« هل يشمل هذا الشخص الذي أخذ السيارة ؟ أعني هل
 هو ممن لا يعرفون ان باستطاعتك ان تجعله يجري ؟ » .
 « نعم . »

« إذن لماذا لم يوفر المتاعب على الجميع ويرسلك مع
 الحصان الى بارشم اذا كان يعتقد ان كل ما عليه ان يفعله
 ليكسب الحصان والسيارة هو دخول السباق فقط ؟ » وختم
 الصمت . كانا ينظران ، واحدهما إلى الآخر . ثم قالت الأنة
 ريبا :

« هيا . عليك ان تقول شيئاً . ما اسمك ؟ »
« ند وليام ماك كاستن ، جفرسون ، ميسيسيبي ! »
« ماذا ؟ »

« لعله لا يقوى على ذلك » . وهنا قال بون : « عجيب !
نحن كذلك لا نقوى... » فقالت له الأنسة ريبا . « احرص ! »
ثم قالت لند :

« سمعتك تقول إنه غني . »
« كنت أقصد الشخص الذي يديه السيارة الحصان . »
« هل اشترى الحصان من الرجل الغني ؟ »
« كان الحصان معه . »
« هل اعطاك ورقة ما عندما تبادلت معه ؟ »
« أخذت الحصان . »
« لا تعرف القراءة ، أليس كذلك ؟ »
« أخذت الحصان ! »

فحدقت فيه الأنسة ريبا ، ثم قالت : « حصلت على
الحصان . لنفرض انك اخذته الى بارشم . قلت ان لديك
طريقة تجمله يجري . هل ستممكن تلك الطريقة من اخذ
السيارة ايضاً الى بارشم ؟ »

« استعملي عقلك . انت بعيدة النظر . إذا ادركت أكثر من
جميع الموجودين هنا . إن الأشخاص الذين يبادلهم...
فقاطعته الأنسة ريبا قائلة : « أشخاص ؟ قلت رجلاً . »
لكن ند ظل متابعاً : « ... واقعون في ورطتنا ذاتهم . »

عليهم ان يعودوا الى بيوتهم ايضاً عاجلاً أو آجلاً . ، فقالت :
 « إن كان اسم نند وليام ماك كاسلن ، أو بون هوجانبيك ،
 أو أياً من الأشخاص الذين بادلتهم بالحصان ، لن يكفيه أن
 يعود بالسيارة وحدها أو الحصان وحده ، بل عليه أن يحصل
 على كليهما . أليس كذلك ؟ » فقال نند : « ليس تماماً . أليس
 هذا ما كنت ان اقوله لك مدة ساعتين ؟ » فحدقت فيه
 الأنسة ريبا ، وتنفست بهدوء ثم قالت :

« إذن ستأخذه إلى بارشم سيراً ، بينما يكون كل شرطي
 في غرب تنسي يفتش في كل طريق تتفرع من ممفيس عن
 حصان » - وهنا نادتها الأنسة كوري ، فيما تابعت عبارتها -
 « منذ فجر صباح غد . » ولكن نند كان واثقاً من ان الوقت قد
 فات على وقوعه في قبضة الشرطة . وقالت ريبا للآنسة كوري :
 « وماذا عن سائق القطار ذاك ؟ » وحين سألتها من تعني ،
 اجابت بانه ليس سائق قطار بل رجل إشارة . فقالت ريبا :
 « حسناً ، رجل إشارة » ثم قالت لبون : « إنه احد
 معارف كوري ... » ثم التفتت الى نند وقالت : « يبدو ان
 كلمتك هذه مناسبة . عم أمه يعمل نائب رئيس أو ما شابه
 في الخط الحديدي الذي يمر في بارشم ... » فقالت الأنسة
 كوري مصححة : (خاله مفتش .) فقالت الأنسة ريبا :
 « مفتش ، اي انه يقوم بوظيفته حين لا يكون في ميدان السباق
 هنا أو في اية من المدن التي تمر فيها قطاراته ، بينما يشق ابن
 اخته طريقه صعباً وفي فمه ملعقة من فضة ، ويستمر ذلك

ما دام لا يعرض عليها بشدة تلفت الاقتباه . هل فهمتم ما أعني ؟ » فقال بون :

« عربية البضاعة . » فقالت الأنسة ريبا :

« نعم ، هكذا يصلون الى بارشم ويصبحون بعيدين عن الانظار قبل طلوع نهار الغد . » فقال بون :

« لكن حتى عربية البضاعة تكلف مالاً وعلينا أن نختبئ » هناك حتى موعد السباق ، وندفع مئة وخمسين دولاراً مقبل

الاشتراك في السباق ، ولا أملك غير خمسة عشر او عشرين دولاراً . » ثم نهض وقال لند :

« اذهب واحضر الحصان . أين بيت الرجل الذي أعطيته السيارة ؟ » فقالت الأنسة ريبا :

« اجلس . عجيب أمرك . ستعني ورطاً عندما تعود الى جفرسون . ومع ذلك فانت تتلهي بعد البنسات . ثم التفت نحو الأنسة كوري وقالت :

« هل سام في البلدة الليلة ؟ » نعم . »

« هل يمكنك العثور عليه ؟ » نعم . » فقالت الأنسة ريبا لبون انت يخرج من هناك

ويتمشى مدة ساعتين ، او يذهب الى بيت بيردي وات إذا شاء . ثم استخلفته بالله ان لا تسكر . وقالت لند :

« نعم . » فحسب ان كوري تأكل وتدفع الايجار عندما تكون حشرتك في مستنقعات ميسيسيبي . مشغلاً بسرقة السيارات وخطف

الاولاد ؟ » فقال بون « لن اذهب الى أي مكان . » ثم امر

ند باحضار الحصان . فقالت الانسة كوري : « لست مضطرة الى استقباله ، يمكنني ان اكلمه بال تلفون » . لم تقل الانسة كوري هذا القول غروراً او خجلاً ، بل رصانة . كانت أكبر من ان يناسبها الغرور او الخجل . اما الرصانة فكانت تناسبها تماماً . وسألتها الانسة ريباً اذا كانت متأكدة ، فأجابت نعم . فقالت لها ان تلفن اذن . وقال بون « تعالي الى هنا » فتوقفت الانسة كوري ، فقال ثانية :

« قلت تعالي الى هنا » . عندئذ اقتربت دون ان تكون في متناول يد بون . وفجأة لاحظت انها لم تكن تنظر اليه مطلقاً ، بل كانت تنظر إلي . ولهذا تمكن بون ان يمد يده فجأة ويمسكها من ذراعها قبل ان تتمكن من تجنبه ، وجذبها اليه بينما راحت تحاول التملص منه ، وهي ما تزال تنظر إلي . ثم قالت له :

« اتركني . يجب ان اتلفن » . فقال بون :

« طبعاً ، طبعاً . هناك وقت لذلك . » وجذبها اليه ، فانحنت عليه وقبلته باستسلام من فشل في اظهار قوته وحصانته ، ثم نقرته على قمة رأسه وهي تنسحب . لكنه أنزل يده بسرعة وأمسك بمؤخرتها على مرأى من الجميع ، بينما راحت تجاهد للتخلص منه . ونظرت الي ثانية . كان في عينيها شيء ، كالتوسل - شيء يمتزج فيه الخجل باحزن ، لست ادري - وصعد الدم بطيئاً الى خديها . واستمر ذلك دقيقة . كانت ما تزال تحاول ان تتصرف كسيده حتى انها كانت

تجاهد للتخلص كسيده أيضاً . لكنها كانت أكبر وأقوى من
 أن يتمكن أي شخص أن يمك بها بيد واحدة ، وهكذا
 أفلتت منه . وقالت له : (ألا تخجل من نفسك ؟) ثم
 قالت الأنسة ريبا : « ألا يمكنك أن تنتظرها حتى تجري
 مكالمة هاتفية واحدة ؟ إذا كنت تريد المحافظة على عفتها لم لا
 تسكنها في مكان خاص بها حيث تبقى عفيفة وتحصل على
 قوتها ؟ » ثم قالت للآنسة كوري : « اذهبي وتلفني . صارت
 الساعة التاسعة . »

كنا قد تأخرنا فعلاً . فبدأ المكان يصحو - بدأ محموماً
 كما تقولون هذه الايام ، لكن بشكل محتشم : لم تكن هناك
 ضوضاء ، او موسيقى ، او حتى ايتهاج . وكان شبح السيد
 بنفورد ما يزال مسيطراً ، اذ لم يكن قد عرف بغيابه سوى
 سيدتين ، ولم يفتقده الزوار بعد . وسمعنا الجرس بصوت
 ميني الخافت عند الباب الامامي ، ووقع اقدام النساء وهن
 يهبطن السلم . وتناهت الينا جلبة الضيوف عندما فتحت الآنسة
 كوري الباب . وبدا ان الطفل اب للرجل وأم للمرأة .
 وكنت في جفرسون قد حسبت ان طراوة عودي ، وبراعة
 الطفولة ، هما اللتان جعلتا اللا فضيلة تلاقي في عدواً ضعيفاً لا
 يستحق حتى لقب عدو . لكن مقاومتي دامت ما لا يقل عن
 ثلاث ساعات ، بين اللحظة التي علمت فيها بوفاة جدي ليسيب
 حتى اللحظة التي تحرك فيها القطار وأدركت فيها ان مفتاح
 سيارة جدي صار بين يدي بون لمدة اربعة ايام على الأقل .

وہا ہم فی ہذا البیت وقد اختبروا مکائد الأفضیلة (أو
الفضیلة) ومناوراتہا بتجاربہم الیومیة . وقد اشتد عودہم ،
فلم یصمدوا ، مع ذلك ، ثلاثین دقیقة . هؤلاء الذین لم یكونوا
قد عرفوا بوجود نذ او الحصان قبل ثلاثین دقیقة ، ہذا فضلا
عن الغریب الذی خرجت الانسة ریباً وہی واثقة من التغلب
علیہ بلا سلاح غیر التلفون .

وعادت مینی واخذت المصباح وذهبت الی السقیفة الخلیفة .
ولاحظت ان نذ أيضاً لم یکن فی الغرفة بل کان فی المطبخ
یتحدث الی مینی . وفجأة سمعنا صرخة سریعة قوية أطلقتهآ
مینی ، ثم سمعنا وقع اقدمہا . ودخلت الغرفة وہی تلهث .
ثم تبعتها الانسة کوری وہی تقول برصانة : « حسناً ، إنه
آت . وسیساعدنا . إنه ... » فہب بون مقاطعاً : « لن
یساعدنی انا ہذا اللعین . » فقالت لہ الانسة ریباً : « انصرف
إذن . اخرج من هنا . ماذا ستفعل ؟ هل ستعود الی میسیسی
ماشياً أم علی الحصان ؟ ہیا ، اجلس . » ثم اشارت الی
الآنسة کوری ان تسرد التفاصيل فقالت : « انه لیس سائق
قطار ، بل رجل اشارة . ولو انه یلبس بزة کالقی یلبسہا
السائق . وهو سیساعدنا . »

أرأیت ؟ العالم کلہ یحب العاشق . ہكذا قالت الاوزة الی
ترى أعماق قلب الانسان . لکن المؤسف انه لا یعرف شیئاً
عن الخیول . ویبدو ان العالم کلہ یحب ایضاً حصان المسبق
المسروق . ہكذا قالت لنا الانسة کوری . وكان اوتیس

موجوداً هذه المرة. كان فيه شيء غريب لم ألاحظه إلا عندما
 ارشك الأوان ان يفوت . قال : «علينا أن نشترى على الأقل
 تذكرة واحدة الى بوسم ليكون لدينا ... » فقاطعتها الأنسة
 ريبا : « اسمها بارشم . » فتابع كلامه قائلاً : « حسناً .
 ليخصص لنا مكان نضع فيه الحصان على انه امتعة . سيحضر
 سام التذكرة وقسيمة الامتعة معه . وسيتم كل شيء على ما يرام .
 وستكون هناك مقطورة فارغة واقفة على خط فرعي ، يعرف
 سام مكانها ، فنضع الحصان في زاوية منها وندق حوله بعض
 الألواح الخشبية لئلا ينزلق . وسيعد سام بعض الألواح والمسامير .
 ان المجازفة الوحيدة ، هي في نقل الحصان من هنا الى
 المقطورة ، . وهنا توقفت عن الكلام ونظرت الى ند
 فقال لها :

« ند وليام ماك كاسلان جفرسون ميسيسيبي » . وهنا
 استأنفت كلامها قائلة :

« ... من غير المناسب ان يسير ند في الشارع ، وان كان
 شارعاً خلفياً ، في مثل هذا الوقت المتأخر وهو يقود حصاناً .
 لان أول شرطي يلتقي به سيوقفه . اذلك سيحضر سام بطانية
 ويلبس بزته الرسمية ونقود الحصان ، أنا وهو وبون ، الى المحطة
 ولن يلاحظ احد شيئاً . اوه ، نعم ، سيقوم قطار الركاب ...
 فقاطعتها الأنسة ريبا قائلة : « يا إلهي . مومس وندق قطار
 بولمان ، وجرذ من مستنقعات ميسيسيبي بحجم صهر ريج الماء ،
 يقودون حصان سباق في ممفيس ، وفي منتصف ليلة الأحد ،

ولا يلاحظ ذلك أحد؟ ، فأوقفتها الانسة كوري عن الكلام
الا انها تابعت قائلة : « أوه . لو انه أتى من ميسيبي مع
بون في زيارة ودية لكان في وسعنا ان نحمله . اما ان
يستخدموا هذا المكان كمركز رئيسي ويسرقوا السيارات
والخيول ، فشيء آخر ، وعليه ان يجازف مثل غيره . ماذا
قلت عن القطار؟ » فقال ند : « صحيح . ان قطار الركاب
الذي يفادر واشنطن في الساعة الرابعة صباحاً سيأخذ العربة ،
فنصل كلنا الى بوسم قبل طلوع النهار . فصاحت به
الآنسة ريبا :

« بارشم ، لا بوسم ، اها اللعين ! » فقال :
« عفواً ، ألسن آتية أنت ايضاً؟ »

الفصل السابع

وهذا ما فعلناه ، مع أن سام أراد ان يرى الحصان اولاً .
فقد دخل من الجهة الخلفية عبر المطبخ حاملاً بطانية الحصان .
وكان يلبس بزته الرسمية وكان تقريباً في ضخامة بون .
هكذا وقمنا جميعنا مرة ثانية في الساحة الخلفية . كان
ند يحمل المصباح هذه المرة ولم يكن يوجه ضوءه إلى الحصان
بل إلى سترة سام ذات الازرار النحاسية ، وقبضه وقبعته
المسطحة التي كتب على مقدمتها بأحرف ذهبية والواقع
أنني انتظرت ان يسبب مشكلة بشأن سام والحصان ، لكنني
كنت مخطئاً . وقال ند « من ، انا ؟ لماذا ؟ ان تكون الحالة
أفضل ، إذا قام شرطي بقيادة ذلك الحصان بنفسه الى بوسم . »
وعلى العكس ، كان بون هو الذي سيسبب المشكلة . وانظر
سام الى الحصان قائلاً :

« هذا حصان ممتاز ، كما يبدو لي . » فرد بون قائلاً :
« طبعاً ، ليس له صفارة او جرس . بل ليس له حتى مصابيح
أمامية . استغرب كيف يمكنك ان تراه . »
« ماذا تعني بذلك ؟ »

« لا اعني شيئاً غير ما قلته . انت اختصاصي بالخيل الحديدية .
قد يكون من الافضل ان تذهب الى المحطة دون ان تنتظرتنا ،
فقالت الانسة ريبا :

« ألا ترى انه يحاول ان يساعدك ؟ انه يورط نفسه كي لا
يكون العمدة اول حيوان حي تقابله عند عودتك الى بلدك .
انه هو الذي يجب ان يدعوك الى الانصراف من هنا مع الحصان .
اعتذر . » فقال بون : « حسناً . لننس ذلك . »

وتكلم سام فقال : « ايتها السيدتان ، هل تريدان ان يذهب
هذا الحصان الى بارشم الليلة ام لا ؟ » فقالت الانسة كوري ،
وهي تنظر إليّ والى أوتيس : « يجب ان تكونا في الفراش .
فوافقتها الانسة ريبا ، قائلة : « طبعاً . ذلك يحدث في
اركنساس او في مسيسيبي او حتى في مكان ابعد من ذلك لو
ترك الأمر لي . لكن فات الاوان الان . لا يمكنك ان ترسلي
احدها لينام دون الاخر ، والصبي الاخر هو رفيق بون ،
وهو يملك جزءاً من الحصان . » وفي آخر لحظة لم تستطع
الانسة ريبا ان تذهب هي ايضاً . ولم يكن بالامكان الاستغناء
عنها وعن ميني فتمد اصبح البنسيون يعجّ بالزبائن .

هكذا وضع ند وبون اللبطنية على الحصان . ثم راقبنا

من الرصيف - انا وند واورتيس - بون وسام ... اللذين لم تكن بينهما صداقة بل هدنة ، وبينها الأنسة كوري ، وهما يقودان الحصان وسط الشارع ، ليلة الأحد الهادئة . كانت هناك انوار قليلة - انوار البنسيونات فقط (اصبحت لي خبرة الان - لم اكن خبيراً تماماً ، لكنني اصبحت علماً بهذا الأمر . فقد كنت اعرف المكان المشابه لبنسيون الانسة ريبا حالماً (اراه) . وكانت الحانات كلها معتمة لم اكن اعرف الحانة بمجرد المرور بها ، ولكن نذا اخبرنا ، انا واورتيس ، انها حانات وانها مقفلة . كنت أتوقع ألا تكون مقفلة او مفتوحة . تذكر انني كنت في ممفيس (او في شارع كاتالبا) قبل أقل من ست ساعات دون ان يكون ابي او امي معي ليوجهاني . كنت اتقدم بسرعة .

وقال نذا : « هذا يسمى القانون الأزرق ، فأجاب : « لا اعرف الا اذا كان يعني انهم صرفوا كل ما لديهم من مال ليلة السبت ولم يبق مع اي منهم ما يكفيه الان » . وقال اورتيس : « هذا بالنسبة للحانات فقط . بذلك لا يتضرر احد وإذا لم يبيعوه ليلة الأحد يمكنهم الاحتفاظ به وبيعه الى شخص ما . او الى الاشخاص انفسهم ، ليلة الاثنين . لكن الوصوصة غير ذلك . يمكن استثمارها الليلة ثم تعود لاستثمارها غداً . لا تخسر شيئاً وإذا جربوا تطبيق ذلك القانون الأزرق بل الوصوصة فان الشرطة ستتدخل وتمنعهم » .

وسألت : « ما هي الوصوصة ؟ »

فقال ند : ، انت تعرف اشياء كثيرة ، اليس كذلك ؟
لا غرابة في ان اركضو لا تسعك . اذا كان جميع الناس
هناك يعرفون مقدار ما تعرف في سنك ، فان تكساس لن
تسعمهم عندما يصبحون في سن الحادية والعشرين ! ، وكررت
قائلا : « ما هي الوصوة ؟ » فردّ ند ، متابعاً بصوت
أعلى : « فكر في تقديم بعض الطعام الى ذلك الحصان ، كي
تستطيع ابقاه هادئاً الى ان نوصله الى بوسم ثم نضعه على ذلك
القطار » . ثم وجه كلامه الى اوتيس : « ربما احتجنا الى
دلو ماء وصابون كي تأخذك عمّتك وتغسل لك فمك ، أو ربما
الى اقرب عصا » .

ثم قابلنا شرطياً . اعني انه اوتيس رأى الشرطي قبل ان
يرى الشرطي الحصان . كان الشرطي يعرف الانسة كوري .
وبدا أنه يعرف سام ايضاً . وقال الشرطي : « الى اين
تأخذونه ؟ هل سرقتموه ؟ » فردّ سام : « استعرتاه » ولم
يتوقفوا عن السير . وتابع سام قائلاً : « ركبناه لحضور
الصلاة الليلة وها نحن نعيده الان » . وتابعنا سيرنا . وكان
أوتيس يشتم . وقال : « لم أر ذلك من قبل . ما رأيت شرطياً
يكلم شخصاً من قبل إلا كان هذا الشخص يعطيه شيئاً .
فميني والانسة ريبا تبقيان زجاجة بيرة في انتظاره ، قبل ان
يدخل ، على الرغم من ان الانسة ريبا تشتمه قبل ان يأتي
وتشتمه بعد ان يذهب . ومنذ مجيئي الى هنا في الصيف الماضي
ومعرفتي بهذا الامر ، اذهب كل يوم الى ساحة المحاكم حيث

يعرض ذلك الايطالي التفاح والفسق فأرى شرطياً يأتي الى هناك ، ودون ان يلاحظه احد يأخذ تفاحة وقبضة فسق .
كان يجري تقريباً ليلاحق بنا ، فقد كان اصغر مني بكثير .
أعني انه لم يكن يبدو اصغر بكثير الا عندما تراه يجري للحاق بنا . كان فيه شيء غريب . فأنت مثلا تقول لنفسك
« سأكون في السنة الآتية أكبر مما انا الآن » ، مجرد ان ذلك امر طبيعي لا مفر منه ، ولا يهم اذا لم تكن تتصور كيف ستبدو حينئذ . وينطبق الشيء نفسه على بقية الأطفال . لكن بالنسبة لأوتيس ، فهو يبدو كأننا وصل قبل سنتين او ثلاث الى حيث لن نصل في السنة الآتية ، ومنذ ذلك الحين وهو يعود الى الوراء . كان ما يزال يتكلم . « لذلك فانت الشيء الوحيد الذي فكرت فيه حينئذ هو ان اكون شرطياً . لكن ذلك التفكير لم يدم طويلاً . انه عمل محصور جداً .
فقال ند : « محصور بماذا ؟ » فأجاب اوتيس : « بالبيرة والتفاح والفسق . من يضيع وقته على البيرة والتفاح والفسق ؟ » ثم شتم ثلاث مرات . وقال : « هذه هي البلدة حيث يوجد المال . المال . النقد . إنني افكر بالوقت الذي أضعته سدى في اوكنساس قبل ان يخبرني احد عن ممفيس . تلك السن كم تظن ان تلك السن وحدها تساوي ؟ لو انها دخلت المصرف واقلمتها ووضعتمها على الطاولة ونسيت اصرفها لي ؟ »
فقال ند : « نعم . اذكر صبياً مثلك في جفرسون كان

يفكر في المال دائماً . أتعرف ابن هو الان ؟ « ورد أوتيس :
« هنا في ممفيس ان كان عنده أي ادراك » . فقال ند : « لم
يتمكن من الوصول الى مكان بعيد كهذا . أبعد مكان تمكن من
الوصول اليه هو اصلاحية الولاية في بارشمان . وتبدو أنت ،
من النهج الذي تسلكه ، انك ستنتهي هناك ايضاً . »

« لكن ليس غداً . وربما ليس اليوم الذي يليه . ليس
هناك من شرطي يمر دون ان توضع في يده زجاجة بيرة او
تفاحة او قبضة فستق قبل ان يطلبها . احياناً عندما افكر
في الامر أشعر بأنني احب ان اترك » .

« تترك ماذا ؟ تترك من اجل ماذا ؟ »

« اترك فقط . عندما اتذكر السنين كلها التي قضيتها في
تلك المزرعة في اركنساس ، بينما تقع ممفيس هنا عبر النهر دون
ان اعرف بوجودها . كيف يكون الأمر لو انني عرفت عندما
كنت في الرابعة او الخامسة من عمري ما انتظرت حتى السنة
الماضية لأعرفه ؟ أحياناً لا اريد إلا أن أترك واذهب . لكنني
اظن انني لن افعل ذلك . قد اتمكن من تعويضه . كم تعتقدون
انكم ستربحون من ذلك الحصان ؟ »

فقال ند : « لا تفكر في ذلك الحصان . والتعويض
الذي تحتاج اليه هو ان تعود في ذلك الشارع الى حيث ستنام
الليلة ، وتذهب الى الفراش . « وتوقف قليلاً وهو يلتفت
نصف التفاتة ، ثم تابع قائلاً : هل تعرف طريق العودة ؟ »
فرد أوتيس : « لا شيء هناك ، جربت ذلك من قبل . انهم

يراقبون جيداً . الحال هنا غيرها في اركنساس عندما كانت عمتي كوري عند العمه فيتي وكان عندي ذلك الثقب أصوص منه . اذا كنت استبدلت السيارة بهذا الحصان فلا بد انك تعتقد بكسب مئتين على الأقل . . . وادار ند هذه المرة دورة تامله . فقفز اوتيس هاربا وهو يشتم ند ويدعوه زنجيا - هناك شيء علمني اياه ابي وجددي من قبل وهو ان السيد المحترم لا يشير الى لون الشخص الآخر او الى دينه . وقلت : هيا بنا . انهم يتركوننا .

كانوا يسبقوننا الآن يجادتين ، ويدورون حول منعطف . فركضنا انا وند لنلحق بهم . وتمكنا من ذلك بعد جهد . كانت المحطة أمامنا وكان سام يتكلم مع شخص آخر يلبس ثوب عمل متسخاً ويحمل فانوساً - كان عامل تحويل ، عامل سكة حديد على اي حال . وقال ند : هل ترى ما أعني ؟ هل يمكنك ان تتصور شرطياً يرسل شخصاً ومعه فانوس ليرينا الطريق ؟ ويمكنك ان ترى ما أعني ايضاً : العالم كله (اعني بالنسبة الى حصان سباق مسروق) . كل من يخدم الفضيلة يعمل منفرداً ودون مساعدة ، لكن حين تبسع نفسك الى اللا فضيلة تجد ان الجوار كله مملوء بالمتطوعين لمساعدتك . يبدو ان سام كان يحاول ان يقنع الانسة كوري بالانتظار في المحطة معي ومع اوتيس ، بينما يقومون هم بايجاد عربة سكة الحديد وتحميل الحصان عليها . كما اقترح ان يقومون بحمايتنا بسبب ضخامته وعمره مثبتاً انه يحب وواثق .

ولكن الأنسة كوري رفضت وكانت تتكلم باسمنا جميعاً .
لذلك تبعنا الفانوس وعبرنا بوابة الى مكان مليء بأرصفة
التحميل والخطوط . كان على ندى الآن ان يتقدم ويمسك الرسن
ليهدى الحصان وهو يحدثه بصوت خافت ويقوده بين
عربات الركاب ثم في ممر ضيق يؤدي الى مستودع كبير معتم
امامه رصيف تحميل . كانت العرببة هناك ايضاً ، وكان
بينها وبين أقرب نقطة من الرصيف حوالي خمسة وعشرين
قدماً من الفراغ الذي يضيئه القمر (نعم . كنا في ضوء القمر
الآن ، بعيدين عن انوار الشوارع وانوار المستودع . كان
باستطاعتنا ان نراه الآن) . ولعن سام بهدوء جميع موظفي
المستودع من عمال تحويل وعمال حظيرة وبائعي تذاكر .

وقال الرجل الذي يحمل الفانوس : سأذهب لاحضر
قاطرة . فقال ندى : لا نحتاج الى قاطرة . ومهما كانت المسافة
التي يستطيع ان يقفزها ، فاننا نحتاج إما الى تحريك ذلك
الرصيف او تحريك العرببة . وتساءل سام : يعني قاطرة
التحويل ؟ ثم قال للرجل الذي يحمل الفانوس : كلا لقد
توقعت هذا . اما ان يخطيء عمال التحويل مسافة خمس وعشرين
قدماً فأمر سيء جداً . لهذا السبب طلبت منك ان تحضر
مفتاح غرفة القسم . احضر الخول . قد لا يكون لدى السيد
بون مانع في مساعدتك .

فقال بون : لم لا تذهب انت ؟ انها سكتك الحديدية .
انني غريب هنا . وقالت الأنسة كوري : لم لا تعيد هذين

الولدين الى البيت لينا ، اذا كنت خجولا الى هذا الحد .
امام الغرباء ؟

– لماذا لا تعيديها الى البيت بنفسك ؟ قال لك صديقك
مرة انه ليس لك اي عمل هنا .

– سأذهب معه لاحضار الخول . ارجو ان تنتبه للولدين .
– حسناً ، حسناً . لنفعل شيئاً ، بالله عليكم سيصل ذلك
القطار خلال اربع أو خمس ساعات بينما نضيع الوقت
ونتجادل حول من سيقوم بالعمل ، اين غرفة الأدوات يا
جاك ؟

وهكذا ذهب مع الرجل الذي يحمل الفانوس ولم يبق معنا
سوى ضوء القمر . ورأيت الحصان يحك انفه بمعطف ند كأنه
حيوان مدلل . وكان سام يفكر فيما كنت افكر فيه منذ ان
رأيت الرصيف . قال : هناك سقالة في المؤخرة هل مشى
على سقالة من قبل ؟ لم لا تأخذه الآن وتدعه يراها . عندما
تركز العربة في موضعها يمكننا جميعا ان نساعدك على رفعه
إن اقتضى الأمر .

فقال ند : لا تضيع وقتك بالقلق علينا . ما عليك إلا أن
تحضر تلك العربة الى مكان قريب فلا يضطر الى القفز ، حتى
مسافة عشر اقدام . هذا الحصان يريد ان يخرج من ممبيس
بقدر ما تريد انت .

وكنت أخشى ان يقول سام : ألا تريد أن يذهب هذا
الصبي معك ؟ لأنني كنت اريد ان ارى تلك العربة تتحرك .

لم اصدق ذلك . وهكذا انتظرنا . لم يطل الامر اذ عاد بون مع الرجل الذي يحمل الفانوس ، وهما يحملان مخلين يبلغ طول الواحد منها حوالي ثمانى اقدم . ووقفت اراقبهم (كذلك الآنسة كوري واوتيس) وهم يقومون بالعمل . ووضع الرجل الفانوس أرضاً ، وتسلق السلم المؤدي الى السطح وفك عجلة الفرملة ، بينما ادخل سام وبونت طرفي المخلين بين العجلتين الخلفيتين وخط سكة الحديد ، وكانا يضغطان ويدفعان . ومع ذلك لم اصدق ان بإمكانها تحريك العربة التي كانت تظهر سوداء ومربعة وعالية في ضوء القمر ، وكانت ثابتة ومربعة كجدار اسود يحيط به اطار فضي شكّله ضوء القمر . وكان يبدو فوقها شبح صغير يدير عجلة الفرملة وخلفها شبحان صغيران آخران يضغطانها ويدفعانها . كانت ضخمة صعبة التحريك حتى أنها لم تظهر لأول رهلة انها هي التي تتحرك الى الامام ، بل بدت وكأن بون وسام يمشيان الى الوراء . واخيراً رمى سام وبون المخلين ودفع بون العربة بيديه بلطف الى جانب الرصيف حتى وصلت الى الموضع المعين ، فقال سام :

— حسناً ، وشد الرجل عجلة الفرملة فوقها ثانية . لم يبق علينا الآن سوى ادخال الحصان فيها . وكان ذلك يشبه القول : ها نحن في ألاسكا ما علينا الان الا ان نعثر على منجم الذهب . ثم ذهبنا الى مؤخرة المستودع . كانت هناك سقالة مربوطة بالحبال . لكن الرصيف كان مبنياً بحيث يكون ارتفاعه مناسباً للتحميل منه والتفريغ عليه . وكانت السقالة مجرد ممر

لعربات اليد وقوية لكن عرضها لا يزيد على خمس اقدام ، ولم يكن لها درابزين . كان نند واقفاً هناك يحدث الحصان قال : لقد رأها . يعرف اننا نريده ان يمشي عليها لكنه لم يقرر بعد ان كان يريد ذلك . ليت رجل سكة الحديد يذهب ويستشير سوطا . وقال بون : لديك واحد . وكان يقصدني - انها احدى خدعي . كنت احدث بلساني صوتاً شديداً وعالياً تماماً كأنه ضربة سوط . واخيراً منعني امي ان افعل ذلك في اي مكان داخل ساحة بيتنا وفي البيت . ومرة جعلت جدتي تقفز وتشم . كان ذلك قبل سنة ، وقد اكون نسيت كيف افعل ذلك الان .

فقال نند : هذا صحيح . اذن لدينا واحد . وقسمال لي : احضر غصناً طويلاً . لا يسد انك ستجد واحداً في السياج الموجود هناك . لعل هذا كان سياج احدى الحدائق قبل ان يأتي التقدم والصناعة والتجارة وسكة الحديد . فقتطعت غصناً وعدت . وقاد نند الحصان الى فوق ، مواجهاً السقالة ، وأشار الى السيدبون والسيد رجل سكة الحديد ان يصعدا ويقفنا كرا في جانب كأنها طرفاً بوابة . ففعلنا ذلك واصبح نند الان في منتصف السقالة يمسك الرسن ويواجه الحصان ويكلمه قائلاً : هيا بنا . اصعد هذا الممر الصغير الى قمة المجد ، وديماً نند عند شروق الشمس غداً . ثم عاد ونزل وهو يدير الحصان ويسير بسرعة اكبر ووجد كلامه الي قائلاً : لا تدعه يرى الغصن . قف خلفه مباشرة . لا تلمسه او تطلق الى ان

أقول لك . هذا ما فعلته وسرنا نحن الثلاثة - أنا وند والحصان -
 في اتجاه معاكس للسقالة مسافة عشرين ياردة تقريباً ثم ادار
 ند الحصان دون ان يوقفه وأنا اتبعه الى ان جعله يواجه المكان
 الذي ترتفع منه السقالة بين بون وسام على بعد عشرين ياردة .
 وعندما رأى السقالة تراجع وقال لي ند ان اعططق ، فأحدثت
 الصوت ، وكان عالياً ، فقفز الحصان قليلاً بينما كان ند
 يتحرك الى الوراء في اتجاه السقالة . وتابع يقول : عندما
 اقول لك ان تطقطق هذه المرة ، ألمسه بالغصن . لا تضربه ،
 بل ألمسه على طرف ذيله بعد ثانية من طقطقتك . ومر بين
 بون وسام وأصبح على السقالة . وكان الحصان يحاول الان
 ان يقرر ماذا يفعل : هل يرفض ام يفر (وهنا عليه ان يقرر
 من سيدوس في طريقه : بون ام سام) او يجمع ويوقعنا كلنا .
 كان باستطاعتك ان ترى ذلك وشيك الوقوع . وقال ند :
 طقطق ! وهذه المرة لمست الحصان ايضاً كما قال لي ند
 فاضطرب الحصان قليلاً وقفز ، واصبحت قدماه الاماميتان
 فوق السقالة وقدمه الخلفية القريبة من بون تضرب حافة السقالة
 وتنزلق عنها الى ان امسكها بون قبل ان يتكلم ند ووضعها
 على السقالة . لم يعد الحصان يتحرك الان ، وكان يرتجف
 وأرجله الاربع فوق السقالة وقال ند : الان ضع الغصن على
 مابضيه ليحسب ان خلفه شيئاً يمنعه من السقوط . فقال سام :
 - تعني كي لا يتراجع على السقالة . نحتاج الى احد الخليلين .
 اذهب وأحضره يا تشارلي .

وقال لي ند : نعم . سنحتاج الى الخل بعد لحظة ، لكن ما نحتاج اليه الان هو ذلك الغصن . انك صغير . اعطه الى السيد بون والسيد رجل سكة الحديد . ضعاه خلف مابضيه . وفعلا ذلك ، إذ امسك كل واحد منها بأحد طرفي الغصن . والان سيّراه الى فوق . عندما اطلب منك ان تطلق هذه المرة ، طقطع بصوت عال بحيث يعتقد ان الضربة ستكون قوية ايضاً . لكنني لم احتج الى الطقطقة ثانية . وقال ند للحصان : هيا يا بني . لنذهب الى بوسم . وتحرك الحصان بينما كان بون وسام يتحركان معه وهما يضغطان بالغصن إلى أن اصبحت قدماه الاماميتان فوق الرصيف ، ثم قفز واصبح فوق الرصيف . فقال سام :

« اننا نحتاج الى اكثر من ذلك الغصن وطقطقة لسان ذلك الصبي لإدخاله الى العربية . » وقال ند :
 - ان الذي سيدخله الى العربية هو ذلك الخل . أم يصل بعد ؟ » وكان قد أحضر الان فتابع ند كلامه قائلاً : انقلوا ذلك الممشى . وسأله سام : لماذا ؟ فأجابه : « ليسير عليه عندما يدخل العربية . لقد اعتاد عليه الان ، ورأى ان ليس في الطرف الاخر ما يؤذيه او يخيفه ، كانت فكرة ند معقولة . ولم يعد هناك من مجال للرد حتى لو امرنا نهد ان نهدم جداري المستودع كي لا يتعرض الحصان للخطر . وهكذا قام بون وموظف سكة الحديد بإبعاد السقالة عن الرصيف . وقال سام : عجباً ! ألا تستطيعان

تحرريكها بهدوء ؟ فأجاب ند قائلاً : أأست موجوداً معنا هنا؟
 طبعاً يمكنك ان تستفيد من تلك الأضرار النحاسية فائدة
 اكثر من مجرد التنقل بها . وهنا اضطررنا كلنا ، حتى الانسة
 كوري ، الى رفع السقالة الى ما فوق الرصيف وحملها ووضعها
 بشكل جسر بين الرصيف وباب العربية ، ثم قاد ند الحصان وفي
 الحال فهمت ما عناه سام . ولم يكن الحصان قد شم رائحة
 عربية فارغة من قبل غير أنه بخلاف الادميين تمكن من رؤية
 داخلها . ولكن لم يحصل اي شيء ، أعني لا أعرف ماذا
 حصل كما لم يعرف أي منا . وقاد ند الحصان ، وكان صوت
 حوافره يرن فوق الألواح الخشبية حتى نهاية السقالة التي اصبحت
 الان كالجسر . وكان ند يقف على الجسر داخل الباب وهو
 يكلم الحصان ويجره بلطف من الرسن الى ان وضع احدى
 قدميه الأماميتين فوق الجسر . لم اعرف في اي شيء كنت
 افكر . قبل لحظة كنت اعتقد أن ليس في ممفيس كلها عدد
 كاف من الاشخاص لادخال الحصان من تلك الفتحة المعتمة .
 ثم بعد لحظة ، عندما كنت اتوقع حدوث القفزة التي تدخل
 الحصان الى العربية كما حدث فوق السقالة ، رفع الحصان قائمته
 وتراجع الى الرصيف بينما كان هو وند متواجهين . وسمعت
 ند يتنفس مرة واحدة ، قائلاً :

– ارجعوا جميعاً نحو الجدار . وهذا ما فعلناه . ثم لم
 اعرف ما الذي فعله . لكنني رأيت وهو يمسك الرسن بيد
 واحدة ويربّت بالأخرى على انف الحصان . ثم عاد الى العربية

واختفى ولم يسمع سوى صوته : هيا يا بني . انه هنا .
وقال سام : «يا للعجب . كان قد تم كل شيء و صار الحصان
داخل العربة » . وادخلنا الفانوس ، فلمعت عينا الحصان حيث
كان ند يقف معه في الزاوية . وسأل ند سام قائلاً : ابن الواح
الخشب والمسامير التي تحدثت عنها ؟ أدخل ذلك المشى فهو
يشكل حائطاً كاملاً . فقال سام :
«عجباً ! مهلا الان ! وقال ند : عندما يجيء الناس الى
هنا غداً صباحاً ويجدون ان احدى العربات قد فقدت بكاملها .
لن يكون لديهم وقت للبحث عن سلم بسيط . وهكذا قمنا
جميعنا ، باستثناء ند ، بحمل السقالة الى العربة وامسكناها في
المكان المناسب بينما قام بون وسام وموظف سكة الحديد
(وكان سام قد أعد ألواح الخشب والمسامير ايضاً) ببناء
جدار حول الحصان في زاوية العربة . وقبل ان يكون باستطاعة
ند ان يتكلم كان سام يحضر دلواً من الماء وصندوقاً من الحبوب
وربطة من العشب وقال ند : كأنه في « بوسم » الان ...
فقال سام : خير لكم ان تتمنوا ان يقطع الحصان خط الوصول
مجلياً بعد غد . ما هو الوقت الآن ؟ ثم قال لنفسه : بعد
منتصف الليل بقليل . هناك وقت للنوم قبل ان يرحل القطار
في الرابعة . ثم وجه كلامه إلى بون قائلاً : طبعاً تريد ان
تبقى انت وند مع حصانكما هنا ، ولهذا السبب اضطرت
كمية اضافية من العشب . تاما هنا وسأخذ كورني والولدين
الى البيت وسنلتقي هنا في . . .

وقال بون عابساً : تقول انك ستقابلنا هنا في الساعة
الرابعة . اذا لم تتأخر في النوم رأيناك هنا . وبدأ يدور
وقال : هيا بنا يا كوري .

وقالت الانسة كوري : لن اعود الى البيت مع احد
يا بون ! هيا يا لوشديوس ، اذت واوتيس . فقال سام : لا
بأس . لا ننسى ان بون يكذ خمسة او ستة اشهر في حقل
القطن او ما شابه لقضاء ليلة واحدة في شارع كتالبا . اذهبوا
جميعكم . سأراكم في القطار .

وهكذا ودعنا سام وند وتشارلي (كلنا ما عدا بون
واوتيس) وعدنا الى بنسيون الانسة ريبا . كانت الشوارع خالية
وهادئة . وكانت ممفيس تحاول الحصول على قليل من النوم
والراحة لتواجه بها صباح الاثنين . وسرنا يهدوء ، من ضوء
الى ضوء بين الشبايك المعتمة والجدران . وظهر ضوء خافت
خلف ستارات شباك الانسة ريبا . وفتحت لنا الانسة ريبا
الباب الامامي ، وكانت رائحة الجن تفوح منها . ووجدناها
قد غيرت ثوبها ، ولم يكن لهذا الثوب جزء علوي بالمرّة
تقريباً . وفي تلك الايام لم تكن النساء يصبغن وجوههن
بالمعنى الحقيقي ، لهذا كانت المرة الاولى التي ارى فيها ذلك
ايضا . وكانت تلبس المزيد من الماس الكبير الضارب الى
الصفرة ، كالماسين الاوليين . لا : خمس ماسات . ولم تكن
ميني قد ذهبت الى الفراش بعد ، بل كانت تقف بباب غرفة
الانسة ريبا وهي تبدو منهوكة القوى .

وقالت الانسة ريبا وهي تقفل الباب خلفنا : هل رتبتم كل شيء ؟ فردت الانسة كوري :

- نعم. لماذا لا تذهبين الى فراشك ؟ خذيهما يا ميني الى الفراش . فقالت ميني : كان باستطاعتك ان تطلبي ذلك قبل ساعة . انني آمل الا يكون هناك من يطلب ذلك بعد ساعتين . لكنك لم تكوني هنا في المرة الماضية قبل سنتين . ثم صعدنا الى فوق . كان اوتيس يعرف الطريق الى السقيفة حيث لم يكن يوجد غير بعض الحقائق والصناديق وفراش موضوع على الارض . ولبس اوتيس قميص نوم (وكانت لا تزال تظهر عليه الثنيات كما اشترته الانسة كوري من المخزن) وذهب الى الفراش كذلك فعلت انا ، اذ خلعت بنطلوني وحذائي واطفأت النور واستلقيت على السرير . وكان هناك شبك صغير وقد استطعنا رؤية القمر كما استطعت ان ارى داخل الغرفة ، بفضل ضوء القمر . كان فيه شيء غير طبيعي . كنت تعباً واثناء صعودي الدرج ظننت انني سأنام قبل ان استلقي تماماً . لكنني كنت اشعر به مستلقياً بجانبني ليس مستيقظاً فحسب ، بل كأنه لم يفهم في حياته ولم يعرف النوم بتاتاَ وفجأة شعرت ان هناك شيئاً غير طبيعي يتعلق بي أنا أيضاً . ولم اكن اعرف ما هو بعد ، لكنني كنت اعرف ان هناك شيئاً غير طبيعي . وخلال دقيقة عرفت ما هو وكرهته وفجأة لم ارد ان اكون هناك بتاتاَ . ولم اكن اريد ان اكون في ممفيس او ان اكون قد سمعت بمفيس ، بل

اردت ان اكون في البيت .

وقال : «المال موجود هنا . يمكنك ان تشمه . ليس من العدل أن تكسب النساء فقط مالا بواسطة الوصوة ، بينما كل ما على الرجل ان يفعله هو ان يحاول الحصول على قليل منه في طريقه . لقد ذكر تلك الكلمة التي سألت عن معناها مرتين . لكنني لم أسأل مرة اخرى ، وبقيت مستلقيا متوتر الاعصاب بينما ضوء القمر يسقط على رجلي ورجلي ارتيس الذي كنت احاول ألا أسمعه لكنني كنت مضطراً الى سماعه وقال :

- كم يبلغ عمرك ؟ .

- أحد عشر عاماً .

- انك تعرف الكثير ، أليس كذلك ؟ من اي بلد انت ؟

من مسيسيبي .

- لا عجب في انك لا تعرف شيئاً .

- حسناً . بي هي الانسة كوري .

- ها أنذا هنا أفقد المال كأنه لا شيء . لكن ربما تمكنا

معاً من عمل شيء . طبعاً . اسمها افربي كورنتيا ، وقد سميت

كذلك باسم جدتي . انه اسم غريب . انه سيء حتى هنالك

في كيبيلت ، حيث عرفه بعضهم وألفوه بينما كان الآخرون

مستعجلين بحيث لم يهتمهم أن تسمي نفسها بأي اسم . ولكن

هنا في ممفيس تحاول كل فتاة ، كما قيل لي ، ان تدخل بيتاً

كهذا ، حاملات شفر غرفة . ولم يكن لهذا اي تأثير في كيبيلت ،

بعد ان توفيت امها واخذتها العمه فيني لتربيتها ، وجعلتها تبدأ

عملها حالما كبرت . ثم عندما وجدت ان في ممفيس مالا أكثر ،
 جاءت الى هنا حيث لا يعرف احد شيئاً عن أفربي ، وهكذا
 دعت نفسها كوري . لهذا فاني كلما اتيت لزيارتها ، كما حصل
 في الصيف الماضي في هذه المرة ، تعطيني يومياً خمسة سنتات
 كي لا أخبر أحداً ، وبدلاً من أن أخبرك ، كما زلت لسانني
 و فعلت ، كان بإمكانني ان اذهب اليها وأقول لها يمكنني
 بخمسة سنتات يومياً ان احاول النسيان ، لكن عشرة سنتات
 يومياً تجعلني اضعف محاولتي . ولكن لا بأس ، أستطيع ان
 اخبرها غداً أنك تعرف أيضاً وقد نستطيع كلانا .

« من هي العمه فيتي ؟ »

« لا ادري . كان الناس يدعونها العمه فيتي . ربما كانت
 قريبة أحدنا ، لكنني لا أعرف . عاشت وحدها في بيت عند
 طرف البلدة الى ان أخذت بي الى بيتها بعد ان توفيت ام بي .
 وهذا لم يستغرق وقتاً طويلاً ، لأنها كانت كبيرة قبل ان
 تبلغ العاشرة أو الحادية عشرة أو الثانية عشرة أو أياً كان
 عمرها ، وبدأت . »

« بدأت ماذا ؟ ، كان علي ان اسأل هذا السؤال . لقد
 ذهبت الى أبعد من أن أستطيع التوقف الان ، كما حصل في
 جنرسون امس - وهل كان امس ؟ السنة الماضية : دان ورتاً
 آخر : حياة اخرى : لوشيوس بريست آخر . » ما هي
 الوصوة ؟ »

« وأخبرني بشيء من الازدراء ، لكن بنوع من الدهشة ، »

قائلاً : « كان عندي هناك ثقب لاستراق النظر - ثقب في الجدار الخلفي ، عليه قطعة تنك متحركة لم يكن أحد غيري يعرف كيف يحركها ، بينما تكون العمه فيتي في الجزء الامامي من البيت تجمع المال وتراقب . كان على من هم في سنك ان يقفوا على صندوق بينما آخذ خمسة سنتات من كل منهم الى ان عرفت العمه فيتي أنني كنت أدع الرجل الكبار يتفرجون مقابل دفع عشرة سنتات بدلا من أن يدخلوا البيت ويدفعوا خمسين سنتاً ، وبدأت تصرخ كقطة بريه ... »

وسرعان ما رأيتني واقفاً ، أضربه بشكل أثار دهشته (ودهشتي ايضاً) مما اضطرني ان أنحني وأمسك به ثم أرفعه الى حيث يمكنني ان أطائه . لم اكن اعرف شيئاً عن الملاكمة او عن المشاجرة . لكنني كنت اعرف تماماً ما اريد : لم اكن اريد ان أوذيه فقط ، بل ان احطمه . اذكر انني انتهيت فجأة الى أن حجه لم يكن متناسباً مع حجمي . وندمت . لكن ذلك لم يستغرق اكثر من ثانية واحدة ، إذ بقيت اضربه وأركله . ولم يكن ذلك موجهاً الى صبي في العاشرة من عمره بل إلى أوتيس والقوادة معاً : الصبي العفريت الذي انتهك حرمة خلوتها والشريرة التي افسدت براءتها . لم يكن موجهاً ضد دينك الاثنين فحسب بل ضد جميع الذين اشتركوا في تحقيرها : ليس ضد القوادين فحسب بل ايضاً ضد الأولاد العديمي الاحساس ، والرجال المتوحشين الوقحين الذين دفعوا سنتاتهم ليشاهدوا إهانتها التي لم تجد من يدافع عنها أو يثار

لها . ووقع على يديه وركبتيه فوق الفراش . وكانت يعبث
 بينظرونه ، ولم اعرف السبب حتى حين خرجت يده وارقفعت
 الى أعلى . عندها فقط رأيت نصل سكين الجيب في يده ،
 لكنني لم اهتم . لقد جعلنا ذلك متساويين في الحجم .
 ونزعت السكين منه ، دون ان أعرف كيف أو أنت أشعر
 بالنصل بتاتا . وعندما رميت السكين وضربته ثانية ظننت
 أن الدم الذي رأيته على وجهه كان دمه .
 ثم شعرت ببون يرفعني عن الارض وأنا اعارك وابكي .
 كان حافي القدمين ولا يلبس غير سرواله . وكانت الانسة
 كوري هناك ايضاً ، لابسة كيمونو ، محلولة الشعر حتى أنه
 كان يصل الى تحت خصرها . وكان اوتيس يقف الى جانب
 الجدار ولم يكن يبكي بل كان يشتم كما شتم ند . وسأل بون :
 ما هذا ؟ فردت الانسة كوري قائلة : يده . وصمت قليلا
 ثم التفتت الى اوتيس قائلة : اذهب الى غرفتي . هيا . فخرج
 من الغرفة . وانزلني بون ثم قالت : دعني اراها . وعرفت
 لأول مرة من اين جاء الدم - من جرح عميق في كف يدي
 بمحاذاة الاصابع الأربع حين قبضت على النصل وهو يحاول
 أن يجذبه . كان الدم ما زال ينزف . أي أنه نزف ثانية
 عندما فتحت الانسة كوري يدي . وسأل بون : علام كنت
 تتشاجران ؟ فقلت وأنا أسحب يدي : لا شيء . لكن الانسة
 كوري قالت : ابقها مطبقة إلى أن أعود . ثم خرجت وعادت
 تحمل طست ماء ومنشفة وزجاجة فيها شيء ما وقطعة من

قميص رجل . وغسلت الدم وفتحت الزجاجاة ، قائلة :
« سيحرقك » . وهذا ما حصل . وقصت قطعة من القماش ولفت
بها يدي .

قال بون : ما يزال يرفض ان يقول لماذا يتشاجران . على
الأقل ارجوان يكون هو الذي بدأ الشجار . حجمه لا
يوازي نصف حجمك على الرغم من انه اكبر منك بسنة .
لا عجب ان سحب سكيننا .

- أنا أكبر منه بسنة . انه في العاشرة .

- قال لي انه في الثانية عشرة . ثم عرفت ما هو غير طبيعي
في اوتيس .

وتساءلت الانسة كوري : « الثانية عشرة ؟ سيبلغ
الخامسة عشرة يوم الاثنين المقبل » . وسألني وهي تنظر الي:
« هل تريد ... » فقلت : « أبقيه بعيداً من هنا . إنني تعب .
أريد أن أنام . » فقالت : « لا تقلق . سيعود اوتيس الى البيت
هذا الصباح . هناك قطار يذهب في الساعة التاسعة . سأرسل
ميني الى المحطة معه واطلب منها ان تتأكد من ركوبه القطار ،
وان تقف في مكان يمكنها ان ترى وجهه من النافذة الى ان
يتحرك القطار . » وقال بون : « طبعاً . ويمكنه ان يتزود
بضربة مني تعلمه التهذيب والثقافة . لقد جيء به الى هنا لقضاء
اسبوع في ممفيس ... » فقالت الانسة كوري : « اسكت .
لكنه تابع قائلاً : « ... في هذا البنسيون طلبا للتهذيب
والثقافة . لعله وجدها . كان يمكن ان يقضي سنوات عديدة

في اركناس دون ان يجد شخصاً بجسم قريب من حجمه على ان يشير عليه تلك السكين ... ،

وقالت الأنة كوري : كفى ! كفى !

ثم أطفأ النور وخرجاً ، أو هذا ما ظننته . وأشعل بون النور ثانية وقال : لعل من الأفضل ان تخبرني عن السبب . فقلت : لا شيء . فنظر الي بضخامته وجسمه العاري حتى وسطه ويده على النور لتطفئه ثانية ، ثم قال : في الحادية عشرة وتصاب بجرح في عراك في بيت للدعارة ا ثم نظر إلي قائلاً : ليتني عرفتك قبل ثلاثين سنة . لو كنت معي لتعلمني وانا في الحادية عشرة ، لكان لدي بعض الادراك الآن . طابت ليلتك .

ثم أطفأ النور ونمت . وأتت الأنة كوري وركعت بجانب الفراش . كنت استطيع رؤية وجهها ورؤية القمر من خلال شعرها . كانت هي التي تبكي هذه المرة - كانت فتاة أكبر من أن تبكي لكنها كانت تبكي بهدوء . ثم قالت : « أقنعت ان يخبرني . تشاجرتما لأجلي . تشاجر أناس مكبرون لأجلي ، لكنك أول شخص يقاقل دفاعاً عني . لست معتادة على هذا ، لذلك لا أعرف ماذا أفعل بهذا الشأن ، إلا أمراً واحداً يمكنني ان افعله . اريد ان اعدك بشيء . هناك في اركناس ارتكبت غلطة . لكنني لن ارتكب غلطة بعد الآن . ، كان عليك ان تتعلم بسرعة ، ان تقفز في الظلام وتأمل ان تضع قوة ما قدمك في المكان الصحيح . لذلك

هناك أشياء أخرى بجانب الفقر واللافضية تهتم بشؤونها .
فقلت :

« لم تكن غلطتك حينئذ . »

« بلى كانت غلطتي . يمكنك ان تختار . يمكنك ان تقرر .
يمكنك ان تقول لا . يمكنك ان تجد عملاً وتشتغل . لكنني
لن ارتكب غلطة بعد الآن ، هذا ما اريد ان اعدك به ،
وعلي ان احافظ عليه كما حافظت انت على ذلك الوعد الذي
اخبرت للسيد بنفورد عنه قبل العشاء ، الليلة . عليك ان تصدق
ذلك . هل ستصدقه ؟ »

« حسناً . »

« لكن عليك ان تقول انك تصدق وعدي . عليك ان
تقول ذلك بصوت عال . »
« نعم . اصدق وعدك . »

« حاول ان تنام الآن . أحضرت كرسيًا وسأجلس هنا
حيث يمكنني ان أوقفك في الوقت المناسب لتذهب الى
المحطة . »

« عودي إلى فراشك أنت أيضاً . »

« لست نعسانة . سأجلس هنا . عد الى النوم . وفي هذه
المرّة جاء بون ثانية ، ووقفت منحنيًا على الكرسي الذي كانت
تجلس عليه افرابي (أعني الأنسة كورى) وهو يكلمها همساً
ويمسك بذراعها ويقول : هيا بنا الآن ، لم تبق لدينا سوى
ساعة واحدة . وهمست هي أيضاً : اتركني الوقت متأخر

الآن ، اتركني يا بون . لكنه قال لها هامساً بصوت أجش :
لماذا تظنين أنني قطعت هذه المسافة كلها وانتظرت طوال هذه
المدة وعملت ووفرت وانتظرت ...

كانت النافذة التي يضيئها القمر تزداد وضوحاً . وسمعت
صياح ديك من مكان ما . كانت يدي المجروحة تحتي ، وقد
آلمتني . ولعل هذا ما أيقظني . لذلك لم أعرف إن كنت ما
يزال هنا منذ المرة السابقة أم أنه ذهب وعاد ثانية . كل ما
عرفته هو انها كنا يتكلمان همساً ، وأن صياح الديك يعني
وقت النهوض . أوه ، كانت تبكي من جديد وتقول : لا أريد ،
لا أريد ! دعني وحدي ! وكان بون يقول : حسناً ،
حسناً . لكن الليلة هي الليلة فقط ؛ غداً عندما نستقر في
بوسم ...

« كلا ، ولا غداً . لا أقدر ، لا أقدر ! دعني وحدي .
ارجوك ، يا بون ، أرجوك ! »

الفصل الثامن

وصلنا أنا وافردي وبون إلى المحطة قبل الموعد بوقت طويل .
أو هكذا تصورنا . وكان ند بانتظارنا هناك . كانت يرتدي
قميصاً ابيض نظيفاً . ربما كان قميصاً جديداً ، أو أنه تمكن
بطريقة ما من غسل قميص عتيق آخر . ولكن لم يمر وقت
طويل حتى انجلى السر : كان من قمصان سام . ولم يدع ند
لبون مجالاً للكلام إذ بادره قائلاً : « هدى روعك . السيد
سام يهتم بلايتنينغ بينما أهتم أنا بالترتيبات الخارجية . لقد
وصلوا العرببة بالقطار . فعندما يدير السيد سام كالدويل خط
سكة حديد فإنه يديره بانتظام . وقد سميناها فوركد لايتنينغ .
ثم وقع نظره على يدي فقال :

« ماذا فعلت بها ؟ »

« جرحتها ، لكنها بخير الآن . »

« أهو جرح كبير؟ » فأجابت افربي :
« نعم ، كبير . انه على طول اصابعه الاربعة . يجب ألا
يحركها . »

ولم يضع ند وقتاً طويلاً حول هذا الموضوع ، اذ مرعان
ما تلفت حوله قائلاً : اين الشخص الآخر ؟ فسأل بون اي
شخص آخر ؟ فأجاب ند : الصبي الذي لا يتكلم إلا عن
المال ، والذي كان معنا البارحة . قد احتاج الى من يساعدني
على الحصان . من تتصور انسه سيتمطيه في السباق ؟ انا ، ام
انت ووزنك ضعف وزني ؟ كنت قد فكرت بلوشيوس لهذا
العمل . ولكن ما دمنا قد عثرنا على الصبي الآخر ، فلا حاجة
بنا الى المخاطرة مع لوشيوس . انه أخف وزناً وان كان اقل
فطنة . ثم انه اعرق في الفساد مما يؤهله لركوب جواد سباق ،
خاصة اذا وعد بالربح . وهو ، لكونه جباناً ، سيتعلق
بالسرج جيداً فلا يقع عنه . وهذا كل ما نبتغي . اين هو ؟
فقال بون :

« عاد إلى أركنساس . كم تقدر عمره ؟ »
« منظره يوحي بأنه في الخامس عشرة . أليس كذلك !
ذهب إلى أركنساس ؟ يجب أن يذهب من يعود بنا
حالاً . »

فقالت افربي : حسناً . سأذهب وآتي به . لذلك سأبقى
هنا واحضره في القطار الثاني ، بعد ظهر اليوم . فقال ند :
هذا كلام معقول . ذلك هو قطار السيد سام . وهكذا

يتمكنك أن توكلني أمر ذلك الشرير إلى السيد سام فيعرف كيف يهتم به . فقال بون : بكل تأكيد . هذا يتيح لك فرصة ساعة كاملة كي تجربي تمنعك مع سام . قد يكون أفضل مني ولا يصغي اليك . فلم تجبه ، واكتفت بالنظر اليه . فقلت : إذا كان الأمر كذلك لم لا تبقى أنت وتجلب اوتيس معك ثم تلاقينا غداً في بارثم . فنظر بون إليّ . لكنني تابعت قائلاً : « لعلني سأرجع إلى البيت الآن . يبدو ان ند قد وجد شخصاً آخر لركوب الحصان في السباق ، وانت لا تعرف كيف تتصرف مع الأشخاص الذين يحاولون مساعدتنا . » فحملتني في لحظة ثم قال : لا بأس . ومشى بجاني ثم لحق بها مردداً : قلت لا بأس ، يعني لا بأس ! ، فقالت : حسناً . فاضاف ند قائلاً : سأذهب للاقاتك في أول قطار يصل بعد ظهر اليوم ، فإن لم تكوني فيه سأبقى في المحطة أستقبل المطارات . مفهوم ؟ فوافقت على كلامه ومشيت في طريقها .

ودخلنا المحطة . وابتاع بون التذاكر . ثم توجهنا الى حيث كان يقف القطار ، وكان الركاب قد بدأوا يصعدون اليه . واستطعنا ان نرى العربة امامنا . وكان سام واقفاً في الباب المفتوح مع السائق ورجلين آخرين . ولا بد ان احدهما كان المهندس . رأيت ؟ لم يكن يساعدنا رجل الاشارة ، خارج وقت دوامه وحسب ، بل كانت تساعدنا فرقة قيادة قطار كاملة . وقال السائق : هل سيدخل السباق اليوم ؟ فأجاب

بون : غداً . فقال السائق : حسناً ، يجب ان يصل الى هناك قبل كل شيء . ثم نظر الى ساعته وقال : من سيركب معه ؟ فأجاب ند : انا ، اذا تمكنت من ايجاد صندوق او اي شيء أصعد عليه . فقال سام : اعطني قدمك . وطوى ند ركبته فقفه سام الى داخل عربة القطار وقال له : سأراك في بارشم غداً . فقال بون : حسبتك ذهبت الى واشنطن . فاستفهم سام قائلاً : من ، انا؟ ذهب القطار فقط . سأرجع الى تشاتانوغا اللية في قطار رقم ٢٠٩ واصل الى بارشم في الساعة السابعة من صباح الغد . كنت اذهب معكم الآن وأعود من بارشم في قطار رقم ٢٠٨ ، لكنني يجب ان انام قليلاً ، ثم انكم ان تحتاجوا إلي . يمكنكم ان تعتمدوا على ند حتى ذلك الحين . »

كذلك كنا أنا وبون . أعني كنا بحاجة إلى النوم . وقد استغرقنا في النوم حتى ايقظنا السائق عندما بلغنا محطة بارشم مع تباشير الفجر . وراقبنا القاطرة وهي تنفصل عن العربة ثم تمضي بمقطوراتها العديدة متجهة جنوباً نحو جفرسون . وأخرجنا الحصان من العربة فقاده ند . ثم التقينا بشاب زنجي ذي وجه حلو لطيف ، في نحو التاسع عشرة من عمره . فحيا الشاب ند ، فسأله عن الطريق .

وهكذا تركنا بون فترة . كان عليه ان يجد لنا مكاناً ننزل فيه . لا أنا وهو فقط ، بل اوتيس واقربي .

ومررتا أنا وند والفقى بالبلدة وبلغنا ظاهرها . وام يستغرق ذلك وقتاً طويلاً آنذاك ، لأنها كانت بمثابة قرية صغيرة

مؤلفة من مخزنين أو ثلاثة ، عند تقاطع خطوط السكتين
الحديديتين ، بالإضافة الى مزلفة لشحن البقر ، ومستودع
للبضاعة ، ورصيف لشحن بالات القطن .

وقال الفتى الزنجي عني : « سينام هذا الصبي الابيض وهو
يمشي » . لكنني لم أكن راغباً في النوم . كان عليّ أن
أعرف ، فسألت ند : لم أدر أنك تعرف أحداً هنا ، وفوق
ذلك انك اخبرتهم بمجيئك . فتابع ند سيره وكأنه لم يسمع
ما قلت . وبعد لحظة قال من فوق كتفه : تريد أن تعرف
أليس كذلك ؟ أنا وجدّ هذا الصبي ماسونيان . فسألته :
ولماذا تهمس ؟ جدي ايضاً ماسوني ، لكنني لم أسمعه يوماً
يهمس عندما يذكر ذلك . فقال ند : لم أنتبه إلى اني كنت
أهمس . لكن لنفرض ذلك ، فهل تتصور أن الناس ينتمون
إلى الماسونية لو لم تكن سرية ؟ وكيف تريدها أن تبقى سرية
إن لم تتكلم عنها بتكتم ؟

ثم وصلنا . كانت الشمس قد ارتفعت في السماء . كان شكل
البيت من الخارج أشبه بوجار الكلب . لم يكن مدهوناً أو
مزخرفاً ، لكنه كان راسخاً ونظيفاً ، تحيط به حديقة فيها
أشجار الخرنوب والكرز الصيني . وكان الدجاج منتشرأ
هنا وهناك بين الغبار ، بينما ظهر في الاصطبل بقرة وزوج من
البغال . وكان هناك كلبا صيد تعرفا للحال على الشاب الذي
يرافقنا . وكان يجلس على رأس السلم شيخ زنجي شديد السواد
يلبس قميصاً أبيض وقبعة فلاح . كان له شاربان أبيضان ولحية

صغيرة بيضاء . وبدأ يهبط درجات السلم إلى الساحة ليشاهد
الجواد . فقد عرفه وتذكره . وهكذا خاب احد تقديرات
ند . وسأل الرجل :

« هل اشترىتموه كلكم ؟ » فأجاب ند :

« حصلنا عليه . »

« وقتاً كافياً لتدخلوه السابق ؟ »

« مرة واحدة على الأقل . » ثم قال لي : « قدم احترامك
للعربوسم . فقدمت احترامامي . ثم قال العم بارشم : « استريحوا .
أظنكم مستعدين للفتور . » وكنت اشم رائحته -- رائحة
لحم الخنزير . لكنني قلت : لا اريد سوى النوم . وقال ند
لم يتم طوال الليل ، وأنا ايضا . لكنه أمضى الليل في بيت
يعج بندوة يصرخن ويترحن الأسئلة ، بينما امضيت ليلة
هادئة مع الحصان في عربة قطار .

وكنت ما ازال مستعداً للمساعدة في الاسطبل واطعام
لايتنينغ ، لكنهم لم يسمحوا لي ، بل قال لي ند :
« اذهب مع ليكورغوس ونم قليلا . سأحتاج إليك قريباً
قبل ان يشتد الحر . علينا ان نعرف شيئاً عن الحصان . وبقدر
ما نسرع يكون ذلك أفضل . »

وتبعت ليكورغوس إلى غرفة استراحة فيها سرير عليه
لحاف ملون نظيف . وخيل إلي أنني كنت نائماً قبل ان
استلقي على الفراش ، وأن ند جاء يهزني قبل ان أغفو . كان
يحمل جورباً صوفياً نظيفاً وخيطاً ، وكنت جائعاً ، لكنه

قال لي : يمكنك ان تؤجل الفطور . الأفضل ان تمتطي الحصان ومعدتك فارغة .

وكان العم بارشم وليكورغوس ينتظرانا عند الحصان ، وكان قد أُسرج ووضع له العنان . ونظر اليه ند قائلاً : يمكننا ان نجعله يركض دون سرج ، لكن آمل ألا يجبرونا على ذلك فنستطيع ان نجربه في كلتا الحالتين ونعرف ايها يفضل . كانت الخلبة مرعى صغيراً قرب الساقية منبسطةً وناعماً .

وقصر ند الركاب ليتناسب مع طول اوتيس ، وساعدني على الركوب قائلاً : تعرف ماذا عليك ان تفعل : كما كنت تفعل بامتطائك الحيول في ماك كاسلن . دعه يتساءل عن فارسه . يبدو ان كل ما تعلمه من الآخرين هو ان يركض بقدر ما يسمح له العنان ، وحيثما وجهه راكبه . وهذا ما نبتغيه . لست الان بحاجة الى قضيب هيا .

وقدته الى المرعى خيباً . وشعرت ان رأسه لم يكن قوياً ، حتى ان باستطاعة نسيج العنكبوت ان يوقفه . وهذا ما قلته لند ، لكنه قال :

« أراهن على أنه يقدر أن ينطلق بشكل افضل بعد بضع ضربات . هيا ، انطلق به . »

غير أن الحصان لم يتحرك . فلكزته بكمي بقوة ، لكنه لم يركض ، بل أخذ ينطنط ببطء في شوط العودة . ثم اكتشفت ، فجأة ، أنه يسرع عائداً نحو ند ، وفي غير الاتجاه الذي أطلقته فيه ، وكأنه لم يعرف اللجام قط . وظل على

هذه الحال حتى وصل إلى ندى وأخذ يحك رأسه بقميصه . وأمرني
 ندى ، وهو يضع إحدى يديه وراء ظهره ، أن أرجعه .
 ورأيت أنه يمسك بقضيب مقشر ويقول للحصان : يجب أن
 تتعلم يا بني ، فلا ترجع إلي قبل أن أفاديك . ثم قال لي :
 إن يتوقف هذه المرة ، فقد كنت تتساهل معه . اضربه
 بشدة وثبت نفسك جيداً على ظهره . وعاد إلى الورااء وجرح
 الحصان في مؤخرته جرحاً بليغاً . وقفز الحصان إلى الأمام
 وركض بأقصى سرعته . وبدأت انطلاقته رهيبية : لا أقصد
 السرعة أو المسافة بل الحركة . لم تكن فيها أية رشاقة ،
 لأنها كانت ردة فعل لخوفه ، والخوف لا يلائم الحيول ، فهي
 لا تستطيع تحمله لأنها كتلة وتناسق ، بينما يتطلب الخوف
 مرونة وإطفاءً وغرابة ومقدرة على السحر ، شأن الغزال أو
 الزرافة أو الأفعى . حتى بعد انقضاء الخوف شعرت أن
 الحركة كانت مجرد طاعة . وهذا ما حصل أيضاً في شوط
 العودة ، عندما فعلت كما أمرني ندى . وضربته بكل قوتي ،
 فقفز مثل تلك القفزة ، لكنه ركض هذه المرة بلاء إرادته
 وبطاعة تامة ، دون غضب ، أو تلهف . عند ذلك أمرني ندى
 أن أحضره ففعلت . كان الحصان يعرق قليلاً . وسألني ندى
 عن كيف وجدت الحصان فأجبته أن نصفه الامامي لا يرغب
 في الركض ، أعني أن رأسه لا يريد الذهاب إلى أي مكان .
 وأنزلني ندى عن الحصان ، ونزع السرج عنه ثم قال لي :
 اعطني قدمك . فقال له العم بارشم : كيف عرفت أن هذا

الحصان كان يُركب عارياً ؟ فقال ند : لم اعرف ، لكن علينا ان نكتشف ذلك . فقال العم بارشم : ليس لهذا الصبي غير يد واحدة ، يمكن لكيورغوس ... لكن ند كان قد امسك بقدمي وقال : تعلم هذا الصبي ان يمتطي جساد زاك ادموندس هناك في ميسيبي . راقبته وهو يفعل ذلك مرة واحدة على الاقل . ثم قذفني على ظهر الحصان ، فلم تبدر من الحصان اية حركة . وثنى ركبتيه الخلفيتين قليلا ، وارتجف لحظة ، وكان هذا كل ما فعل . فقال ند : هه . هيا لنتناول طعام الفطور . سيحضر ذلك المسخ ليدر به هذا المساء . ولعل لاتينينغ سيجد في ذلك بعض المتعة !

كانت ام ليكورغوس ، وهي ابنة العم بارشم ، تطبخ الطعام . وكانت رائحة الخضار تملأ المطبخ . لكنها كانت تحتفظ لي بفطوري ساخناً . كان يتألف من اللحم المقلي والبسكوت المسخن والثريد والزبدة والقهوة بجليب . وحسبت انني كنت جائعاً فقط ، لكنني نغفوت فوق الصحن الى ان جاء لكورغوس وحملني الى فراشه في غرفة الاستراحة .

كان السيد كالدويل شخصية مهمة ، على حد قول ند . فقد نزلت إفربي واوتيس ، قبل ظهر ذلك اليوم ، من عربة قطار الشحن الذي كان يذهب الى آلاباما ولا يتوقف حتى يصل الى فلورنس . لكنه توقف في بارشم اكراماً للسيد سام كالدويل . ولا اعرف كم يلزم القطار من الفحم الحجري الإضافي لتفريغ الهواء ، ثم لإشعال النار ثانية كي تصل سرعته الى الحد

المطلوب، فيعوض عن الوقت الذي صرفه في الوقوف في بارشم .
وقد قال اوتيس انها تعادل ثلاثاً وعشرين رفشاً من الفحم .
وعندما أيقظني صوت غريب ، وربطت أم كيلورغوس
الجورب على يدي المجروحة ، وكانت قد نزعتة قبل ان
اغفو فوق الصحن ، خرجت من الغرفة فوجدتهم هناك جميعاً .
كانت هناك عربة متوقفة امام الباب ، والعم بارشم يقف
عند رأس الدرج الأمامي ، وهو ما زال يعتمر قبعته ، وفند يجلس
على الاخيرة ، و كيلورغوس يقف في الزاوية بين رأس السلم والشرفة
وكأنما كان هؤلاء الثلاثة يحاصرون البيت . وفي ساحة البيت
قرب هؤلاء وقفت إفربي واوتيس وبون والرجل الذي كان
يتكلم بصوت مرتفع - كان رجلاً في ضخامة بون ، بشعاً
مثله ، احمر الوجه ، وعلى صدره شارة شرطي ، وفي جيبه
الحلفي مسدس ، وقد وقف بين بون وإفربي ، التي كانت
تحاول الإفلات من يده التي تمسك بذراعها . وكان الرجل
يقول : نعم ، اعرف بوسم هود الكبير ، وبوسم هود يعرفني
ايضاً . أليس كذلك ؟ فقال العم بارشم ، دون ان تسري
اليه عدوى الصياح : كلنا هنا نعرفك يا سيد بطش . فوافق
هذا وامر ليكورغوس باحضار كرسيين ، واحدة منها للآنسة
إفربي التي كانت تحاول الإفلات منه .
وكنت في هذه الاثناء أراقب بون . وقال الغريب
لإفربي : هل أنت متأكدة انني لم أرك بي مكان ما ؟ عند
بردي واط مثلاً ؟ أين كنت تختبئين ؟ أين تختبئ فتاة جميلة

مثلك؟ وهذا نهض ند بهدوء وقال: صباح الخير يا سيد بون،
أتريد أنت والسيد ان يخرج لوشيوس الحصان؟ فتوقف
بطش عن دفع إفرابي، لكنه ظل ممسكاً بها. وقال: من
هذا؟ نحن عادة لا نشجع على مجيء الزوج الغريب الى هنا.
مع ذلك لا نعترض، شرط أن يعرفوا بأنفسهم ثم يقفلوا
أفواههم. فقال ند: انا ند وليام ماك كاسلن، من جفرسون
ميسيسيبي. فقال الرجل: اسمك طويل جداً، يلزمك اسم
بسيط وسريع تقوله هنا، الى ان يصبح لك شاربان ابيضان
ولحية قصيرة شائبة مثل المعجوز بوسم. ولا يهمننا من اين
اقيت. كل ما نحتاج اليه هو مكان ما نرجعك اليه. لكن يبدو
أن سلوكك حسناً. فلديك ادراك يكفي لمعرفة القانون.
ثم قال لبون: هل تريد الحصان؟ فصرخت إفرابي: كلا،
وتخلصت من قبضة بطش واندفعت مسرعة بشكل لا يتناسب
مع فتاة في حجمها. كانت تستطيع الافلات قبل الآن بمجرد
ان تلفظ اسم بون، وهذا ما كان يتمناه بطش - الوكيل
او الشرطي، لا اعرف - كلنا ايضاً عرفنا ذلك. لكنها
اندفعت ووقفت بجانبى وقد جعلتني بينها وبين بطش،
وامسكت بذراعي. وشعرت بيدها ترتعد قليلاً عندما
امسكت بذراعي. وقالت لي: تعال يا لوشيوس، دلنا على
الطريق. ثم قالت بصوت مضطرب، مفعم بالمطافة:
« كيف حال يدك؟ هل تؤملك؟ »
« انها بخير. »

« هل انت متأكد ؟ هل كنت تخبرني لو آلمتك ؟ هل افاد وضعها في الجورب ؟ »
 « انها بخير . لو انها تؤلمني لأخبرتك . »
 وذهبنا الى الاسطبل . كانت افربي تجرني لأبقى بينهما وبين بطش . لكن هذا لم يجدها نفعاً . فقد أراحني من طريقه ، فاستطعت ان اشم رائحته . كانت خليطاً من رائحة عرق الجسم والوسكي ، واستطعت ان ألمح رأس زجاجة الوسكي يطل من جيبه الخلفي الثاني . وامسك بطش برفق افربي ثانية . وفجأة تملكني الخوف . فقد أدركت انني لم افهم افربي جيداً ، وكنت متأكداً ان بون لم يفهمها . كلا ، لم اكن خائفاً منه ، لاننا كنا نستطيع ، انا وبون ، ان ننتزع المسدس من جيبه الخلفي ونضربه . وانما كنت خائفاً على افربي والعم بارشم وعلى بيته وعائلته ، إذا حصل ذلك . لكنني كنت اكثر من خائف - كنت احس بالعار لخوفي على للعم بارشم الماضطر الى العيش هنا وكرهت هذا الوضع كله . كرهنا جميعاً لكوننا ضحايا ضعفاء امام الحياة ، لاضطرارنا الى البقاء احياء . كرهت افربي لكونها ضحية عاجزة ، قابلة لتلقي الاذى . وكرهت بون لانه ، هو ايضا ، اصبح عاجزاً وعرضة للأذى . وكرهت العم بارشم وكيلورغوس لوجودهما حيث اضطررا ان يقفا عاجزين ، يراقبان البيض وهم يتصرفون بتعال وتبجح ، كما اعتادوا ان يتصرفوا حيال الزنوج . كرهتهم جميعاً مثلما كرهت اوتيس حين اخبرني عن تصرفات افربي في

اركنساس . وكرهت إفرابي التي عجزت عن ان تتمرّد على كونها وسيلة مسخرة للانحطاط الانساني كما حدثني عنه اوتيس . كرهت نفسي لانني استمعت الى ذلك الحديث وعرفت به وفهمته . ولم أكرهه لمجرد كونه قد حصل بالفعل ، بل لانه شيء حتمي ضروري يجب ان يحصل كي تستمر الحياة ويشارك النوع البشري فيها .

وفجأة تملكني حنين الى البلد ، حين اعتصرني وعذبني . اشتقت الى البيت ، ليس الى الذهاب فقط ، بل الى محو الوضع بكامله : فاجعل نند يرجع الحصان الى الرجل الذي اخذه منه ويستعيد سيارة جدي ، فأرجع بها الى جفرسون من حيث اتينا ، ولو اضطررت الى قيادتها في ذلك الطريق الترابي الموحش ، عبر حفر الوحل ، مروراً بصاحب البغلين المصابين بعمى الالوان ، والانسنة بالنبو واليس ، ولا يعود لكل ذلك اي وجود بالنسبة لي . عندها ارتفع في اعماقي صوت هاديء واضح يقول : ولم لا تنفد هذا ؟ كنت قادراً على ذلك . كل ما كان عليّ فعله هو ان أقول لبون : سرجع الى البيت . وكان نند سيُرجع الحصان ، وكان اعترافي سيُجعل الشرطة تعرف مكان السيارة وتعيدها لنا ، ويكون ثمن ذلك كله خجولي . لكنني لم افعل هذا ، لأنني لم أعد استطيع . كان اوان ذلك قد فات . ربما كان ذلك ممكناً في اليوم السابق ، عندما كنت لا ازال طفلاً ، لكن ليس الان . كنت قد عرفت الكثير ورأيت الكثير ، ولم أعد طفلاً . لقد

فقدت البراءة والطفولة الى الابد .

وتلمصت إفرابي ثانية . وفاتني ان ارى كيف حصل ذلك هذه المرة . كانت حرة ، تواجهه . وكانت تقول شيئاً سريعاً بصوت غير مسموع ، فلم يلمسها هذه المرة ، بل كان ينظر وهو يبتسم ساخراً . وقال : « طبعاً ، طبعاً . تجولي هنا قليلاً . قد يعجبني ذلك . وامله يروق ايضاً للحلو ، . ثم قال لند : « طيب يا ولد ، ارنا الحصان » . فقال لي ند : « انت ابقى هنا . سنحضره انا وليكورغوس .

فوقفت قرب افرابي عند السياج . وقد عادت تمسك بذراعي . كانت يدها ما تزال ترتجف قليلاً . وخرج نند وليكورغوس يقودان الحصان . وتطلع نند ناحيتنا وقال بسرعة : « اين الآخر ؟ » فقال بطش : « لا تقل ان معك حصانين ! »

لكنني فهمت ما عناه ، وكذلك افرابي . فالتفتت بسرعة ونادت اوتيس ، ولكنه كان قد اختفى . فقال نند للكيورغوس : « اركض ، ان لم يكن قد دخل البيت بعد يمكنك ان تعيقه عن ذلك . قل له ان عمته تريد رؤيته . ثم ابق معه ، ولم ينتظر كيورغوس ليقول شيئاً ، بل اعطى سقود الجواد لند وركض مسرعاً . ووقفنا نحن قرب السياج . وكانت افرابي تحاول ان تبقى دون حراك . كان هذا كل ما نستطيع ان نفعله لتمحو آثار ماضيها . اما بون فقد كان هائجاً متدمراً ، يجرب ان يتمالك أعصابه ، وهو الذي لم يملك أعصابه في حياته

أمام اي حدث . لم يكن الخوف هو السبب . ولم يكن خائفاً من المسدس او الشارة : كان يستطيع ان ينتزعها من بطش ويقذف بالمسدس بعيداً ، ثم يدفع بطش نحوه . كان ذلك ، من جهة ، بسبب ولائه . كان يحرص على ان يجنبني انواعاً التي نتائج معركة كهذه ايا كان المنتصر فيها . أما الدافع الآخر فكانت فروسيته : كان يريد ان يحمي امرأة ، وان مومساً ، من مخالب السفلة الذين يستغلون شاراتهم للتسلط على جنسها العاجز .

وقال بطش : يا للشيطان ، لا يمكنه ان يفوز في أي سباق بمجرد وقوفه هكذا مقيداً . اذهب . دعه يركض قليلاً . فقال ند : أرسلنا في طلب فارسه . عندما يحضر يمكنك ان تراه وهو يركض . إلا إذا كنت مضطراً للعودة بسرعة . فقال : الى اين ؟ فاجاب : « إلى عملك في خدمة القانون ، في بوسم أو حينما كان . » فقال : « بعد ان قطعت كل هذه المسافة لأرى حصان سباق ؟ ولكنني ولم أر غير لوح نصف مائل ! ، فأجاب ند : « سرتني أنك أخبرتني بهذا . حسبتك غير مهم للموضوع . » ثم التفت إلى بون وقال : « لذلك ربما كان من الأفضل أن تذهب أنت والآنسة كوري إلى البلدة لانتظار الآخرين في المحطة . يمكنك أن ترسل العربة للسيد بطش ولوشيوس والصبي الآخر ، بينما نكون قد روضنا لاتينينغ في هذه الأثناء . »

فضحك بطش ساخراً . ثم تحرك الى حيث يقف بون وراح

يراقبه بينما وجه كلامه الى ند : « لا أقدر أن أدع هذا الفق
الحلو يذهب وحده . يجب أن أأزمه وإلا أثار المتاعب .
لدينا هنا قانون يمنع إخراج الجميلات خارج حدود الولاية لما
يدعونه غايات خلية . والفتى غريب هنا ، ولا يعرف أين
يقع حد الولاية ، قد تحيد قدمه عنه عندما يكون ذهنه
غارقاً في شيء آخر . أليس صحيحاً يا فتى ؟

وضرب بون على ظهره ، كما يضرب الرجال المرجون
بعضهم بعضاً ، لكن هذه كانت أشد قليلاً . ولم يتحرك بون
بل ظلت يدها ممسكتين بقضبان البوابة العلوية . كانت
الشمس قد أحرقت يديه وصبغتهما الأقدار فلم تبيضاً وهما
تشدان على القضبان . لكنني رأيت عضلاتها ، كما رأيتها إفربي
كذلك ، فصاحت تنادي بون بصوت خافت وقال العم
بارشم بسرعة : « ها قد أتى الصبي الآخر ،

كان أوتيس قادماً عند زاوية البيت ، وقد ظهر ليكورغوس
خلفه وكانه أطول منه مرتين . وكان ند يتحدث فيه بحدة .
وتقدم أوتيس بلطف ، وقال على مهل : « هل أرسل أحدكم
في طلبي ؟ »

فقل ند : « أنا أرسلت في طلبك . لم أرك من قبل في
ضوء النهار . وقد أغير رأيي . » ثم قال للكورغوس أنت يتقدم
الجميع .

وهكذا توجهنا جميعاً الى المرعى نتبع ليكورغوس وند
نحو الحلبة . حتى بطش نفسه أبدي اهتماماً بالموضوع الذي

كان يشغلنا . ولعله كان يتيح لأفريقي فرصة كي تستريح وتجمع قوتها كي تهجم على تلك النجمة الصغيرة المعلقة فوق قميصه المبلل بالعرق . وعندما وصلنا الى الحلبة كان نند وأوتيس يقفان متواجهين ، ورقف ليكورغوس خلفها ممسكا بالحصان . وكان نند يبدو متعباً . فقد ظل مستيقظاً طوال الليل ، إلا اذا كان قد نام مدة ساعة فوق القش في عربة القطار . لكنه لم يكن منهوكة بسبب قلة النوم ، بل كان منزعجاً وحسب . وقال وهو ينظر الى اوتيس : « ولد مطلع . مطلع اكثر من اي صبي رأيتة . آمل ، حين تبلغ ضعفي عمرك أنت تبقى لديك نصف خبرتك . فشكره اوتيس . وسأله نندا اذا كان يمكنه ان يمتطي حصاناً ، فاجاب : « كنت أعيش في مزرعة في أركنساس منذ سنوات عديدة . والآن كم ستدفعون لي لامتطي الحصان ؟ » فصاحت به افريقي ، لكن نندا قال بلطف : « لم نصل الى ذلك بعد . يجب أولاً أن تصل في الطبيعة بعد الأشواط الثلاثة ، أو في اثنين منها على الأقل . ثم نفكر في المبلغ الذي سندفعه لك . » وقال اوتيس : « هه ، هه ، هه . أي انك لا تقدر أن تدفع قبل أن يفوز الحصان . ولا تقدر أن تربح ما لم يركب الحصان شخص ما - وهو أنا . أليس هذا صحيحاً ؟ »

فصاحت به افريقي ، لكن نندا تابع قائلاً : « هذا صحيح ، كلنا نعمل شراكة . لذلك سنقسم جميعنا المبلغ فيما بعد . وعلى حصتك أن تنتظر شأن حصصنا . » على ان

اوتيس مانع في ذلك ، فسأله ند : « وكم تريد ؟ » فأجاب اوتيس :

« لن يروق لك طلبي ، لان الحصان لم يركض في الشروط الاول بعد ، فضلاً عن الفوز في السباق . لكنني سأخبرك بصورة شخصية . لنقل عشرة دولارات . »

وطلبت افرابي من اوتيس ان ينجعل من نفسه ، ولكن ند استمهلها وأخرج كيساً من جيبه وفتحها وأخرج عنه حافظة نقوده المهترئة وفتحها قائلاً لليكورغوس ان يمد يده فمد ليكورغوس يده ، فوضع ند في كفه ستة دولارات مهترئة ، ثم عد قبضة من القطع المعدنية الممنوعة . وقال ان المبلغ ينقص خمسة عشر سنتاً ، ولكن السيد هوجانبيك سيدفع له هذه القيمة . فقال اوتيس : « اية قيمة ؟ » .

« القيمة التي تتمم المبلغ الذي حددته . أي عشرة دولارات . »

« يبدو أنك لا تسمع قلت عشرين دولاراً . »
وهنا تحرك بون قائلاً : « ايها اللعين ! » فأشار عليه ند ان ينتظر قليلاً . واخذت يده تسترجع قطع النقود من يد ليكورغوس وتضعها في المحفظة ، ثم تضع المحفظة في الكيس وترجع الكيس إلى الجيب . ثم قال لأوتيس :

« اذن لن تمتطي الحصان ؟ »

« لم أر اجرتي بعد . »

« السيد بون هوجانبيك يستعد أن يدفع لك الآن اي مبلغ

قطلبه . لكن لماذا لا تتكلم كالرجال وتقول انك لا تريد أن
تقود الحصان ؟ نحن لا يهمنا السبب . « ونظر واحدهما الى
الآخر . فقال اوتيس :

« لا . لن اقود هذا الحصان . « ثم قال شيئاً آخر ،
شيئاً بديئاً وهو من طبيعته ، شيئاً خبيثاً وهو من طبيعته ،
شيئاً غير ضروري مطلقاً وهذا ايضاً من طبيعته . وهذه
المرّة امسكت به افربي وهزته بشدة . فسبها وقال :

« حاذري . لم انه كلامي بعد . « فقال بطش : « مرني
فاضربه حتى اخرج الشياطين منه . اضربه لا حياء بالضرب ،
بل مبدئياً . لا اعرف كيف يسمح له هذا الفتى الحلو ان يتماذى
الى هذا الحد ، درن ان يضربه ضربة واحدة . « فقلت
افربي وهي تقبض على ذراع اوتيس : « كلا . سيذهب الى
البيت في اول قطار يمر من هنا . « فأجاب اوتيس : « هذا
كلام معقول . اولاك كنت هناك الآن « فأفلتته وقال : « عد
الى العربية . « لكن بون تدخل بسرعة قائلاً : « لا يمكنك
ان تجازي . ستضطرين للذهاب معه . حسناً ، اذهبوا كلكم
الى البلدة . يمكنكم ان ترسلوا في طلبنا انا ولوشيوس عند
المغرب . « لقد فهمت ماذا كان يعني ، وأية فكرة صارع حتى
توصل الى هذا القرار . لكن بطش خدعنا . وقال : بالتأكيد
ارسلوا في طلبنا . فذهبت افربي وأوتيس ، فقال بطش :
الآن وقد سويت تلك المسألة ، فمن سيقود الحصان ؟ فأجاب
ند : هذا الصبي . فهذا الحصان يحتاج الى فارس بيد واحدة .

فقال بطش وكان يضحك هذه المرة فعلا : هه ، هه ، هه .
 رأيت هذا الحصان يركض في الشتاء الماضي . اذا كانت يد
 واحدة تقدر ان توقظه ، فإنه يحتاج الى ايد اكثر من ايدي
 العنكبوت كي يسبق حصان الكولونيل لنسكومب . فقال
 ند : « قد تكون مصيباً . هذا ما سنكتشفه الآن » . ثم
 قال لليكورغوس : « يا بني ، اعطني معطفي . » ولم اكن
 قد لاحظت المعطف بعد ، وكذلك القضيبي المقشر . ولبس
 ند المعطف وقال لبون وبتش : « اذهبوا جميعا واجلسوا
 هناك في فيء الاشجار مع العم بوسم كي لا تلفتوا انتباه الحصان
 ثم قال لي : اعطني قدمك . ففعلت ، وقذفني على ظهر
 الحصان ، بينما ذهب بون وبتش وليكورغوس الى فيء الاشجار
 حيث يجلس العم بارشم .

ومع أننا لم ندر سوى دورات ثلاث حول الملبة ذلك
 الصباح فقد رسمنا معالم طريق يمكن أن يتذكرها لايتنينغ . وقاده
 ند إلى النقطة التي بدأنا منها في الصباح ، وراح يكلمه بهدوء
 ودونما انقطاع . لم يكن العم ريموس في تلك اللحظة . ولم
 يكن قط كذلك حين لا يكون الى جانبه غيري وغير أفراد
 جنسه . قال لي : « المسافة المحددة للسباق ليست اكثر من
 نصف ميل ، لذلك يجب أن تدور حوله مرتين . وهي مثل
 هذه الأرض تماماً ، لذلك حين يرى الحصان الحلبة الحقيقية
 غداً ، يجدها مألوفة لديه ، ويعرف كيف يتصرف . مفهوم ؟ »
 - نعم . أقوده في دورتين حول الحقل .

فأعطاني القضيب وقال : « دعه ينطلق بأقصى سرعته ، فاجئه بضربة شديدة ، ولا تلمسه ثانية حتى أقول لك . إلكزه بكعبيك ، وكلمه ، لكن لا تثقل عليه : ما عليك إلا أن تجلس حيث أنت . ركز كل انتباهك على أنك ستدور دورتين ، وحاول ان تجعله يركز انتباهه على ذلك ، كما كنت تفعل مع جياذ ماك كاسان . لا يمكنك أن تفعل مثل ذلك الآن ، لكن هذه المرة بيدك قضيب . انما لا تلمسه به حتى أقول لك . » وأدار ظهره . كان يفعل شيئاً ما متستراً بمعطفه . كان يخبىء في يده شيئاً دقيقاً ، وفجأة شممت رائحة كان يجب أن أعرفها فوراً ، انما لم يكن لدي متسع من الوقت آنذاك . واستدار ندمحونا ، ولامس خياشيم لايتنينغ كما فعل صباحاً عندما أدخله الى عربة القطار . وبعد أن لامست يداه خياشيم الحصان تراجع محاولاً أن يتبعه ، لكنني شددت اللجام وحولته عنه . وصرخ به ندم : « اذهب . » ثم قال لي ان اضربه . وعندما ضربته قفز الى الامام من الخوف ، وقد استغرق نصف خطوة كي يرجع رأسه . واجتاز خطوة اخرى قبل أن يدرك اننا نريده أن يتبع الطريق السابق نفسه ، ثم انطلق بأقصى سرعته ، ولم أرخ له الا القليل من العنان لأبقية في الخط . كنت أدق كعبي بخاصرتيه ، حتى قبل ان يتبدد خوفه . وحصل ما حصل في الصباح : كان يركض جيداً ، بانقياد كاف ، وقوة عظيمة ، لكنني شعرت كما شعرت في الصباح بان رأسه لا يريد التحرك الى اي

مكان ، حتى بدأنا شوط العودة ورأى نسد في الطرف الآخر للحلبة . آنذاك انتزع اللجام مني ، وشرد عبر الحقل في خط مستقيم باتجاه ند ، قبل ان استعيد توازني وأنحني لاستعيدي اللجام بيدي السليمة وأشده لأرجعه الى مسار السباق . كان عليّ أن أبقيه على طرف الحلبة وأوجهه ليمضي في شوط الذهاب من نقطة تمكّنه من رؤية ند ثانية ، والمرة الثانية اتجه نحو ند ، فاضطرت لاستعمال كلتا يدي لابقيه في الخط ، وبدأ لي ذلك دهرأ الى ان تكلم ند قائلاً :

– اضربه ثم ارم القضيبي .

وهكذا فعلت ، ثم رميت القضيبي وقفز ثانية ؟ لكنني ملكت زمامه هذه المرة لأن العملية اقتصرت على اللجام الخارجي فقط لإبقائه في الخط المعين أثناء شوط الذهاب . واعدت العدة لمحوحه عندما يقع نظره على ند . واستمر في سرعته الى ان بلغنا نهاية الشوط ، وهناك كان ند يقف على بعد عشرين ياردة خلف خط الوصول ، وتكلم بصوت مرتفع كي يسمعه الحصان ، وكانت لكلامه نفس النغمة التي كلمته فيها في عربة القطار الليلة . ولم أكن بحاجة الى القضيبي لأنه لم يكن هناك مجال لاستعماله . كنت حتى تلك اللحظة أحسب انني امتطيت على الأقل حصاناً واحداً مهماً : كان حصاناً نصف بري ، نصف أليف من أحصنة ابن العم زاك . لكنه لم يكن لديه شيء من هذا الاندفاع والمجيج ، وكاننا كنا حتى الآن نشد حبلاً ربطت الى نهايته حزمة حطب ، حتى

علا صوت ند و قطع الحبل إذ قال : هيا يا بني ، اعددتها لك .
وهكذا توقفنا هناك ؛ ودفن لايدينينغ وجهه بين يدي
ند . ولم أشم آنذاك غير رائحة الحصان ، ولم أر غير باقة
من العشب راح يلتهمها وند يقول : هه ، هه ، هه . وصاح
بون وهو مقبل : « ماذا قلت له ؟ »

- « لا شيء ، سوى انه كان يريد عشاءه فليسرع
ليتناوله . » وتقدم بطش ورفع شفة الجواد وتفحص نيرة
اسنانه ، ثم نظر الى عينيه وقال : « ألا تعلم أن تخدير
الحصان المعد للسباق مخالفة قانونية ؟ لعليكم انتم الذين تعيشون
في مستنقعات ميسيبي لم تعملوا بذلك ، لكنه قانون سار
هنا . » فأجاب ند :

« نحن أيضاً عندنا أطباء في ميسيبي . ارسل في طلب
بيطري ليفحصه ويرى ان كان مخدراً . » ثم قال لي
ان ارجع الحصان الى الاسطبل .
« ودعه يبرد بعد ذلك سنغسله . »

وراقب بطش هذه العملية ايضاً . ورجعت الى الاسطبل
وجاء ليكورغوس بدلو ماء وخرقة ، ثم غسل الحصان ونشفه
قبل ان يربطه ويقدم له العلف . وهنا طلب بطش من
ليكورغوس ان يذهب الى البيت كي يحضر له ماء وسكراً
ويضعها على الشرفة الامامية ، لانه يريد ان يشرب وسكي
مع الصبي الحلو . اكن ليكورغوس لم يتحرك حتى امره العم
بارشم بذلك . فذهب يتبعه بون وبتش . ووقف العم بارشم

على باب الاسطبل يراقبها . اعني يراقب بطش . وكان العم
بارشم شيخاً نحيلاً دراماتيكيّاً ، يتجاوز في هيئته الاسود
والابيض ، اذ كان يرتدي بنظلمونا أسود وقميصاً ابيض . كان
وجهه اسود وقبعته سوداء فوق شعر ابيض وشاربين ولحية
بلون ابيض .

قال : «قانون» . قال هذا بهدوء وبرود ، وازدراء .
فقال ند :

« رجل لا علاقة له بمعنى الشارة التي يحملها ، الا انها
تركب رأسه بسرعة تجعل رأسك أيضاً يدور » .

وهنا عاد لكيورغوس وقال لي :

« انهم ينتظرونك . العربية » .

« هل عادت من البلدة الآن ؟ »

« لم تذهب الى البلدة قط . لم تبتعد . كانت جالسة مع
ذلك الصبي بانتظاركم » وقد أرسلتني في طلبك فاستوقفني

ند : كان الجورب ما يزال في يدي وحسبت انه يعنيه ، لكنه
لم يهتم به وظل يحدق في ثم قال : « ستصطدم بالناس

الآن ، فسألت : « أي ناس ؟ »

« لقد انتشر خبر هذا السباق الآن . »

« كيف انتشر ؟ »

« وكيف تنتشر الاخبار ؟ لسنا بحاجة الى رسول . كل

ما نحتاج اليه جوادان يبعدان احدهما عن الاخر ، عشرة
أميال . كيف تتصور بأن القانون جاء الى هنا ؟ ربما لانه

شم رائحة الصبية عن بعد أربعة أميال أو خمسة مثل كلاب
الصيد . كل ما رجوته هو ان ندخل السباق بهدوء ودون
ضجة ، ولا فرق بعد ذلك ربحنا ام خسرتنا . فإما ان نرجع
إلى البيت ، انا وانت وبون او نذهب حينما شئنا ، شرط ألا
تطالنا يد الرئيس بريست . لكن لم يعد الامر سرّاً . ستلتقي
بهم من الان فصاعداً ، وسيكونون غداً اكثر ازدحاماً .

« تعني ان بإمكاننا دخول السباق ؟ »

« يجب ان ندخله . ربما صرنا مضطرين إلى ذلك منذ ان
اعتقد بون أن الرئيس قد نفض يده من قضية السيارة منذ
اربع وعشرين ساعة . الآن لا بد من دخول السباق . »
« ماذا تريدني ان افعل ؟ »

« لا شيء . اردت ان اخبرك فقط ، كي لا تفاجأ . كل
ما علينا هو ان نحصل على جوادين يركضان في خط واحد
ويتجهان جهة واحدة ، فتعتلي انت ظهر لاتينينغ وتفعل كما
أخبرتك . اذهب الآن قبل ان ينادوك . »

الفصل التاسع

كان ند على صواب . اعني فيما يتعلق بنشر الأخبار . لم يكن في يدي شيء غير عادي عندما نزلت . عندها إفرابي جورب الركوب . اعني انها كانت مثل أية يد أصابها جرح على طول الاصابع في الليلة البارحة . ولا اعتقد انها نزلت ، حتى حين استعملتها لشد لا يتنينغ ، عندما جمح بعد ظهر اليوم لكن كان لإفرابي رأي آخر . وهكذا توقفتنا عند طبيب ، ابتعد بيته حوالي ميل . كان بطش يعرفه ويعرف مكانه . ولا اعرف كيف اقنعتة إفرابي بأخذنا اليه . او ربما لم تكن إفرابي هي التي اقنعتة ، بل زجاجة الخمر الفارغة . ذلك لأن الكأس الثانية كانت يجب ان تشرب في فندق بالشمير فقد كان اني حين اقتربت من البيت ، رأيت أم إيكورغوس واقفة على طرف الشرفة وبيدها سكربون وبنو ماء وقرعة يقطين مفرغة . وكان بطش وبنو يجتسبان في آخر قطرة من

الخمر ، بينما كانت ليكورغوس يلتقط الزجاجاة الفارغة التي
رماها بطش في عليقة مزهرة .

وهكذا قادنا بطش الى بيت الطبيب - كان بيتاً صغيراً
أبيض وسط ساحة صغيرة مملأ بالازهار المغبرة ، التي تتفتح
في اواخر الصيف وفي الخريف . واستقبلتنا امرأة بدينية
رمادية الشعر تضع نظارتين على أرنبة أنفها ، وتبدو مثل
معلمة متقاعدة ، ظلت تكرر الاولاد حتى بعد تقاعدها بخمس
عشرة سنة . وحالما رأتنا التفتت نحو داخل البيت ونادت :
إنهم جماعة حصان السبق . اذن كان ند على صواب . ودخل
بطش قبلنا وقال : مرحباً ايها الطبيب ! جئتك بمريض .

كان الطبيب رجلاً رمادي الشعر يلمح لحيته عصير
التبغ ، يرتدي قميصاً أبيض كقميص ند ، لكنه لم يكن في
نظافة قميص ند . كما كان يرتدي سترة سوداء عليها بقعة
مشرورة من آثار صفار البيض . كانت رائحته تشبه شيئاً ، لا
كالكحول ، أو بالأصح لم تكن كلها كحولاً . وقال بطش :
« أنا والأخ هوجانبك سننتظر هنا في الردهة . لا تزعب
نفسك ، أعرف أين زجاجة الوسكي . » ثم قال لبون :

« لا تقلق بشأن الطبيب . انه لا يمس الوسكي إلا عند
الضرورة . فالقانون يسمح له بحفنة مخدر لكل مريض كجزء
من العلاج ، سواء كان مرضه جرحاً او كسراً في العظم . فإذا
كانت الحالة مجرد جرح قديم أو اصبع مفزور كهذا ، فإن
الطبيب يتقاسم العلاج مع المريض فيشرب كل المخدر ويترك

للمريض كل العلاج . هه ، هه ، هه ، من هنا . ،
 وهكذا ذهب بطش وبون الى الردهة بيننا قبعنا ، انا
 واقربي ، الطبيب الى غرفة فيها اريكة من وبر الجياد تعلوها
 وسادة قدرة . وكانت هناك مكتبة تعلوها زجاجات الادوية ،
 وعلى اطرافها رماد نيران الشتاء الماضي ، الذي لم يمسه احد .
 كما كانت هناك مغسلة عليها طست وابريق لم تفرغ ماؤه
 منذ مدة طويلة . ولو أن أمي كانت موجودة ، لما سمحت
 له بالمس جرح في اصبعها . ويبدو أن اقربي كانت تفكر على
 طريقة أمي ، فسارعت بنزع الضماد عن يدي . كانت بحالة
 جيدة كما قلت . ونظر اليها الطبيب من وراء نظارتيه ، ثم
 سأل اقربي عما وضعت عليها ، فأخبرته . فقال لها الطبيب :
 كيف تيسر لك ذلك ؟ ثم رفع النظارتين ونظر اليها ، ثم
 أعاد النظارتين وتنهد ثم قال : لم أزر ممفيس منذ خمس
 وثلاثين سنة . نعم ، خمس وثلاثون ... لو انني مكانك لما
 فعلت لهذا الجرح شيئاً . ثم قال لي : هل أنت الصبي الذي
 سيمطي الحصان غداً ؟

فأجابته اقربي بالايجاب ، فقال : تغلب على حصان
 لذكوب هذه المرة - لعنه الله . فهزت اقربي برأسها موافقة
 واستفهمت عن المبلغ الذي يطلبه بدل المعاينة . فقال الطبيب
 ان لا ادعي لذلك ، لأنها هي التي عالجت الجرح وشتمته .
 فعادت اقربي تلح على الدفع لمجرد أنه طمأننا عن حالة
 الأصابع . ولكن الطبيب أصر على رفضه . ونظر اليها من

وراء نظارتيه ، بعينين واسعتين غير مركبتين على شيء معين
وقال لها :

« لو ان معك منديلا اضافياً أو شيئاً ما ... نعم ، خمس
وثلاثون سنة . كان لديّ واحد عندما كنت شاباً ،
منذ خمس وثلاثين سنة . بعد ذلك تزوجت و ... نعم ،
خمس وثلاثون سنة ! »

وأدارت اقربي ظهرها وانحنت ، فسمعت حفيف ثوبها
الذي لم يكن طويلاً . ثم سمعت الحفيف ثانية حين وقفت
واستدارت وفي يديها ربطة ساقها . وتناهى اليها صوت
بطش المرتفع ونحن خارجون . وكان يقول : ما قولك ؟ هذا
الصبي الحلول لا يرغب في كأس اخرى ، حين يكون الشباب
يتخاطفون الشراب . لقد اهانني !

ثم وقف ينظر الى بون باستهزاء ويبتسم بتسلط وانتصار .
اما بون فقد كان منظره نحيفاً تلك اللحظة . وكان ند مرهقاً
لقلة النوم . انما كان على ند ان يحمل عبثاً واحداً هو الحصان ،
بينما كان على بون ان يحمل اقربي والشاراة التي على صدر بطش ،
وان يظلا عبثه الثقيل وشغله الشاغل . وكان بطش ما يزال
يضحك . وهمّ بأن يضربه على ظهره مرة اخرى ممازحاً ،
لكن بون اوقفه هذه المرة ، وقال له : لا تعدها ! فتوقف
بطش ، ولكنه ظل يبتسم ساخراً وقال لبون : اسمي
لف ميدن ، انما يكلمك ان تناديني بطش . فقال بون
لف ميدن !

وسألنا بطش عما إذا كان الطبيب قد عاجلني كما يجب .
واقترح بون أن نذهب ، فخرجنا . حينئذ سألت إفربي عن
اوتيس ، فاخذت تناديه ، لكن بهدوء ودون إلحاح . فقال
بون انه ربما سبقنا ، إذ أين يمكنه أن يذهب هنا . وقال اننا
سندركه في الطريق ونأخذه معنا ولم يفته ان ينعتة بان الكلبة
وابن المومس . وصعدنا الى العربية وأجلستني إفربي قريبا ،
حيث كان يجلس اوتيس . ولم أجد في حياتي شخصا يفقد ثقة
الناس بهذه السرعة . إذ لم يكن في العربية من يثق به . ولو
قضى في بارشم وقتاً طويلاً ، لارتابت به البلدة كلها .
وصلنا الى الفندق . وهناك اكتشفت ان ند كان على خطأ ،
أعني بصدد تقاطر الجماهير لمشاهدة السباق . فقد توقعت أن
أجد شرفة الفندق مزدحمة بمتفرجين ينتظرون مشاهدتنا
عندما نصل . لكنني لم أر أحداً . كان يمكن ان يحصل ذلك
في الشتاء ، في موسم الصيد ، لا في الصيف . لبارشم
فصل صيف ، لأن الناس يذهبون إلى أماكن أخرى . لم تعد
الحال هكذا في هذه الأيام . إذ ما حاجة الناس الى الاصطياف
أو الاشتهاء ، ما دامت أجواء البيوت تكيف فتتخفف الحرارة
كثيراً في الصيف ، وترتفع كثيراً في الشتاء ، حتى ان أمثالي
يضطرون للخروج منها هرباً من بردها في الصيف وهرباً من
حرها في الشتاء . وكذلك السيارات . فقد كانت من قبل
ضرورة اقتصادية فصارت اليوم ضرورة اجتماعية . لم تكن
اذن في موسم نشاط البلدة - موسم الصيد والمسابقات

الوطنية - حين يعج الفندق الفخم بالزوار من ذوي الثروات والالقب ، وبالخدم ومظاهر الابهة ، حين يكون موسى بألوان البنود المختلفة ، وتختلط في ارجائه أصدااء الكؤوس الفضية بهريق المال والأصوات التي تتحدث بلذة وشهية عن المال .

وهكذا ، فحين بلغنا الفندق لم نجد شيئاً من كل هذا . كان الشارع الهادىء خالياً إلا من غبار شهر ايار . كان خالياً حتى من ارتيس ، الذي ربما كان داخل الفندق . ولكن شدة ما أدهشني ان يتغيب بطش . فقد اوصلنا الى الباب واستدار راجعاً ليلقي نظرة ساخرة قاسية على افربي وأخرى على بون . غير ان افربي ردت على نظره بعبارة لا تقل قسوة وسخرية :

« لا تشغل بالك . سأرجع . اذا كانت لديك مشاغل معلقة ، فالأفضل أن تحلها قبل أن أرجع . والا وقع حادث ما . »

ولكنه تابع طريقه . ربما كان لديه مكان يذهب اليه هو أيضاً . كنت ما أزال جاهلاً وبريثاً (ليس بقدر جهلي وبراهتي منذ أربع وعشرين ساعة) لكنني كنت في جانب بون ، وانما ليس فيما يتعلق بإفربي . وكنت قد جمعت معلومات منذ البارحة ، سواء هضمتها أو لم أهضمها بعد ، تجعلني أتمنى ان تكون له زوجة في المكان الذي ذهب اليه ، زوجة بريئة اختطفت من أحد الاديرة ، حيث كانت بلا صديق او احد

يثار لها حين يغدر بها . لقد تمنيت هذا ليتضاعف وزر بطش
في الدناءة والقسوة الفطرية . لكنني كنت مخطئاً ، اذ كان
بطش عازباً .

ولم نجد اوتيس داخل الفندق . ولم يكن فيه غير كاتب
يجلس في ردهة نصف معتمة ، وخادم يعبث بفوطة وهو
واقف بباب غرفة الطعام التي لم يكن فيها غير مائدة واحدة ،
أعدت لمناسبات كهذه . ولم يكن اوتيس هناك أيضاً . وشعر
بون بتساؤلنا عنه فقال : لست مهتماً بمكان وجود اوتيس
الآن ، ولا بما يكون قد ارتكبه دون علمنا . فقالت إفربي :
لم يرتكب شيئاً . انه ولد .

« نعم ، ولد صغير مسلح ! ولكنه عندما يكبر ، يستطيع
ان يسرق ... » فقاطعته إفربي تحاول اسكاته ، غير انه
استأنف كلامه قائلاً :

« حسناً ، حسناً . إذن ، اجمعي مالاً يكفي كي يشتري
سكيناً طول نصلها ستة بوصات بدل تلك السكين الصغيرة .
فيصبح على كل من يسدير له ظهره ان يلبس واحداً من تلك
الدروع التي تغطي الجسم كله ، كالتي تزينها في المتاحف .
ثم قال بعد لحظة : « يجب ان أكلّمك . سنتعشى حالاً ، ثم
ننتظر القطار . لأن ذلك الحصان الذي يضع شارة من تلك
سيأتي في أية لحظة . » ثم امسك بذراعها وقال لها تعالي .
جرى ذلك عندما بدأت اصغي لبون . اعني عندما
اضطرت . وقد اجبرتي إفربي على ذلك ، حين رفضت أن

تذهب معه بدوني . فذهبتنا إلى ردهة السيدات . ولم يكن أمامنا متسع من الوقت : كان علينا أن نتناول العشاء بسرعة ثم نذهب إلى المحطة لاستقبال الأنسة ريبا . ففي تلك الأيام لم يكن باستطاعة النساء الدخول والخروج من غرف الرجال في الفنادق كما يفعلن اليوم . بل لقد سمعت أنهن ينتقلن مرتديات ما تسميه الجرائد بـ « الشورت » أو الثياب القصيرة التي تعطي المرأة الحرية التي تحتاج إليها في نضالها من أجل التحرر . والحقيقة أنني لم أر في حياتي امرأة تدخل فندقاً بمفردها (لم تكن أمي تذهب بدون أبي) وما زلت اذكر كم استغربتُ أن تستطيع إفرابي دخول الفندق دون خاتم زواج . كان للفنادق آنذاك ما يدعى بردهة السيدات ، وهي عبارة عن صالة صغيرة مؤثثة بشكل فخيم . وحين بلغناها كنت ما ازال بجانب بون ، لذلك لم أدخل بل بقيت خارج الباب ، بحيث تعرف إفرابي أين اكون وتستنجد بي عند الحاجة دون أن تضطر إلى الصراخ . لذلك سمعت ، بل أصغيت . كنت مضطراً إلى ذلك على أية حال . وكنت قد سمعت الكثير من القذارات وحقائق الحياة كي أصبح عن التوقف الآن . لذلك سمعت . كانت إفرابي تكلم :

« كلا ! لا أريد ! اتركني . »

« لكن ، لماذا ؟ قلت أنك أحببتني . هل كنت

تكذبن علي ؟ »

« احبك . لهذا لا أريد . اتركني ! افلنتني ! لوشيوس !
لوشيوس . »

« اسكتي . اسكتي . »

ثم ساد صمت قصير . فلم أنظر ، ولم أوصوص ، بل
اكتفيت بالإصغاء :

« إذا لاحظت أنك تخدعيني وتهتمين بذلك اللعين صاحب
شارة التنك ... »

« كلا ! كلا ! أبداً . » ثم تبادلنا كلاماً لم أستطع سماعه
إلى ان قال بون :

« ماذا ؟ تركت ؟ ماذا تعنين بقولك تركت ؟ »

« نعم ! تركت ! لن افعل ذلك بعد الآن ! أبداً ! »

« كيف ستعيشين ؟ ماذا ستأكلين ؟ أين ستنامين ؟ »

« سأجد عملاً . أقدر أن أشتغل . »

« بماذا تستطيعين أن تعملي . لست متعلمة أكثر مني .

ماذا يمكنك أن تعملي لتكسبي عيشك ؟ »

« أقدر أن أغسل الاطباق . أقدر أن أغسل وأكوي .

أقدر ان أتعلم الطبخ . أقدر أن أقطف القطن . دعني اذهب

يا بون ، أرجوك ، أرجوك . يجب ان اترك ، ألا ترى

ذلك ؟ »

ثم سمعت وقع أقدامها وهي تركض ، بالرغم من سماكة

السجادة ، وهكذا أمسك بي بون هذه المرة . لم يكن منظر

وجهه مسرأ . كان ند محظوظاً . كان لديه هم واحد ، هو

السباق ، وقال بون ووجهه يكاد ينفجر : « انظر الي . انظر
إلي جيداً . ما عيبي ؟ بحق الشيطان ما عاتي ؟ كنت
عادة ... » وازداد احتقان وجهه ثم تابع : « لكن لماذا
أنا ؟ بحق الشياطين لماذا تختارني من بين كل الناس لتمتدي علي
حسابي . انها مومس . لماذا لا تفهم هذه الحقيقة ؟ انها تقبض
أجرتها لتكون ملكي منذ ان تضع قدمها حيث اكون ، تماماً
كما يستخدمني الرئيس والسيد موري واكون تحت تصرفها
منذ ان اضع قدمي حيث يكونان . لكنها تركت ، ولاسباب
خاصة . لا يمكنها أن تعود كما كانت . ولا يحق لها ان تترك
دون موافقتي ... » ثم توقف عن الكلام . كان محتاجاً
وخائباً . وكان يرغبي ويزيد لكنه كان عاجزاً ، بل كان
مذعوراً .

وتوقف عندما وقف الخادم الزنبي بالباب يلوح بفوطته .
لقد بذل بون مجهوداً عظيماً . وانقد كان ند مرتاحاً ، اذ لم
يكن عليه إلا ان يكسب السباق . ثم اخبرني بون برقم غرفتها
وسألني ان اذهب وأدعوها للعشاء ، لتتمكن من ملاقة
القطار .

فذهبت ودعوته ، لكنها رفضت ان تخرج . وهكذا
أكلنا وحدنا ، انا وبون . لم يكن وجهه قد هدأ بعد ، فكان
يأكل بشكل آلي ، دون اية رغبة في الطعام او نفور منه .
فقلت له بعد لحظة : لعله في طريقه الى أركنساس . فأجاب
بون : أكيد . لعله سبقها ليجد لها وظيفة ، او لعله هو نفسه

اهتدى ، فيذهبان معاً الى السماء مباشرة دون ان يتوقفسا في
 اركنساس أو غيرها . نعم ، سبقها ليجد طريقة تمكنها من
 المرور بمفيس دون ان يراها احد .
 وكان وقت الذهاب قد حان وحين جاءت افربي ، اخذت
 أراقب طرف تنورتها من وراء باب غرفة الطعام . ثم ذهبنا
 نحن الثلاثة باتجاه المحطة . لم يكونا يتخاضمان الآن بل كنا
 يستطيعان أن يتبادلا الكلام ، إنما كان على بون ان يأخذ
 المبادرة . واقتربنا من المحطة ، ولم يبق لنا إلا أن نقطع خط
 السكة لنصل الى الرصيف . واقترب القطار . ومرت أمامنا
 القاطرة ترعد والشرر يتطاير من فراملها ، ثم توالت مقطورات
 الركاب وبينها المقطورة الخاصة تم تلتها مقطورة الشحن .
 كان هذا قطار سام كالدريل . واذا كانت افربي واوتيس
 قد جاءا الى بارشم بقطار شحن ، فإن الأنسة ريبا ستكون
 في قاعة الاستقبال ، هذا ان لم تكن في مقطورة رئيس
 الجمهورية الخاصة . ووقف القطار ولم تفتح أية مقطورة ، ولم
 نشاهد حمالين يرتدون المعاطف البيضاء . ومع هذا ، فقد كنا
 متأكدين ان سام يبحث عنا . وفجأة قال بون : يا للشيطان ،
 انه في عربة التدخين . وانطلق يركض .
 عند ذاك رأيناهم . كان السيد كالدريل على الدرج يساعده
 الأنسة ريبا على النزول ، ومعها امرأة تتبعهما . ولم تنزل من
 عربة التدخين بل من العربة التي يسافر فيها الزوج . واقتربت
 المرأتان ووقفنا على رصيف المحطة قرب الحقائق . كانت

الآنسة ريبا جميلة أنيقة اللباس ، وبقرها تقف ميني ، كأنها الموت . وقالت الآنسة ريبا : حصلت لنا متاعب ، أين الفندق؟ فذهبنا الى الفندق ، وهناك في ضوء الردهة استطعنا ان نرى وجهها . لم يكن يشبه الموت - فالموت هاديء مسالم ولم يكن في وجهها ما يوحي بأي هدوء او سلام . وجاء كاتب الفندق فقالت الآنسة ريبا : أنا السيدة بنفورد ، هل وصلتك برقيتي التي طلبت فيها اضافة مرير غرفتي لخادمتي ؟ فأجابها : نعم ، يا سيدة بنفورد . عندنا جناح خاص بالخدم مع غرفة طعام خاصة بهم . فقالت : أبقها لغيرنا . قلت أريد سريراً اضافياً في غرفتي . أريدها ان تكون معي . سنتظر في الصالة الى ان تهبيء ذلك . أين هي ؟

كانت قد عرفت موقع صالة السيدات فذهبت وتبعناها . وقالت الآنسة ريبا : أين هو ؟ فأجابت افربي : من ؟ . وفجأة عرفت من هو . وبعد لحظة اخرى كنت سأعرف السبب ، ولكن لم يكن أمامي وقت . وطلبت الآنسة ريبا من ميني ان تجلس ، لكنها لم تتحرك . فقالت لها : حسناً اخبريهم . وهنا ابتسمت ميني أمامنا . كانت ابتسامة شاحبة باهتة - مجرد فتحة فم عصبية شرسة . وبدأ فيها مثل جرح أسود أطلت منه اسنان بيضاء جميلة ، اصطففت بانتظام حول الفتحة السوداء حيث كان السن الذهبي . آنذاك عرفت لماذا هرب اوتيس من بارشم سيراً على قدميه . وقالت ميني :
 « انه هو ! اعرف انه هو ! اخذها عندما كنت نائمة ! »

فأجاب بون : « بحق نيران الجحيم ، هل يمكن ان يأخذ احد سناً من فمك ولا تشعرين به ؟ » فقالت الأنسة ريبا : « عليك اللعنة ، اسمع . اوصت ميني على صنع تلك السن بشكل يمكنها من نزعها ووضعها . فاشتغلت اعمالاً إضافية ووفرت - كم سنة يا ميني ؟ ثلاث اليس كذلك ؟ - الى ان تجمع لديها ما يكفي لخلع سنها الأصلية والحصول على تلك السن اللعينة . أوه طبعاً ، حاولت ان اثنيها عن ذلك ، عن افساد هذه الاسنان الطبيعية الرائعة التي يتمنى أي شخص ان يدفع ألف دولار مقابل الحصول على مثلها ، هذا فضلاً عما دفعته زيادة » ليصبح بإمكانها نزع السن عندما تأكل ... » وهنا صاح بون قائلاً : « تنزعها عندما تأكل ؟ بحق الشيطان لاي شيء توفرها ؟ » فقالت ميني : « منذ زمن طويل وانا أتمنى الحصول على تلك السن . وقد اشتغلت ووفرت حتى حصلت عليها . ولم ارد أن يفسدها شيء كالطعام ! » ثم اوضحت الأنسة ريبا انها لم تكن تبعد السن عنها ، وانها كانت تضعها على طرف الصحن امامها وهي تأكل ، وانها لم تنسها قط . وأكدت ميني أنها أعادتها الى فمي بعد ان تناولت طعامها للمرة الأخيرة . انما كانت متعبة ، منهوكة القوى . وهنا تولت الأنسة ريبا شرح ما جرى ليلة سرقت السن « فقالت : « أظني كنت ثمة قليلاً عندما أنيتم ليلة البارحة . ولم اشفَ جيداً واتوقف عن الشراب حتى الفجر . فطلبت من ميني ان تشرب جرعة من الجن وتذهب لترى ان كان الباب

الامامي مقفلا ، ثم تذهب الى فراشها . وأيقظت جاساكي
 وطلبت منها أن تبقى الابواب مقفلة وان لا تستقبل احداً قبل
 السادسة من هذا المساء. لذلك عادت ميني الى فراشها في غرفة
 المستودع . وفي البداية حسبت انها نسيت ان تقفل بابها .
 وهنا قاطعتها ميني لتؤكد أنها أقفلته لأنها تعرف ان البيرة
 فيه ، وقد دأبت على قفله منذ جاء اوتيس أول مرة . وقالت
 الانسة ريبا متابعة كلامها :

« وهكذا كانت حالها . منهكة وغارقة في نوم عميق ،
 بعد ان اقفلت الباب ، ولم يخطر لها شيء حتى ...، وهنأ
 تولت ميني الكلام فقالت : »

« ... حتى استيقظت . كنت ما ازال مرهقة وتعبة ،
 فلم اغادر السرير . ولم افطن لشيء . انما شعرت بشيء غريب
 في فمي ، فحسبتها قطعة من بقايا الطعام ، ولم اعرف الحقيقة
 حتى ذهبت الى المرأة ... انه هو الذي فعل هذا . كان
 يضايقني كل يوم سائلا : كم يكلف ، ولماذا لا أبيع ، وكم يدفعون
 لي اذا عرضته للبيع ، وأين يمكن أن أبيع ، فعلقت
 الانسة ريبا قائلة :

– « طبعاً . لهذا صرخ مثل قطة متوحشة هذا الصباح
 عندما اخبرته أنه لن يعود الى اركنساس ، بل سيأتي معك
 الى بارشم . ولهذا هرب عندما سمع صفير القطار . أين هو
 الآن ؟ سأستعيد سن ميني . ، فاجابت اقربي :

« نعرف ابن اختفى من العربية حوالى الخامسة والنصف
وحسبنا هنا ، اذ ليس لديه مكان آخر يذهب اليه . لكننا
لم نعثر عليه . »

« لم تفتشوا جيداً . فهو ليس من النوع الذي يحضر اذا
صفرت له . يجب خنقه بالدخان كي يخرج مثل الجرد
أو الأفعى . »

وجاء مدير الفندق واخبر الانسة ريبا أن غرفتها
جاهزة ، فنهضت وقالت انها ستذهب لتؤمن نوم ميني وتبقى
معها حتى تنام ثم تعود لتناول العشاء . وخرجت بصحبة
ميني .

كنا ما نزال واقفين ، إذ لم يجلس احد منا . وكانت
إفربي واقفة هناك بهدوء . كانت صبوية ضخمة تناسبها
الرصانة ، وكذلك الحزن . ربما لم يكن الحزن هو الذي
استولى عليها ، آنذاك ، بقدر ما كان الشعور بالعار . وبعد
لحظة قالت :

« لم تتح له اية فرصة هناك . لهذا فكرت ... بإحضاره ،
ولو لاسبوع ، خلال الصيف الماضي ، وهذه السنة ايضاً ،
خاصة بعد ان سمعت انكما آتيان . وحالما رأيت اوشيووس
عرفت انني هكذا أردت ان يكون اوتيس . لكنني لم
أعرف كيف أفهمه ذلك ، او اعلمه . لذلك حسبت ان وجوده
مع لوشيووس ، ولو لثلاثة أيام ... ، فتقدم منها بون

وربت على ظهرها مهدئاً . ولم يحاول وضع ذراعه حولها
هذه المرة . وقال :

« بالتأكيد . اردت ان يكون مهذباً . لكن لا بأس .
فعلت كل ما تعرفين . هيا بنا الآن . » وجاء الخادم وأخبر
بون أن سائق عربته في المطبخ . فأبدى بون استغرابه قائلاً
ليس لديه سائق عربية . لكنني عرفت . كان نـد . لذلك
مشيت وتبعاني نحو المطبخ . وهناك كان نـد يقف قرب
الطاهية . وكانت زنجية ضخمة تجفف الاطباق . وسمعناه
يقول لها :

« ان كان المال هو ما يشغل بالك يا حلوتي فأنا
الرجل . . . »

وتوقف لدى رؤيتنا . وكأنما قرأ افكار بون في ومضة ،
فقال : « ارح بالك . انه هناك عند بارشم . ماذا فعل هذه
المرّة ؟ » فلم يفهم بون عما يتكلم نـد . فقلت : انه يعني اوتيس
فقد وجدته نـد . فقال نـد :

« لست انا الذي وجدته . لم اضعه أبداً . كلاب العم بوسم
وجدته . حاصرته خلف قن الدجاج حتى ذهب ليكورغوس
وأتى به . رفض ان يأتي معي ، وقد تصرف وكأنه لا ينوي
الذهاب الى اي مكان . ماذا فعل هذه المرّة ؟ » فأخبرناه ،
فقال : « اذن ، هي ايضاً هنا . هه ، هه ، هه . واذن ، ان
أجده عندما أعود » . فسأله بون عما يعني ، فأجاب :
« أكنت تبقى لو انك مكانه ؟ انه يعرف ان البنت قد

أفاقت وافتقدت السن . ولا بد انه صار يعرف الآنسة ربما جيداً ليدرك انها ان ترتاح حتى تقبض عليه وتنفضه حتى تسقط منه السن . فقال بون :

« حسناً ، وماذا سيفعل بها ؟ »

« لو كانت مع شخص غيره ، لفكر بثلاث طرق للتخلص منها . بيعها او اخفاؤها ، أو اعطاؤها لشخص ما . وهذا ما لن يفعله هو طبعاً . فبيعها يقتضي ذهابه الى ممفيس أو أية مدينة اخرى . وهذا يكلفه نفقات ، ولا رغبة لديه في دفع شيء من جيبه . لذلك فان أفضل مكان يبيعها فيه هو ميدان السباق ، حين يتجمع الناس غداً . وهناك يمكنه ان يبيعها او يراهن بها . لكنه ليس اهلاً للرهان . لان الرهان عملية بطيئة وغير مضمونة . لكن يمكننا ان نبحث عنه هناك . ومن المؤسف انني لم اعرف القصة حين رأيتة . ربما كنت استطعت إخراجها منه . » فقالت افربي :

« هل يمكنك ان تعثر عليه غداً ؟ يجب ان أجده . انه ولد . سأدفع ثمن سن اخرى لميني . يجب ان أجده . سوف ينكر ويقول انه لم يرها مطلقاً . » فقال ند : « طبعاً . هكذا كنت افعل لو انني مكانه . سأحاول . سأاتي باكراً لرؤية لوشيوس . لكن افضل فرصة للعثور عليه هي في الميدان ، قبل بدء السباق ، ثم التفت إلي وقال :

« ما زال الناس يتوافدون على بيت بوسم . ربما ليعرفوا من نظن ، بعد الان ، ان هذا الحصان يقدر ان يركض . »

لذلك سيكون هناك حشد كبير غداً . الوقت متأخر . اذهب
ونم قليلاً . انا أيضاً يجب ان اعود ، وارجع البغلة كي تنام .
الان ؟ تصبحون بخير . ، وخرج .

وذهبنا الى غرفة المائدة ، حيث كان الخادم يقدم العشاء
الى الانسة ريبا . فسألتهما افرابي اذا كانت قد نامت ، فاجابتهما
ه نعم . ذلك الصبي ابن ... عفواً . حسبت انني رأيت كل
شيء في مهنتي ، لكن لم يخطر لي ان احداً سيسرق سناً في
احد بيوتي اكره البناديق الصفار . انهم مثل الافاعي
الصغيرة . يمكنك ان تتدبري امر الافاعي الكبيرة ، لأنك
تكونين حذرة ومستعدة لها . اما الصغيرة فتلسعك من وراء
ظهرك قبل ان تتبينني ذلك . ،

في تلك اللحظة بدت قاعة الطعام غاصة بالناس . على
الرغم من اتساعها ، كما يحصل دائماً عندما يلتقي بون وبطش
داخل اربعة جدران . لأن كل شيء يتضخم ويتضاعف ولا
تبقى هناك اية فسحة . كان بطش قد رجع الى الطبيب ،
او الى اي مكان آخر يقدم كأساً مجانية لمن يحمل شارة
الشرطة . ونهضت افرابي مسرعة ، ودارت حول المائدة ،
وجلست على كرسي قرب الانسة ريبا . وكان بطش ينظر
اليها ، وكنت انا ، هذه المرة ، قد مللت من اهمية بون
واعطيت افرابي المكان الأول . ولم يكن بون يحمل غير
عبء واحد هو بطش ، بينما كانت افرابي تواجه عبثين :
بون وبطش معاً . وقال بطش :

« هل سيأتي سكان شارع كاتالبا كلهم الى موسم ؟ »
 فحسبته صديقاً للآنسة ريبا ، او ان لها علاقات
 عملية معه . لكنه لم يذكر اسمها . ومع انني كنت في الحادية
 عشرة من عمري ، فقد كنت اعرف آنذاك ان مثال بطش
 لا يذكرون أحداً إلا عندما يحتاجون اليه . ولم يكن ما
 يحتاج اليه سوى امرأة اخرى ، بصرف النظر عن تكون ،
 شرط ان تكون فتية الى حد ما ، ومقبولة . ام تراه لم يكن
 يحتاج اليها : انما وجدها صدفة ، شأن الأسد الذي يكون
 في طريقه الى مقاتلة اسد آخر في نزاع حول غزال . ومع ان
 الأسد يكون واثقاً من فوزه على غريمه ، يكون مجنوناً إن لم
 يرم في طريق الغريم بغزال آخر يكون قد لقيه في طريقه ،
 فيصرفه عن طريقته الاصلية . وهكذا كان . إلا ان الآنسة
 ريبا لم تكن غزالا ، بل اسد . وقال بطش : « الصبي
 الحلو يستعمل عقله لماذا نتطاحن على قطعة لحم ، اذا كان
 هنالك قطعة اخرى تثلها في التفاصيل ، ما عدا فارقاً
 بسيطاً في اللون ؟ » فقالت الآنسة ريبا لافربي :
 « من هذا ، اهو صديقك ؟ » فاجابت افربي : « كلا ،
 ارجوك . » فقال بون : « لم يعد لها اصدقاء . لم تعد تريدش .
 لقد تركت هذه المهنة . وحالما تنتهي من هذا السباق ، ستذهب
 الى مكان ما وتجد وظيفة غسالة صحون . اسألها ! »
 وكانت الآنسة ريبا تنظر الى افربي ، فقالت هذه :
 « ارجوك . » فسالت الآنسة ريبا بطش عما يريد فأجاب :

« لا شيء . لا شيء مطلقاً . كنا ، انا وهذا الحلو ، على خلاف منذ قليل . لكنك جئت ، وصار كل شيء على ما يرام . » ثم تقدم وأمسك بذراع افرابي وطلب اليها ان ترافقه الى العربة في الخارج . فأمرتني الانسة ريبا بصوت مرتفع ان انادي المدير . وقبل ان اتحرك ، أطل مدير الفندق من الباب فقالت له الانسة ريبا :

« هل هذا الرجل ممثل القانون هنا ؟ » فأجاب : « نعم . كلنا هنا يعرف بطش ، يا سيدة بنفورد . أصدقاؤه في بارشم كثيرون . انه من هاردويك ، إذ ليس عندنا في بارشم شرطي لأن بلدنا لا تستحق شرطياً بعد ! »

لقد اثرت ضخامة بطش وحماسته في نفس المدير قبل ان يدخل الباب ، وكأننا قد أغرقه هذا التأثير فتضاءل وامحى ، كما تتوارى فأرة في السقيفة . وبدت آنذاك عيننا بطش باردتين قاسيتين . وقال للمدير :

« ربما كان هذا ما ينقصكم هنا ربما لهذا السبب لا تتقدمون . انكم تحتاجون الى قليل من القانون » . فقالت الانسة ريبا :
« تعني ان باستطاعه اي رجل ان يدخل من الشارع ويحرق اية امرأة تحلو له من نزيلات الفندق ، ويأخذها الى أقرب سرير ، كأنك تدير بيتاً للقطط ؟ » فقال بطش :
« من الذي يحرق والى اين ؟ وبماذا ؟ بدولارين ؟ » فنهضت الانسة ريبا ، وقالت لافرابي :

« هيا ، يوجد قطار الى ممفيس ، الليلة . أعرف صاحب

هذه المزبلة . واظنني سأذهب لمقابلته غداً . . . » فقال مدير
الفندق مقاطعاً :

« أو ، بطش . انتظري ، يا سيده بنفورد . . . » فقال
له بطش :

« اذهب الى الباب الأمامي . قد يأتي الآن نزلاء أثرياء
ولا يجدون من يسجل لهم أسماءهم . نحن هنا أصدقاء . »
فذهب المدير ، واقترب بطش من إفربي ثانية وأمسك بذراعها
قائلاً : « الآن وقد سويت المسألة . . . » فقاطعته الأنسة
ربيبا قائلة : « هكذا اذن ، تعال معي الى الباب الأمامي ، أو
الى أي مكان منعزل . لدي ما أقوله لك . » واستفهم بطش
عن الموضوع الذي ستكلمه فيه ، لكنها لم تجب ، بل سارت
نحو الباب ، فقال : « هل قلت الى مكان منعزل ؟ انني على
استعداد للاعتناء بأية حسناء في مكان منعزل . » ثم خرجا ،
وغابا خلف باب صالة السيدات ، حوالي دقيقة أو اكثر بقليل ،
الى أن عادت الأنسة ريببا ، كما ذهبت ، وهي تسير بهدوء .
ثم سمعنا بطش يقول : « هكذا اذن . سوف نرى . »
وتابعت الأنسة ريببا خطواتها الثابتة الى حيث كنا ننتظر .
ووقفت تراقب بطش وهو ينصرف . ثم سألتها إفربي قائلة :
« هل انتهينا منه ؟ » فأجابت بالإيجاب وقالت لبون :
« هذا يسري عليك أيضاً . » ونظرت الي . وقال بون :
« بحق الشيطان ، ماذا فعلت له ؟ » فأجابت وهي تنظر الي :
« لا شيء . حسبت انني عرفت مشكلات بيوت الققط

كلها ، حتى واجهت منها مشكلة الأرواد ا ، ثم قالت لافربي :
« أنت أحضرت ولداً يسرق الأسنان المتحركة ، ويشرب في
الحقواء بيرة بما يساوي اربعة عشر دولاراً . وكان لم يكفنا
هذا ، فأحضر لنا بون هوجانبك ولداً آخر يدعو بناتنا الى
الحشمة والفقير . أنا ذاهبة للنوم وانت . . . » فقال بون :

« انتظري . ماذا قلت له ؟ »

« انتم ، سكان المدن الكبرى ، كجفرسون ومفيس ، لا
تعرفون الكثير عن القانون . يجب ان تأتوا الى اماكن صغيرة
كهنه . انا اعرف لأنني نشأت في قرية صغيرة . يوجد هنا
مفوض شرطة . يمكن ان يمضي أسبوعاً في جفرسون او
مفيس دون ان تشعروا بوجوده . لكنه هنا ، بين الذين
انتخبوه . لا يكثرث لعمدة المقاطعة او حاكم الولاية ، حتى
ولا لرئيس جمهورية الولايات المتحدة . انهم يتحدثون عن
براءة ذلك الفرعون القديم في حكم المملكة ، وعن شخص آخر
ذكره الكتاب المقدس اسمه قيصر . انما كان عليها ان يزورا
شرطياً من أركنساس او ميسيسيبي او تنيسي ولو مرة . »
فقال إفربي :

« لكن كيف عرفته ، كيف عرفت بوجود شرطي هنا؟ »

« يوجد مثله في كل مكان . ألم أقل انني نشأت في مكان
صغير كهذا ؟ لم اكن بحاجة الى ان اعرفه . كل ما أردته هو
ان اعرف ذلك القط بأنني أعرف بوجود واحد مثله هنا . »

لكن بون ألح قائلاً : « لكن ماذا قلت له ؟ تكلمي .
احب ان اذكر هذا » .

« قلت لك لا شيء . ان كنت لم اتعلم حتى الآن كيف
اتدبر امر هؤلاء الملعونين الذين يحملون شارة الشرطة بيد
ونزواتهم باليد الأخرى ، لكنت ذهبت الى ملجأ الفقراء منذ
سنوات . قلت له انني اذا رأيت وجهه ثانية أرسلت مدير
الفندق ليوقظ مفوض الشرطة ويخبره ان احد رجال عمدة
هارديك قد سجل اثنتين من مومسات ممفيس في فندق بارشم .
أنا ذاهبة للنوم ، والافضل ان تناموا أنتم ايضاً . تعالي
يا كوري » . فذهبتا . وذهب بون ايضاً . ولعله تبع بطش
الى الباب الأمامي ليتأكد من ذهاب العربية . وفجأة اندفعت
إفربي نحوي وقالت : « ألم تحضر غير هذه الملابس ؟ انها لم
تغيرها منذ غادرت البيت . هات لاغسلها لك » . فقلت :
« ليس لدي ما ألبسه . » فقال : « لا بأس . يمكنك ان
تجلس في الفراش . ستجدها جاهزة حالما تستيقظ . هاتها . »
وهكذا خلعت ملابسني وجواربي ، وجوارب السبق
وكل شيء ، ثم دخلت ورميتها لها من شق الباب وتمنيت لها
ليلة سعيدة ، ودخلت في الفراش . وبعد قليل ، دخل بون
وكنت نصف نائم ، وسألني ماذا فعلت بشيبي ، فاجبته ان
افربي أخذتها لتغسلها . وكان قد خلع بنطالونه وحذاءه
وذهب ليطفىء المصباح . ولكنه توقف لدى سماع جوابي
وسألني : « ماذا قلت ؟ » ، وإذاك كنت قد صحوت . ولكن

الوقت كان قد فات . وبقيت متمدداً مغمض العينين دون حركة . وقال ثانية :

« أي اسم ذكرت ؟ »

« الآنسة كوري . »

« قلت شيئاً آخر . » وشعرت بنظراته علي : « دعوتها

إفريقي » وشعرت بوقع نظراته علي : « هل هذا اسمها ؟ »

وشعرت بوقع نظراته علي : « إذن أخبرتك عن اسمها

الحقيقي . » ومن خلال جفني المغمضين شعرت بالعمسة تسود

الغرفة وأزيز السرير عندما استلقى عليه بثقله . وقال :

« تصبح علي خير . » فأجبت : « وانت بخير ! »

الفصل العاشر

ثم كان صباح اليوم التالي : يوم سباق الفعلي الاول (فاذا ربحت في السباق ، أصلحت ما ارتكب بون وند - ونجوت ؛ فلا أعود طفلاً ، بل أصبح نداءً لها - أصبح حراً في العودة الى البيت ، ويستطيعان العودة هما أيضاً) . ذلك السباق لذي جرننا اليه هربنا وآلاعيبنا وسرقة سيارة جدي وقال لي بون :

« إذن ، كشفت لك اسمها الحقيقي ؟ » لقد افلت الأمر مني . كنت نصف نائم عشية البارحة ، فلم أكن بكامل وعيي . لذلك اجبته بالإيجاب ، على الرغم من ان ذلك كان غير حقيقي : لأنها لم تخبرني . بل لم تعرف انني عرفت وانسني ادعوها اقربى منذ ليل الاحد . فقلت لبون :

« يجب أن تعدني بأنك لن تذكر هذا الاسم بصوت مرتفع حتى تذكره هي أولاً . » فقال :

وأعدك . لم أكذب عليك بعد . اعني كذبة مسيئة .
أعني ... حسناً ، أعدك . »

كانت ملابسي كلها : القميص والجوارب والثياب الداخلية
وجوارب الركوب ، مفسولة ومكوية ومطوية بعناية ،
وموضوعة على كرسي قرب بابنا . فناولني اياها بون وقال :
« ما دامت ثيابك كلها نظيفة ، يجب أن تستحم ثانية . »
« يوم السبت جعلتني أغتسل . »
« كنا في الطريق مساء السبت ، ولم نبلغ ميفيس حتى
الأحد . »

« حسناً ، الأحد . »

« واليوم هو الثلاثاء . معاً على حمامك يومان . »
« بل يوم واحد . ليلتان ، ولكن يوم واحد فقط . »
« منذ ذلك الحين وأنت تسافر . صار عليك طبقتان
من الوسخ . »

« اقتربت الساعة السابعة ، تأخرنا عن الفطور . »
« يمكنك ان تستحم أولاً . »
« يجب أن ألبس ثيابي لأتمكن من شكر إفرابي على
غسل ثيابي . »

« استحم أولاً . »

« سأبلل ضماد يدي »

« ارفعها فوق عنقك . »

« لم لا تستحم انت إذن ؟ »

« دعني جانباً . نتكلم الآن عنك » .
وهكذا ذهبت الى الحمام واغتسلت ولبست ثيابي وذهبت
الى غرفة الطعام . كان ندم مصيباً . فعشية البارحة لم تكن
هناك غير مائدة واحدة . وهذا الصباح كان هناك سبعة رجال
كانوا جميعاً غرباء بالنسبة لنا نحن الذين لا نعيش في بارشم (ولم
يكن أحد منهم ، اي ممن يدخنون السيجار ويرتدون الملابس
الداخلية الحريرية . لأننا لم نفتتح موسم الرياضات الشتوية في
منتصف أيار . كان بعضهم يرتدي بزة عمل ، وكانوا جميعاً إلا
واحداً دون ربطات عنق) . وبالإضافة الى الخادم ، رأيت
ظهر خادمة في زي الخدمة الخاص وهي تعبر الباب الى المطبخ
وكان على مائدتنا رجلان يتحدثان الى بون والأنسة ريبا .
لكن اقربني لم تكن هنا . وللحظة ، مرت في خيالي صورة
مرعبة لبطش وهو يترصدها ، ويقبض عليها بالقوة وهي تعبر
الممر باتجاه غرفتنا حاملة الكرمي وعليها ثيابي المغسولة .
ثم فكرت انها اذا كانت قد غسلت لي ثيابي الليلة الماضية ،
فلا بد أنها ظلت حتى ساعة متأخرة من الليل لتغسل ثيابها
أيضا ، وربما ثياب الأنسة ريبا ؛ وانها ما تزال نائمة . هكذا
اتجهت الى المائدة عندما قال احد الرجلين :
« هذا هو الصبي الذي سيتمطيه ؟ يبدو انك اعددتك
لمباراة في الملاكمة » . فوافق بون وهو يدفع صحن لحم الخنزير
نحوي . وقدمت لي الأنسة ريبا البيض وهي تقول :
« جرح يده وهو يأكل البارحة » . فأجاب الرجل :

« ياه ، ياه . على كل حال ، ان حمله هذه المرة اخف ،
فقال بون :

« طبعاً ، إلا إذا أكل السكاكين والشوك والملاعق في غفلة
عنا » .

« ياه ، ياه ، رأيتك يركض العام الماضي ، ويبدو لي أنه
سيحتاج الى اكثر من خفة وزن الفارس . وهنا يأتي دور
السر . هه ؟ »

« طبعاً . حتى لو لم يكن لدينا أي سر يجب ان نتصرف
وكان في الأمر سراً . »

فقال الرجل وهو ينهض : « حظاً سعيداً ، على كل حال . »
وجاءت الخادمة تحمل لي كوب حليب وطبق بسكوت
ساخن . وكانت ميني في ثياب خدمة جديدة . ويبدو أن
الآنسة ريبا أعارقتها للفندق أو أجرتها له . كان وجهها
ما يزال كامداً لم يصفح ، لكنه كان هادئاً . لا بد أنها نامت
واستراحت . واكن لم تصفح بعد . وذهب الغريبان . ثم قالت
الآنسة ريبا دون ان توجه الكلام الى أحد : « كل ما نحتاج
اليه هو حصان مضمون ومليون دولار نراهن بها . »
فقال بون :

« سمعت نند عشية الأحد . أنت الذي صدقته ،
أعني ، أنت التي قررت تصديقه . كان موقفي مختلفاً . بعد
اختفاء تلك السيارة الملعونة لم يبق لنا سوى الحصان . كنت
مضطراً لتصديقه . »

« حسناً ، حسناً » ثم قال لي بون : « كف أنت عن القلق . ذهبت الى المحطة تتفقده لترى ان كانت الكلاب قد ضبطته ثانية في الليل ، وإن كان ند قد اوصله الى القطار . فسألت :

« هل وجدته ند ؟ »

« لا . ند في المطبخ الآن . يمكنك أن تسأله . الأفضل أن تظل قلقاً . لقد خلصتك الأنسة ريبا من صاحب الشارة ، ولكن الآخر - ما اسمه ؟ كالدويل ؟ جاء في قطار الصباح » فسألت الانسة ريبا .

« عمّ تتكلم الان ؟ » فأجاب :

« لا شيء . ليس لدي ما أتكلم عنه . لقد انتهى دوري . لوشيوس هو الذي يهتم الان بالمنافسين من أصحاب الشارات والبزات الرسمية . »

لكنني كنت قد نهضت لانني عرفت أين أجدها . فسألتنى الانسة ريبا :

« أهذا هو فطورك ؟ » فقال بون : « دعيه وشأنه . إنه عاشق ، »

وعبرت الردهة باتجاه صالة السيدات . كانت جالسة هناك تبكي . كانت وحدها للمرة الثالثة . بل الرابعة . لم يطلب احد اليها المجيء ، بل جاءت من تلقاء نفسها ، لذلك يمكنها ان تجلس حيث تشاء . مع ذلك كانت تبكي للمرة الثانية منذ جاءت الى بارشم . اعني انها وإن كانت تحتزن فيضاً غزيراً من

الدموع ، فان اوتيس لا يستحق ان تضيع عليه قطرة منها .
وقلت لها :

« انه بخير . سيجده ند . شكراً على غسلك ثيابي . اين السيد سام ؟ حسبت انه قادم في ذلك القطار » .
« اضطر للعودة الى ممفيس ليخلع البزة . لا يمكنه حضور سباق خيل وهو يرتديها . سيعود في قطار الظهر . لا اعرف اين منديلي » .

فوجدته لها . وقلت : « اذهبي واغسلي وجهك . عندما يجده ند سيأخذ منه السن . » فقالت « لا أبكي على السن . سأشترى لميني سناً غيرها . أبكي ... لانه ليس منه أمل . انه ... هل وعدت أمك أيضاً بان لا تسرق؟ »
« لا حاجة لمثل هذا الوعد . الانسان لا يأخذ ما ليس له . »

« لكن ، هل كنت تعدها لو سألتك ذلك؟ »
« ما كانت لتسألني . لا يأخذ الانسان ما ليس ملكه . »
« صحيح . لن أبقى في ممفيس . كلمت سام في المحطة هذا الصباح وقد أعجبتة الفكرة . يقدر أن يجدي عملاً في تشاتانوغا أو غيرها . لكنك ستبقى في جفرسون ، لذلك قد أرسل اليك بطاقة بريدية وأعطيك عنواني كي ... »
« سأكتب لك . قومي .. ما زالوا على مائدة الفطور . »
« هناك أشياء لا تعرفها عني . ولا يمكن ان تحزرها . »
« بلى ، أعرفها . اسمك افرابي كورنتيا . منذ يومين أو

ثلاثة وأنا أدعوك هكذا . أوتيس اخبرني . ولن أخبر أحداً .
لكنتي لا أفهم السبب ! »

« السبب انه اسم قروي قديم . هل يمكنك أن تتصور
أن يأتي أحداً بنسيون ريبا ويقول ارسلني لي افربي كورنتيا؟
كانوا سيخرجون كانوا سيموتون من الضحك . لذلك فكرت
أن أبدأ باسم إيفون أو بيبي أو كن . لكن ريبا قالت لا بأس
باسم كوري . »

« سخافة . »

« أتعني انه لا بأس به ؟ الفظه ! « فلفظته وهي تصغي
اليّ . ثم ظلت مصغية وكأنها تنتظر رجوع صداها . ثم قالت :
« هذا سيكون منذ الآن . »

« اذن تعالي وتناولي فطورك . ند ينتظرنني ويجب
أن اذهب . »

لكن بون وصل قبل ان نتحرك وقال لي : في الخارج
أناس كثيرون . ربما كان يجب أن لا أخبر ذلك الرجل بأنك
ستقود الحصان في السباق . ربما كان يجب ان لا أدعك
تغادر جفرسون . »

وكان هناك باب صغير خلف الستار في مؤخرة الغرفة .
فأخرجني منه . وعبرنا ممراً آخر حتى وصلنا الى المطبخ .
كانت الطاهية تقف قرب حوض الغسيل ثانية ، ونسدي يني
فطوره ، لكنه كان يتكلم قائلاً : « عندما أعد امرأة ، لا

يكون وعدي كلاماً فارغاً ... » ثم توقف لدى رؤيتنا ونهض على الفور وقال لي :

« هل انت مستعد ؟ لقد حان وقت ذهابي أنا وانت الى الحلبة . يوجد هنا اناكس كثيرون . إذا كانوا جميعاً يملكون المال كي يراهنوا ، وإذا راهنوا على الحصان الخاسر ، وكنا نعرف الحصان الرابع ونملك المال للمراهنة عليه ، فلن نأخذ السيارة وحدها الى جفرسون ، بل سنأخذ معها بوسم كلها . وربما هدأ ذلك غضب الرئيس بريست . فهو لم يملك بلدة من قبل ، وقد يروق له ذلك . » فقال بون :

– « انتظر . الا تهيء خطة ما ؟ فأجاب نند :

– « الوحيد الذي يحتاج الى خطة هو الحصان «لايتنينغ» . والخطة الوحيدة التي يحتاج اليها هي ان يركض في المقدمة ولا يتوقف حتى بأمره شخص ما بذلك . لكنني أعرف ماذا تعني . سنجعله يركض في حلبة الكولونيل لنسكويب . سيبدأ الشوط الأول في الساعة الثانية . ان المكان يبعد اربعة اميال من هنا . الأفضل ان تبكروا في الذهاب . اذهبوا حالما ينزل السيد سام من القطار ، لأن عليكما ان تهتما بأمر المراهنات ، وان تحصلا على بعض النقود للمراهنة . »

وفي تلك اللحظة وصلت ميني تحمل صينية فيها اطباق ملوثة . كانت وجهها كقناع مأساوي هادئ متعطر ، لا يتعزى . وقال لها نند :

« هيا ابتسمي ثانية لأرى أين سأضع السن حين استعيدتها

لك الليلة !» فقالت الطاهية :

« لا تجيبي يا بنية . لا تقبضي هذه الاقوال المعسولة ، قد يستطيع صرفها في ميسيسيبي ، لكنها لا تشتري له شيئاً في قنسي . أو على الاقل في هذا المطبخ.» وقبل ان يخرج نند قال له يون :

« انتظر .»

« انتظر أنت حتى يأتي السيد سام . وبالمناسبة ، بينما نكون أنا ولوشيوس مهتمين بالفوز في السباق ، قد تستطيعان العثور على ذلك المسخ وأخذ السن .»

كانت معه عربة العم بارشم هذه المرة . كان على حقيق . لقد تغيرت حال البلدة عن اليوم السابق . ليس لأن عدد الناس زاد عن اليوم السابق ، بل لان حماساً جديداً ساد الجو واللمرة الأولى تحققت انني سأمتطي حصان سباق، حتى لقد شعرت ان طعم لعابي تغير وصار لاذعاً . وقلت لند: « حسبتك قلت الليلة الماضية ان اوتيس يكون قد ذهب قبل ان تعود من المدينة » فقال : « كان سيذهب . لكن ما كان ليبتعد . ليس لديه مكان يذهب اليه . لقد نبحت الكلاب جهة المستودع مرتين اثناء الليل . فحتمى الكلاب شعرت اننا يشعر الناس، بنفور سريع منه . والارجح انه ذهب لي طلب طعام الفطور ، حالما خرجت .»

« لكن انفرض انه باع السن قبل ان نقبض عليه؟»

« لقد قدبرت هذا الامر . فهو لن يبيعه . . . لن نجد من

يشتره . اذا لم يظهر وقت الفطور ، فسيأخذ ليكورغوس الكلاب ويحاصره . وسيخبره انني لما عدت من بارشم البارحة قلت ان رجلاً في ممفيس عرض علي ميني ثمانية وعشرين دولاراً نقداً ثمناً للسن ، وسيصدق ذلك . فلو انني اقول مئة دولار او خمسين لما صدق . لكنه سيصدق ان مبلغاً كهذا عرض عليها . ربما لأنه يحسبه مجحفاً . ولذلك فانه عندما سيحاول بيعها في حلبة السباق ، عصر اليوم ، لن يجد من يدفع له مثل هذا المبلغ . وهكذا فلا يبقى امامه غير الانتظار حتى يستطيع الوصول الى ممفيس . لذلك اصرف اهتمامك عن السن وركزه على السباق . او على الشوطين الاخيرين ، لاننا سنخسر الاول . فلا تهتم لذلك...»

« ماذا ؟ ولم ؟ »

« ولم لا ؟ كل ما نحتاج اليه هو الفوز في شوطين . »

« لكن لماذا نخسر الاول ؟ لماذا لا نفوز فيه ؟ »

« مشكلة هذا السباق انه معقد كثيراً ، يحضره اشخاص

كثيرون ويتألف من اشواط كثيرة . لو كانت شوطاً واحداً

فقط يجري في مكان لا يوجد فيه غيرنا ، انا وانت ولايتينغ

والحصان الآخر وفارسه ، لكننا بألف خير . فقد اكتشفنا

البارحة اننا نستطيع ان نجعل لايتنينغ يركض مرة واحدة .

لكن عليه الآن ان يركض ثلاث مرات . »

« لكنك كنت تجعل ذلك البغل يركض في كل مرة . »

« هذا الحصان ليس ذلك البغل . بل انه لا يملك من تلك

الحاسة قدر ما تملك بعض الخيول . هكذا باستطاعتك ان ترى مشكلتنا . انني استطيع ان اجعله يركض مرة ، وربما مرتين لا اكثر . نحن نأمل وحسب ، لذلك لا يمكننا ان نجازف بالشوط الذي اؤكد اننا سنربحه حتى يحين وقته . فاذا كنا سنربح شوطين ونخسر شوطاً ، علينا ، اذن ، ان نجعل شوط الخسارة في البداية ، بحيث يمكن ان يتعلم الحصان منه شيئاً يفيدده للشوطين التاليين .

كف الآن عن التفكير والاهتمام ، لا اعني التفكير في السباق ، بل في الفوز . فكر فيما علمك اياه لانينينغ البارحة عن كيفية إمتطائه . هذا كل ما عليك . وسأهتم بالباقي . هل احضرت جورب الركوب ؟

فقلت نعم . لكننا لم نكن ذاهبين الى بيت العم بارشم ، بل لم نكن نسير في ذلك الاتجاه . وبعد لحظة قال ند : « حصلنا على اسطبل خاص بهذا السباق . انه يخص احد اعضاء كنيسة بوسم ، وهو قريب من الحلبة ، بحيث يمكننا ان ننتظر دون ان يعرف بوجودنا احد فيزعجنا لقد اخذ ليكورغوس والعم بوسم الحصان الى هناك بعد الفطور مباشرة . » فقلت : « هل هناك حلبة رسمية ؟ »

كان لا بد من وجود حلبة رسمية ، ولكن فاتني ان افكر في ذلك ولو انني فكرت فيه ، لظننت ان الشخص الذي سيمتطي الحصان الآخر ، كان يحضره الى مرعي العم بارشم ، وهناك يجري السباق . فاجاب ند :

«نعم ، حلبة رسمية . انها تشبه الحلبات الكبرى ، لكن مداها نصف ميل فقط ، وليس فيها امكنة لبيع الوسكي والبيرة . انها في مرعى الكولونيل لنسكومب الذي يملك الحصان الآخر . لقد ذهبنا ، انا وليكورغوس ، عشية البارحة وتفقدناها . لكنني لم أر الحصان بعد . انما سيتاح لنا ان نراه اليوم وعلينا ان نعد خطة كي نجعل الحصان الآخر خلف لايتنينغ ، في النصف الاخير من كل شوط . لذلك يجب ان اكلم الصبي الذي سيمتطيه . فهو زنجي ، وليكورغوس يعرفه . اني سأكله بطريقة هينة ، فلا يكتشف ما وراء كلامي حتى يحصل ما سيحصل . ، فقلت : « لكن ، كيف ؟ فقال : « دعنا نصل اولاً . »

ومضينا . كان المكان ، بالنسبة لي ، غريباً . كنا نجتاز مزرعة الكولونيل لنسكومب . وعندما صرنا في وسطها انعطفنا وسلكنا طريقاً فرعية تتر في غيضة ، ثم بلغنا الاسطبل . كان المكان هناك منعزلاً ، آمناً ، وسرياً اذا شئنا كذلك . وكان لايتنينغ واقفاً وقد امسك ليكورغوس بزمامه ، بينما كان العم بارشم في حلته البيضاء والسوداء يجلس تحت شجرة . كانوا ينتظروننا . وفي اللحظة التالية أدركت الخطأ . اذ كانوا ينتظرونني انا فقط . ووجدتني اقف قرب لايتنينغ على بعد ألف قدم من الحلبة عندما رأيت ان مصير الحصان ليس الوحيد الذي يرتبط بمصيري الآن ، بل ان مصيري ومصير الحصان يعينان مصير بون وند . فعلينا ان يتوقف ذهابها

الى البيت او عدمه - وهي حالة غامضة معقدة، كان يجب ان لا تلقى على عاتق طفل في الحادية عشرة . وقال ند لكيورغوس :

«هل أبلغته ما قلته لك؟» فأجاب ليكورغوس بالاجاب، ثم قال للعم بارشم :

«أخبرني ثانية عما حصل في سباق الشتاء الماضي . قلت انه لم يحصل شيء . كيف كان ذلك؟» فأجاب العم بارشم :

«آه» كان السباق يتألف من ثلاثة أشواط ، كما هي الحال الآن . ولكن الحصانين لم يركضا الا شوطين . اذ لم تكن هناك حاجة للثالث . ففي الشوط الأول بدأ حصانك يركض بسرعة وفي الشوط الثاني بدأ متأخراً . فلعل ضربة السوط التي عاجلته بها في المرة الأولى كانت سريعة بينما أبطأت في المرة الثانية . على اية حال ، فقد قفز لدى الضربة الأولى الى المقدمة وتجاوز الحصان الآخر بمسافة كبيرة ، وظل كذلك طوال الدورة الأولى ، حتى بعد ان تلاشى اثر الضربة . وعندما اقتربا من خط الوصول ، ورأى حصانك الحليبة فارغة أمامه ، وقال في نفسه انه غريب ، وان هذا ليس لائقاً ، تراجع مسافة كافية كي يجعل رأسه بموازاة ركبة الفارس الذي يمتطي حصان الكولونيل لنسكومب . وظل كذلك حتى أمر بالتوقف . وفي الشوط الثاني بدأ يركض ، وكان الشوط الاول لم ينته . وظل رأسه يوازي ركبة فارس الحصان

الآخر . وعندما تلقى الضربة الأخيرة وقفز ، لم تفد لانه رأى أمامه الحلبة الفارغة ثانية . ، فقال ليكورغوس :
« ربما لم تأت الضربة متأخرة حتى تخيف ماك وبلي . »
فسأل ند :

« كم كانت سخيفة ؟ » فقال ليكورغوس :
« مقداراً كافياً . » حينئذ قال لنا ند أن نذهب الى الاسطبل الآخر ونلقي نظرة على ذلك الحصان . وأوصاني بأن أترك الكلام لليكورغوس ، وان لا أتلفت الى الورااء اثناء العودة . ولم اسأله عن السبب . ولو سألته لما اخبرني . وذهبتنا . لم يكن الاسطبل الآخر بعيداً . واجتازنا الحلبة حتى بلغنا الاسطبل . ولم نر احداً في طريقنا . لا ادري ماذا كنت أتوقع : ربما كنت اتوقع رؤية حشد آخر من الرجال بملابس العمل ودون ربطات عنق ، يمشون التبغ مثل الذين رأيتهم في غرفة الطعام وقت الفطور . ربما كانت الوقت مبكراً ، وربما كان هذا ما جعل ند يرسلنا في هذا الوقت . وهناك رأينا زنجياً ينظف الاسطبل ، وغلاماً ملوناً يصلح ان يكون توام لليكورغوس في الحجم واللون والعمر ، يجلس على كومة من العشب اليابس ويستند الى الجدار . وقال ليكورغوس :

« مرحباً يا بني . هل تبحث عن حصان ؟ » فأجابته قائلاً :

« أبحث عن اثنين . ظننت اني قد اجد الثاني هنا . »

« هل تعني ان السيد فان توش لم يأت بعد ؟ »
 « لن يأتي ابداً . هناك اشخاص آخرون سينزلون كوبرمين
 الى السباق . رجل ابيض اسمه هوجانبيك . وسيقوده هذا
 الصبي الابيض . » ثم قال لي : « هذا ماك ويلي . »
 ونظر إلي ماك ويلي لحظة ، ثم ذهب الى باب مكتب
 الاسطبل وفتحه وقال شيئاً ما وعاد ، فخرج في اثره رجل
 ابيض . واخبرني ليكورغوس هامساً انه مريض الخيول وان
 اسمه والتر . وقال الرجل الابيض :
 « صباح الخير يا ليكورغوس . اين تخبثون ذلك الحصان ؟
 ام انكم تعدون لنا خدعة ؟ » فأجاب ليكورغوس :
 « كلا ، يا سيدي . اظنه لم يغادر البلدة بعد . حسبناهم
 ارسلوه الى هنا ، فجننا لنراه . »
 « هل مشيتما طوال الطريق من بوسم ؟ »
 « كلا ، يا سيدي . امتطينا بغلين . »
 « أين ربطتهما ؟ لا ارى لهما اثراً . ام لعلكما صبغتموهما
 بصبغة إخفاء ، كما فعلنا بالحصان عندما اخرجتماه من عربة
 القطار ، صباح البارحة ! »
 « كلا ياسيدي . امتطيناهما حتى المرعى ثم أفلتناهما ،
 وقطعنا هذه المسافة سيراً على الاقدام . »
 « حسناً ، ما دمنا قد جنمنا لرؤية حصان ، فلن نخيبكما .
 أخرجته يا ماك ويلي كي يلقياً عليه نظرة . » فقال لنا
 ماك ويلي :

« انظر الى وجهه على سبيل التغيير . الذين قادوا
كوبرمين لم يروا غير مؤخرة ايكرون طوال الشتاء ، ولم ير
أحدهم وجهه . هكذا يبدأ هذا الصبي بمعرفة هيئته من
الامام ، ما اسمك يا بني ؟ »

فأجبتة فسألني : « ألسنت من هنا ؟ » فقلت :
« كلا سيدي . من جفرسون في ميسيسيبي » . وأضاف
ليكورغوس قائلاً : « انه مسافر مع السيد هوجانبك الذي
سينزل كوبرمين في السباق . » فسأل السيد والتر : « وهل
اشتراه السيد هوجانبك ؟ »

واخرج ماك ويلي الحصان . ورفع الغطاء عنه هو والسيد
والتر . كان اسود اللون اكبر من لاتينغ بقليل ، لكنه كان
شديد العصبية ، فكان يحرك اذنيه الى الوراء كلما تكلم احد
بالقرب منه ، ويرفع حافر قائمته الخلفية كأنما يريد ان يرفس
بها ، فكان السيد والتر وماك ويلي يكلمانه بهمس ويراغبانه
باستمرار . وقال السيد والتر لماك ويلي :

« حسناً . اسقه واعدده . » ثم سار وتبعناه . فقال لي :
« لا تدعه يشبط عذيمتك . مهما تكن الحال فليس سوى
سباق خيل . » فقال ليكورغوس .
« صحيح ياسيدي . هذا ما يقولونه . شكراً لسماك لنا
برؤيته . »

وشكرته انا ايضاً . فقال السيد والتر : « الى اللقاء . لا
تدعنا البغال تنتظر . أراكا وقت السباق بعد ظهر اليوم . »

ومشيئا مارين قرب الاسطبلات ، ثم عبرنا الحلبة . وقال ليكورغوس :

«اتذكر ما قاله لنا السيد ماك كاسلن ؟»

« ماك كاسلن ؟ أوه ، نعم . » وهذه المرة ايضاً لم أسأل عما قال . فقد ظننت انني عرفت . أو لعلي لم أرد أن أصدق انني عرفت . اذ لم أرد ان أصدق أنني تقدمت بتلك السرعة وصرت أفهم من التلميح . ولو انني سألتها عما قال لكان في ذلك اعترافاً بانني عرفت . قلت : « ذلك الحصان سيء . »

« انه مذعور . هذا ما قاله السيد ماك كاسلن ليلة

البارحة . »

« ليلة البارحة ؟ حسبكما أنيتما لرؤية الحلبة . »

« وماذا نبغي من رؤية الحلبة ؟ لن تنتقل من مكانها .

انه جاء لرؤية الحصان . »

« في الظلام ؟ أليس لديهم حارس ؟ ألم يكن باب الاسطبل

مقفلاً ، أو اي شيء من هذا القبيل ؟ »

« عندما يقرر السيد ماك كاسلن أن يفعل شيئاً ، فإنه

يفعله . ألم تكتشف هذا ؟ »

ثم مضيئا دون ان نلتفت الى الورااء . وعندما وصلنا

كان نسد يجلس مقرفصاً قرب العم بارشم ، بينما جلس رجل

آخر - زنجي - قريباً منها . لقد عرفته ، اذ كنت قد

رأيتة في مكان ما . وقال ند : « هذا بوبو ، فتأكدت . كان

من نسب ماك كاسلن ايضاً واسمه بوبو بوشام ابن عم لوكاس
 كونيتوس كارودرز ماك كاسلن بوشام ، الذي قالت جدتي انه
 يشبهه في كل شيء ما عدا اللون. كان بوبو يتيماً آخر ، فقد امه
 فتعهدته العمه نيني الى ان صار نداء العالم البعيد أقوى من
 مقارمته ، فذهب الى ممفيس منذ ثلاث سنوات. وقال ند
 ثانية :

« بوبو يعمل عند الرجل الذي كان يملك لاتيننغ . وقد
 جاء ليراه وهو يركض » . فعرفت الشيء الذي كان يزعجني:
 لعل بوبو يعرف مكان السيارة . والحقيقة انها قد تكون عنده
 لكن ذلك كان خطأ ، اذ لو كان الامر كذلك ، لاستطاع
 بون وند أخذها منه . ثم انني لمدركت فجأة انني لا اريد
 ذلك ، إذ كنا نستطيع استرجاع السيارة بمجرد ان نطلبها
 من بوبو ، فماذا نفعل هنا اذن ؟ وفيم كل هذه المتاعب وهذا
 القلق ؟ ولماذا نخشى لاتيننغ ونغير شكله واسمه وننقله في
 منتصف الليل عبر شوارع ممفيس الى المحطة ، ونلجأ الى الوساطة
 والحيلة لننقله في عربة قطار الى بارشم ، هذا فضلاً عما تلا
 ذلك ، من مقاومة بطش ، وسرقة سن ميني ، وغزو بيت
 العم بارشم ، وعدم النوم والحنين الى البيت (وبالنسبة لي)
 عدم تغيير ملابسنا الداخلية ، وكل ذلك الصراع والاحتيايل
 للاشتراك في السباق بحصان ليس ملكنا ، كي نستعيد سيارة
 لم يكن لنا شأن بها في الاصل . فيم كل هذا إن كان كل ما
 علينا ان نفعله لاسترجاع السيارة هو ارسال الصبي الزنجي

لا حضارها ؟ فيم كل هذا لو لم يكن مدار هذا كله الفوز في السباق ؟ فيم كل هذا لو لم نكن أنا ولاتيننغ الحصن الاخير الذي يحمي بون وند من غضب جدي ، إن لم يكن من شرطته ؟ لو كان ند وبون يستطيعان العودة الى جفرسوت (ملجئها الأخير والوحيد) وكان شيئاً لم يكن دون الفوز في السباق او حصوله على الأقل ، لكننا جميعاً مشتركين بلعبة العسكر واللصوص التي يلعبها الأولاد . لكن يحتمل ان يكون بوبو عارفاً بمكان السيارة ، لذلك سألت ند فأجابني :

« أظنني قلت لك ان تكف عن الاهتمام بالسيارة . ألم اعدك بأن أهتم بشأنها عندما يحين الوقت ؛ لديك أشياء كثيرة تشغل بها فكرك : لديك سباق خيل ، ألا يكفي هذا ليشغل فكرك ؟ »

وكان بوبو قد ذهب ، فقال ند لليكورغوس : « هات الزوادة . هذا وقت مناسب للأكل ما دام المكان ما يزال هادئاً . » فأحضر ليكورغوس الطعام الذي كان مغطى بعلاءة نظيفة ووضعه أمام الرجلين . وسألني العم بارشم إن كنت قد تناولت فطوري ، فأجبتة كلا ، حينئذ نصحني بالآأتناول غير كسرة خبز وجرعة ماء . وأضاف ند : « صحيح ، الأفضل أن تمتطي الجواد ومعدتك خاوية . »

وهكذا أعطاني قطعة من خبز الذرة . وجلسنا جميعاً حول العم بارشم والطعام بيننا ، ثم سمعنا وقع خطوة اوخطوتين خلفنا ، وتلا ذلك صوت ماك وبلي يقول :

« مرحباً بالعم بارشم . صباح الخير يا محترم ، . وكان يعني ند . وتقدم وهو ما يزال ينظر الى لايتيننغ ثم قال : « تماماً . هذا هو كوبرمين بعينه . هذان الصبيان أخافا السيد والتر هذا الصباح فحسب أنكم ستزلون في السباق حصاناً آخر . هل انت الذي تتولى ذلك يا محترم ؟ » فقال العم بارشم : « ادعه السيد ماك كاسلن . »

« سمماً وطاعة ، هل أنت الذي تسابق به ، يامستر ماك كاسلن ؟ » فأجاب ند :

« لا ، رجل ابيض اسمه السيد هوجانبك . ونحن الآن بانتظاره . »

« من المؤسف ان ليس لديكم غير كوبرمين كي تسابقوا به ، إذ لكان إيكرون يقوم بسباق حقيقي . » وقال ند : « قلت مثل هذا للسيد هوجانبك . » ثم بلع اللقمة وشرب على مهل ، ومال ويلى يراقبه . وقال ند ثانية : « تفضل شاركننا الطعام . »

« شكراً . أكلت . ربما لهذا تأخر السيد هوجانبك . ربما كان ينتظر كي يحضر حصاناً آخر . »

« لم يبق وقت لذلك . سيضطر للاكتفاء بهذا الآن . المشكلة هي ان الوحيد الذي يقدر ان يسبق هذا الحصان هو الذي يدرك طبيعته الخاصة ، فلا يدعه يركض في المؤخرة . لأن هذا الحصان لا يجب ان يركض في الطبيعة ، فهو يظل متخلفاً حتى يلوح له خط الوصول ويرى هدفاً ما يركض نحوه ،

حينئذ ينطلق بأقصى سرعته . انا شخصياً لم اره يركض من قبل ، لكنني لم اراهن على انه كلما أبطأ الحصان الذي يتقدمه ، ركز هو انتباهه على ألا يحتل الطليعة حيث لا زميل له . وهو يظل كذلك الى ان يرى خط الوصول ويدرك انه في سباق . وكل ما يحتاج اليه راكبه هو ان يدعه هادىء البال لاهيا ، حتى اذا ما لاح خط الوصول . جاء ذلك بعد فوات الأوان . المؤسف ان الذي يعرف هذا هو الفريق الآخر . ، فسأل مالك ويلى :

« من ؟ »

« الشخص الذي سيتمطي الحصان الآخر اليوم . »
 « انه أنا . لا تقل ان العم بارشم وليكورغوس لم يخبراك بهذا . »

« او ان الأمر كذلك ، لما كنت تكلمني . اجلس وكل . أتانا العم بوسم بزاد وافر . »
 « أشكرك . حسناً ، سيسر السيد والتر حين يعرف ان الحصان هو كوبرمين دون غيره . كان يخشى ان يقحم في سباق مع حصان جديد . سأراك في السباق . » قال هذا وانصرف .

وانتظرت دقيقة أخرى وقلت : « لكن لماذا ؟ » فأجاب ند : « لا اعرف . قد لا نحتاج الى ذلك . قلت هذا على سبيل الاحتياط . اتذكر ما قلته لك هذا الصباح عن هذا السباق ؟ ثم ان هذا البلد ليس بلدنا ولا الحلبة حلبتنا ، حتى

ولا الحصان حصاننا ، إلا على سبيل الاعارة . لذلك نحتاج الى احتياطات كثيرة . لكن لماذا لا يأخذونه الى ممفيس أو لوزيفيل أو شيكاغو للاشتراك في سباقات حقيقية بدلاً من بقاءه هنا في مرعى خاص حيث لا يسابق الا الجياد العابرة التي تتخلف عنه ، مثل حصاننا ؟ لقد عرفت السبب عندما رأيته البارحة . فهو حصان ضعيف يهبط من تحتك قبل أن تدرك ذلك إن أنت قدته بسرعة عظيمة ، أكثر من السرعة التي اعتاد عليها . لذلك كان الصبي يحسب ان كل ما عليه هو ان يعتلي ظهره ويوجهه في الاتجاه المناسب . وقد فعل ذلك ففاز مرتين ، وكان سيفعل مثل ذلك هذه المرة ، لولا أننا ادخلنا في رأسه شيئاً آخر فصار فيه شيئان متناقضان لا ينسجم احدهما مع الآخر . لذلك سننتظر ونرى ، وبينما نحن تنتظر ، الأفضل لك ان تذهب وتنام قليلاً خلف هذه الشجيرات . لقد انتشر الخبر الآن وسيبدأ الناس بالهجوم . وهناك لن يزعجك أحد .

ففعلت كما قال : ولم اكن طوال الوقت نائماً لأن الأصوات كانت تصلني ، كما انني لم ابق طوال الوقت مستيقظاً ، لأنني عندما فتحت عيني كان ليكورغوس يقف فوق رأسي . لقد جاء ليخبرني ان الوقت قد حان . فنهضت وذهبت معه . ولم يكن مع لايتيننغ غير ند والعم بارشم . كنت اتوقع ان ارى بون وسام وربما افربي والآنسة ريبا . (لكنني لم اتوقع رؤية بطش . بل لم أفكر فيه ، اذ لعل الآنسة ريبا تخلصت منه

نہائیا ، فذهب الى هاردويك . كنت قد نسيتہ (.
فسالت :

« ألم يأتوا بعد ؟ » فأجاب ند :

« لم يخبرهم احد الى اين يجب ان يأتوا ، ولسنا الآن بحاجة
الى بون هوجانبك ، هيا . »

« ربما كانوا يبحثون عن أوتيس . »

« ربما . هذا مكان مناسب لاصطياده ، سواء وجدوه او لم

يجدوه . »

ومشينا . كان ند والعم بارشم يتقدمان لاتيننغ ، وكان
ليكورغوس سيأتي بالعربة والبغال لو انه وجد فسحة لها .
ذلك ان المرعى المجاور للحلبة كان قد امتلأ بالعربات والدواب
واستطعت ان ارى الناس سوداً وبيضاً ، دون ربطات عنق ،
يرقدون بزات العمل ويمضغون التبغ وقد تجمهروا على طول
الحاجز وحول حظيرة الخيول . كان سباقاً ديمقراطياً . اما
الكولونيل لانسكومب ، البارون الارستقراطي ، فلم يكن
موجوداً . وعلى ما اعلم لم يكن احد يعرف اين هو ، بل لم
يهتم احد بذلك . كان يملك احد الحصانين (ولم اكن بعد قد
عرفت مالك الحصان الذي امتطيه) كما كان يملك الارض التي
سنتسابق عليها والحاجز الابيض الجميل الذي يسورها والحقل
الذي وقفت فيه العربات والدواب ، والسياج والحظيرة . ومع
ذلك لم يكن احد يعرف اين هو ، او يهتم بمعرفة ذلك .
وذهبنا الى الحظيرة . فقد كانت لنا نحن ايضاً واحدة .

كان لدينا كل ما يلزم السباق ما عدا بسطة توضع عليها
المشروبات ، من بيرة ووسكي ...

كانت الهيئة الحاكمة تتألف من عامل التلغراف الليلي في
المحطة ، والسيد ماك ديارميد الذي يدير غرفة الطعام في المحطة
ايضاً والذي اشيعت عنه خرافة تقول انه يقدر ان يقطع
الجامبون الى شرائح رقيقة جداً ، حتى انه استطاع ان يأخذ
عائلته بكاملها في رحلة الى شيكاغو من الارباح التي جناها
من كتلة جامبون واحدة . وكان وكيلنا احد مدربي الكلاب.
ثم رأيت بون وسام يقفان بانتظارنا . وقال بون :

« لم اقدر ان اجده . ألم تره أنت ؟ » فأجاب ند :
« من ؟ » ثم اشار علي بالنزول عن الحصان . كان الحصان الآخر
هناك ايضاً ، وما زال عصبياً أو خائفاً كما قال ليكورغوس
وند . وقال بون : « وذلك الصبي الملعون ! قلت هذا الصباح
سيكون هنا . » ثم التفت الي قائلاً : « ماذا علمك هذا
الحصان البارحة ؟ قدته دورتين حول الحلبة . فماذا علمك ؟
فكر . » ففكرت . ولم أستنتج شيئاً . فقلت : « لا شيء .
كل ما فعلته هو ان احول دون ذهابه إليك مباشرة عندما
رآك . »

« هذا بالضبط ما اريدك ان تفعله في الشوط الاول . ابقه
في وسط الحلبة فقط ، ودعه يركض دون ان تزعجه . لا
تزعجه ابداً . على اية حال سنخسر الشوط الاول وبعده... »
فقاطعه بون :

« نخسره ؟ ماذا تقول ؟ » فقال ند :
« تريد ان تتولى هذا السباق أم ستترك امره لي ؟ »
« حسناً ، حسناً . قلت ان ذلك الصبي اللعين ... »
فقاطعه ند قائلاً : « اذن دعني اغير السؤال : اتريدني
ان اهتم بهذا السباق ام اتركه للبحث عن تلك السن ؟ » فقال
سام : « ها قد اتوا . اعطني قدمك » . ورماني على ظهر
الحصان .
وهكذا لم يعد امامنا وقت كي يعطيني ند تعليمات اخرى .
لكننا لم نكن بحاجة الى ذلك . اذ لم يكن فوزنا في الشوط
الاول متوقفاً علي وعلى لايتينغ ، بل على ند وماك ويـلي .
والحقيقة انني لم اكن في البداية اعرف ماذا يجري ، وذلك
بسبب صغري وقلة خبرتي ، فضلا عن الحالة التي كان الحصان
الآخر يصير اليها تدريجياً . كان المتفق عليه ان يقودنا الخدم
الى جبل الانطلاق ، حيث يفلتون الجياد مع كلمة انطلق .
وهكذا فعلنا . كان لايتينغ يتصرف كعادته عندما يكون
ند قريباً منه كي يشم يده أو معطفه ، وكان ايكرون
يتصرف كعادته عندما يكون احد قرب رأسه ، فكانت
ينطنط ويدفع الخادم هنا وهناك ، لكنه كان يسير باتجاه
الجبل . وكانت البداية متوقعة في أية لحظة ، وقد رأيت
منظم السباق يتنفس ملء صدره كي يصرخ : انطلق ! ولم
اعرف آنذاك ماذا حصل . اذ قال لي ند فجأة « تماسك » ،
وشعرت برأسي وذراعي وكتفي وكل ما في ينخطف . لا

اعرف ما الذي استعمله ، نخرز او مثقب ثلج او مسبار كان في يده . لم اشعر بغير قفزة الحصان . وسمعت صوتاً يصرخ لكنه لم يقل انطلق بل كان يقول : قف اقف ادي ، دي . فتوقفنا ، انا ولايتينغ ، واستطعنا ان نرى سائس ايكرون على ركبتيه حيث قذفه ، بينما كان ايكرون ينطلق بأقصى سرعته ويحتار مرحلة من الدورة الاولى . وكان ماك ويلي يروح ويحيى على ظهره ويلوي عنقه جانباً . لكن لجامه كان قد افلت ، فركض منظم السباق واربعة من المتفرجين ليوقفوه . على ان ماك ويلي كان قد اوقفه . كانت المسألة مسألة اختيار : هل يكمل الدورة ويأتي الى خط الانطلاق ام يعود من حيث اتى ، لانه كان في منتصف المسافة ؟ واختار ماك ويلي (او لعله ايكرون) طريق العودة . وكان نذ يتم عند ركبتي قائلاً : « على اية حال ، لقد تعب اكثر منا اذ ركض نصف ميل . هذه المرة عليك ان تبدأ بنفسك لأن الحكيم سوف ... » وقبل ان يتم كلامه كانوا قد وصلوا . فأبعدوه ، لكنهم لم يجدوا معه شيئاً : لقد افلت رأس لايتينغ قبل ان تعلق الصيحة أمرة بالانطلاق . لذلك تطوع هذه المرة شخص من بين الجمهور ليمسك رأسه . وكان ماك ويلي يتفرس في وايكرون ينطنط تحته ، بينما كان السائس يحاول ارجاعه الى المكان المحدد . وفي هذه اللحظة آل الشرف الى ماك ويلي . أفهمت ما اعني ؟ حتى وان لم تكن اللافضية تعرف شيئاً عن سباق الخيل في الريف ، فلم تكن بحاجة الى ذلك . كل ما

كان يلزمها هو ان تدعمني بشخص مثل سام لامشي تلك
الخطوة البعيدة في الشر بطريقة لاشعورية كصعود الذئب في
الاشجار .

كنا واقفين ننظر الاشارة عندما رأيت حذاء سائس
ايكرون ، فيما كان هو نفسه ينطلق في الحلبة راكضاً . وكنا
انا ولاتيننغ ، ساكنين لا نقوم بحركة . لكن ماك ويلي كان
مسكاً بزمام ليكرون فأوقفه قبل ان يبلغ المنعطف . فأسرعت
اليه فرقة الطوارىء وامسكت به واعادته . وهكذا كانت
النتائج الى جانبنا حتى الآن . لكن كسبنا الأهم كان ماك ويلي
لأنه لم يملكه الغضب وحسب بل الذعر ايضاً ، ثم راح يحدق
فيّ ، وفي عينيه شيء اكثر من الغضب . وكان سائسان يمسان
إيكرون ، فابتعدنا قليلاً ، انا ولاتيننغ ، لنفسح له الطريق ، ثم
علت كلمة انطلق .

وانطلقنا . كان لاتيننغ قوياً ومنذفعاً ، لكن دون هياج .
وكان يتحلى بكل ما نريده من مميزات حصان السباق . غير ان
ذهنه لم يكن قد ادرك بعد انه في سباق . كانت ماك ويلي
يشد إيكرون جانباً فلحقنا به وتجاوزناه عند المنعطف الاول .
وأخذ لاتيننغ يتباطأ شيئاً فشيئاً حين واجه الحلبة الخالية
أمامه ، إلى أن لحق بنا إيكرون وتجاوزنا بالرغم من كل ما
فعله ماك ويلي . آنذاك أسرع لاتيننغ ثانية . وقد صار لديه
رفيق . وحين درنا حول المنعطف الثاني كان عنق ليكرون
يتقدمنا . وبدأ جمهورنا يهتف وكأننا حصل على لقاء ما دفعه

من مال . ولاح لنا خط الوصول ، فضرب ماك وبلي حصانه
ضربة عنيفة . وكان عليّ ان اضرب لاتينغ ايضاً . ولو كان
امامنا بعدُ عشرون قدماً لسبقنا . لكن لم تكن امامنا تلك
المسافة . ونظر الي ماك وبلي من فوق كتفه للمرة الاخيرة .
كانت نظرتة نظرة هياج وذعر ، لكنها كانت ايضاً نظرة
ظفر ، بينما كنت اوقف لاتينغ . آنذاك رأيت : لم تكن
معركة ، كانت شغباً وغلجان رؤوس واكتاف وظهور
الجمهور حول منصة المحكمين ، ومن وسطها نهض بون فجأة
مثل شجرة سرو ترتفع وسط الغاب . كان قميصه ممزقاً وبيده
هراوة يتعلق بها رجلان او ثلاثة . وكنت استطيع ان اراه
يحار . ثم اختفى . ورأيت نداءً يركض باتجاهي . ثم خرج
بطش من الجمهور ومعه شخص آخر ، وسارا باتجاهنا ، فقلت
لند : ماذا ؟ فقال وهو يتناول اللجام باحدى يديه بينما راحت
يده الاخرى تبحث في جيبه : « لا تهتم . إنه بطش . خذ ،
« خذ ، ان يزعجك » . كان ذلك كيس تبغ من القماش
فيه قطعة جامدة بحجم الجوزة . وقال :

« اخبئها . واحتفظ بها . انما لاتنس من اين جاءت : من
ند وليام ماك كاسلن جفرسون ميسيسيبي . فقلت نعم ،
وخبأتها في جيب الخلفي . ثم حاولت ان استوضح لكنه لم
يدعني انهي كلامي ، فقال لي : اجث عن العم بوسم بامرع
ما يمكنك وابق معه . لا تهتم بشأني انا وبون والبقية . إذا
أخذوه أخذوا البقية . اذهب مباشرة الى العم بوسم وابق

معه . انه يعرف ما يجب ان يفعل . فقلت نعم .
وكان بطش والرجل الآخر قد وصلا الى بوابة الحلبة .
كان قسم من قميص بطش قد ذهب ايضاً . وكانا ينتظران إلينا .
وسأل الرجل : أهذا هو ؟ فأجاب بطش : نعم . وهنا قال
الرجل لند : هات الحصان يا ولد . انني أريده .
فأشار علي ند بأن أبقى هادئاً . ثم قاد الحصان الى حيث
كانا ينتظران . وقال لي الرجل بلطف : انزل يا ابني . لا
أريد منك شيئاً . فنزلت . ثم قال لند : أعطني اللجام .
فامتثل ند . حينئذ قال له الرجل :
« ستذهب معي . انت موقوف ! »

الفصل الحادي عشر

كان الجمهور يوشك أن يحيط بنا . كنا نقف هناك قبالة
بون والرجل الآخر الذي كان يمسك بلايتينغ . وقال ند:
ما الحكاية يا اخواني البيض ؟ فأجاب الرجل : « الى السجن .
هكذا نسميه هنا . لا أعرف ماذا تسمونه في بلدكم » .
« نعم سيدي . نحن أيضاً عندنا مثله . لكنهم عندما
يذكرون السبب حتى للزواج . » فقال بطش :
« اوه ، انه محام ! لعله يريد ان يرى ورقة . أره ورقة .
لا بأس سأريه أنا . » واخرج شيئاً من جيبه الخلفي . رسالة
في مغلف مختوم . فتناولها ند . وظل في مكانه هادئاً يمسكها
بيده . فقال بطش :
« ما قولك في هذا ؟ رجل لا يحسن القراءة ، مع ذلك
يطلب أن يرى ورقة ، شمها اذن . لعل راثحتها صحيحة . »
فأجاب ند :

« نعم سيدي ، صحيحة » . وكان الجمهور قد وصل .
فاستعاد بطش المغلف من ند ووضعه في جيبه ثم خاطب
الناس :

« لا شيء ، يا شباب . انها مجرد مشكلة قانونية تتعلق بمن
يملك هذا الحصان . لم يُبلغ السباق . سيبقى للشوط الاول .
الشيطان الباقيان يؤجلان الى الغد . أتقدر ان تسمعني انت
هناك ؟ »

فأجاب صوت من بين الجمهور :

« لا نقدر ان كانت المراهنات قد الغيت . » ثم علت
قهقهة وتلتها اثنتان . فأجاب بطش :

« لا افهم . كل من رأى هذا الحصان يركض في العام الماضي
وعاد يراهن عليه ، فقد ألغى نقوده لحظة راهن بها عليه . »
وانتظر القهقهة لكنها لم ترتفع . ثم عاد الصوت ذاته يقول
(او ربما صوت آخر) :

« هل يرى والتر كلاب مثل هذا ؟ لو طال الشوط عشر
أقدام بعد لسبق هذا الحصان اليوم . »

« حسناً ، حسناً ، نسوّي هذا الامر غداً . لم يتغير شيء .
الشيطان التاليان تأجلا الى الغد . والدولارات الخمسون عن
كل شوط باقية ولم يربح الكولونيل غير دفعة واحدة منهم .
هيا الآن ، يجب ان نوصل الحصان وهؤلاء الشهود الى المدينة
حيث نستطيع ان نوضح كل شيء ، ليصبح بالامكان متابعة
السباق غداً . ليناد احدكم باحضار عربتي . »

ثم رأيت رأس بون يرتفع بين الجمع . كان وجهه هادئاً ،
ما تزال تعلوه خطوط دامية وقد ربط طرفي قميصه الممزق
حول عنقه . ثم رأيت سام ايضاً ، وكأنما لم يبد عليه اثر .
كان هو الذي تقدم اولاً . فقال له بطش :

« سام ، منذ ثلاثين دقيقة ونحن نحاول العثور عليك ،
لكنك لم تدعنا نراك » .

« نعم . اسألك ثانية ، ولتكن الاخيرة : هل نحن
موقوفون ؟ » فسأل بطش : من الموقوف ؟

« انا وهو جانبيك وهذا لزنجي . » فالتفت بطش الى
الرجل الآخر ، فمعرفة بسرعة انه كان هو السلطة في بارشم ؛
وهو الذي حدثنا عنه الآنسة ريبا عشية البارحة . كان
مفوض الشرطة ، ولم يكن بطش بالقياس له غير ضيف آخر
مثلنا . وقال بطش :

« هو ذا محام آخر . ربما كان هو ايضاً يريد ورقة . »
فقال المفوض لسام : « كلا . يمكنك الذهاب متى شئت . »
فقال سام : « اذن انا عائد الى ممفيس لاجد سلطة ما ، اعني
نوعاً من السلطة . » وكان قد رأي فقال لي : « تعال معي . »
فاجبته : « كلا ، سأبقى هنا . فنظر الي المفوض وقال : يمكنك
ان تذهب معه اذا شئت . فقلت : كلا سيدي سأبقى هنا .
فسأل المفوض : لمن هذا الصبي ؟ فأجاب ند : انه معي .
فسأل المفوض وكأنه لم يسمع ما قال ند : من أتى به الى
هنا ؟ فأجاب بون : أنا ، انني اعمل عند ابيه . وقال ند :

انا اعمل عند جده ، ونحن مكلفان بالاهتمام به . وقال سام :
 انتظروني ، سأحاول ان اعرد الليلة . حينئذ نبحت كل شيء .
 فقال المفوض : وعندما تعود تذكر انك لست في ممفيس او
 ناشفيل او حتى في هاردويك . عندما تنزل الى المحطة من
 القطار تكون في النقطة رقم اربعة . فقال بطش معلقاً :
 « هكذا يجب ان تفهمهم . نحن في ولاية تينيسي الحرة » .
 « كنت أعنيك انت ايضاً . ربما كنت اول من يجب ان
 يذكر هذا . »

وكانت العربة قد وصلت الى حيث أمسكوا بيوت .
 وأشار المفوض الى ندان يصعد . وفجأة بدأ بون يقاوم .
 فقال له ند شيئاً ما . حينئذ التفت المفوض نحوي وقال :
 « ذلك الزنجي يقول انك ستذهب مع العجوز بوسم هود » .
 « نعم سيدي » .
 « لا استحسن هذا : صبي ابيض بين اسرة من الزنوج .
 تعال معي الى البيت » .
 « كلا يا سيدي » .

« بلى . اسرع . لدي اعمال كثيرة » . وهذا قال ندان .
 « لكل شيء حد ! » فتوقف المفوض دون حراك . ثم
 قال : « أصبت . ولكن هل هذا هو المكان الذي تريد
 الذهاب اليه ؟ اعني عند العجوز بوسم ؟ » فقال : نعم سيدي .
 وسأل بطش ، وقد اخذ اعنة الجياد من الرجل الذي احضر
 العربة : ماذا ستفعل بالزنجي ؟ هل ستجعله يقود حصانك ؟

فقال المفوض لند : ستقود حصاني . اصعد ، انت الخبير بالخيول هنا .

فأخذ نند الأعنة من بطش وصعد وضغط على العجلة ليصعد المفوض الى جانبه . وجلس سام وبون في المقعد الخلفي . وكان بون ما يزال ينظر الى . وبدأ وجهه مرضوضاً مهشماً . وقال لي : تعال مع سام . فأجبت : انني بخير . فقال المفوض : أعرف بوسم هود . سأذهب لأخذه ان فقلت عليه . 'سقى يا ابني .

وتحركوا . وبقيت وحدي وشعرت بالوحدة . لم أشعر بغير الوحدة . كنت جزيرة وسط تلك الحلقة من القبعات والقمصان التي بلا ربطات عنق ، وبدات العمل والوجوه التي بلا اسماء التي انصرفت عني دون كلمة نعم او لا ، او اذهب او ابق . ورأيتني انا المتروك ، أترك ثانية . فعندما تكون في الحادثة عشرة فقط لا تكون كبيراً حتى تستحق هذا القدر من الهجر . هذا يجعلك تطمس ، تمحي ، تنحسل ، تتبخر تحت وطأته واخيراً قال شخص من الآخرين :

« هل تبحث عن بوسم هود ؟ أظنه هناك في عربته ينتظرك . »

كان هناك فعلاً بانتظاري وكانت العربات كلها قد انصرفت ولم يبق غير عربته . فمشيت اليها وتوقفت . لا أعرف لماذا . توقفت ، وهذا كل ما في الامر . ربما لم يكن هناك مكان آخر كي اذهب اليه . اعني لم اجد فسحة لاخطو الي

الامام . فتوقفت الى ان حرك العربة شخص ما . وقال لي
العم بارشم :

« اصعد ، سنذهب الى البيت وننتظر ليكورغوس » .
فقلت :

« ليكورغوس؟ » وكأني اسمع الاسم للمرة الاولى . فأوضح
العم بارشم قائلاً :

« ذهب الى البلدة ليستفهم عن القضية ويعود ليخبرنا .
وسيسأل عن موعد تحرك القطار الى جفرسون » .
« جفرسون ؟ » .

« كي تذهب الى البيت . اذا أردت » . قال هذا دون ان
ينظر اليّ .

« لا اقدر ان اذهب الآن . يجب ان انتظر بون » .
« قلت اذا أردت . اصعد ، فصعدت . ومضينا عبر
المرعى ، ثم خرجنا الى الطريق . فقال لي : انزل واغلق
البوابة . آن ان يتذكر هذا الامر شخص ما .
فنزلت واغلقتها وعدت الى العربة ، فقال لي : هل قدت
يوماً بغلا يحرك عربة ؟ فقلت : كلا يا سيدي . فناولني القيادة .
فقلت انني لا اعرف كيف اقودها ، فاجاب :

« اذن يمكنك ان تتعلم الآن . البغل ليس كالحصان .
عندما تتسرب الى رأس الحصان فكرة خاطئة ، عاجله بضربة
سوط او ربما بمجرد الزجر . انما البغل بخلاف ذلك . فهو
يستطيع ان يحتفظ في رأسه بفكرتين في وقت واحد . ولكي

تغيرهما يجب أن تتصرف وكأنك تصدق انه اعترم ان يغيرهما
قبل ان تطلب ذلك . وهو يعرف ان تظاهرك غير صحيح ،
لأن البغال ذكية . لكن البغل جنتلمان ، فاذا جاملته وعاملته
باحترام ، بادلك المجاملة والاحترام ، شرط الا تبزه في ذلك .
لهذا لا تدال البغل كما تدلل الحصان ، فهو يعرف انك لا تحبه .
يعرف انك تحاول خداعه واستمالته ليفعل شيئاً لا يريد ان
يفعله ، وهذا يبينه . عامله هكذا . انه يعرف الطريق الى
البيت . كما يعرف انني لست من يمسك بالقياد . لذلك
كل ما عليك ان تفعله هو ان تخبره بواسطة الرسن انك انت
ايضاً تعرف الطريق . ولكن ، بما انه هو ابن البلدة وانت
الغريب ، فانك تريده هو ، لياقة ، ان يتقدمك !

ومضينا . وسار البغل برشاقة وانتظام . لم يكن ما يشيره
من الغبار مقدار نصف ما يشيره الحصان ، فأدركت الان ما
عناه العم بارشم . كنت اشعر من خلال الرسن بذكائه وحكمته
بالاضافة الى قوته . لم تكن لديه المقدرة على الاختيار
المضبوط واتخاذ القرار الصحيح عند اللزوم وحسب ، بل كانت
لديه الارادة التي تتعمد ذلك ايضاً . وسألني العم بارشم :

« ماذا تفعل في بلدك ؟ »

« اعمل ايام السبت . »

« اذن ستوفر بعض المال . فماذا ستفعل به ؟ »

وفجأة وجددتني انطلق بالحديث واخبره عن كلاب صيد

الارانب ، وكيف اردت ان اصبح صياد ثعالب مثل ابن العم زاك ، وكيف قال ابن العم زاك ان الطريقة الوحيدة لتعلم ذلك هي بالحصول على بضعة كلاب صيد الارانب والتدريب على اصطياد الارانب اولاً . واخبرته ان ابي يدفع لي عشرة سنتات كل يوم سبت في الاسطبل العمومي ، وان ابي سيدفع مبلغاً مماثلاً لما سادخره كي استطيع شراء اول زوج من الكلاب لابدأ الصيد . وقلت له ان ذلك يكلف اثني عشر دولاراً ، وانني ادخرت ثمانية دولارات وعشرة سنتات . ثم فجأذبدأت أبكي وانتحب : كنت تعباً ، ليس لانني ركبت في سباق ميل واحد ، فأنا قد ركبت اكثر من هذه المسافة من قبل ، بل ربما لانني استيقظت باكراً ورحت اعبى البلدة جيئة وذهاباً ، وكل ما أكلته وقت الغداء هو كسرة من خبز الذرة . وهكذا كنت جالساً اشفق كطفل ، وقد ألصقت وجهي بقميص العم بارشم ، بينما كان يحضني باحدى ذراعيه ويتناول الرسن باليد الثانية ، دون ان يقول كلمة . واخيراً قال : « الآت يمكنك ان تكف . كدنا نصل الى البيت . امامك وقت يكفي لتغسل وجهك قبل ان ندخل . ما احسبك تريد ان تراك النسوة هكذا » .

وهذا ما فعلت . أعني ، فككنا البغل أولاً وسقيناه وعلقنا السرج وادخلنا البغل الى الاسطبل وعلقناه ، ودفعنا العربية تحت سقيفتها . ثم غسلت وجهي بالماء وجففته بحورب الركوب وتبعتهم إلى البيت . كان العشاء جاهزاً مع ان الساعة

لم تكن قد بلغت الخامسة ، وذلك على عادة المزارعين من أهل الريف . وجلسنا ، انا والعم بارشم وابنته ، ولم يكن ليكورغوس قد عاد بعد من البلدة . وسألني العم بارشم ان كنت اتلو صلاة شكر قبل الطعام في بيتنا . فاجبته بالايجاب حينئذ قال لي : احن رأسك . فحنيت رأسي ، فتلا صلاة مختصرة بمهابة ولباقة ودون تذلل . كان كرجل مهذب ذكي يخاطب آخر : يخبر الاله اننا نوشك ان نأكل واننا نشكره على نعمته ولكنه يذكره في الوقت نفسه بأنه لو لم يكذب ويعرق إنسان اسمه هود او بريجنز (وهذا اسم ليكورغوس) لكانت صلاة الشكر تتلى فوق صحون فارغة . وانهي العم بارشم صلاته وفتح فوطته وادخل طرفها تحت يافطته كما يفعل جدي تماماً . وشرعنا نأكل . وحين انتهينا لم تكن الشمس قد غربت بعد . وهكذا كان الليل بطوله امامي . ولم اكن اعرف انني سأنام . كان العم بارشم جالسا امامي ينكش أسنانه بمسواك ذهبي ، مثل مسواك جدي ، ويقراً افكاره وكأنه يسلط عليها مصباحاً سحرياً . ثم قال لي :

« هل ترغب في الذهاب الى صيد السمك ؟ » ولم اكن في الحقيقة احب صيد السمك ، لكنني وافقت بسرعة ، فأضاف :

« هيا نذهب ، ربما يكون ليكورغوس قد عاد . » كانت هناك ثلاث قصبات مجهزة بالخيوط والصنانير وكل شيء ، تستند الى جدار الرواق الخلفي بين مسارين . فأخذ

اثنين منها . كان هناك دلو ثقوب غطاؤه عدة ثقوب بواسطة مسبار . وقال لي : ان ليكورغوس يحفظ فيه الجنادب التي يستعملها كطعم ، اما انا فأفضل الديدان .

كان يحفظ الديدان في صينية خشبية فيها قليل من التراب . وعندما همّ باخراج بعضها سألته ان يدع ذلك لي . فحفرت التراب بشوكة عتيقة وأخرجت الديدان من التراب ووضعتها في علبة صفيح . وحملنا العدة ونزلنا باتجاه الساقية مارين بين اشجار الغابة ، حتى بلغنا الساقية . كان الماء يجمع الاضواء الباهتة بلطف ، ثم يعكسها بلطف مماثل . وقال العم بارشم :

« في هذا الحوض تصيد ابنتي . ندعوه حوض ماري . تستطيع استعماله الآن . اما انا فسأنزل على طول الضفة لأجد مكاناً مناسباً . »

وذئب . كان الضوء ينسحب بسرعة ، وامسى الليل قريباً . فجلست على جذع شجرة وضع هناك خصيصاً ، بين طنين البعوض . لم يكن الأمر صعباً . كل ما كان علي أن أفعله هو أن أقول في نفسي عند الحاجة « لن افكر » . وبعد فترة فكرت في إنزال الصنارة الى الماء . وتوالت علي أفكار مختلفة ، كأن اضع احد جنادب ليكورغوس في الصنارة ، لكنني عدت وفكرت بأنه يصعب علي الامساك بالجنادب ، ففضلت ان اتركها لليكورغوس . وعدت أقول بيني وبين نفسي ، يجب ألا افكر . لم اكن استطيع رؤية العم بارشم

او سماعه ، ولم اعرف كم ابتعد على طول الضفة . وشعرت ان هذا هو الوقت المناسب لأن اتصرف كطفل ، لكن ما الفائدة من التصرف كطفل إن لم يكن قربك من يشعر بذلك ويمسحك عطفه . وإذا كنت اريد العطف ، او حتى العودة الى البيت ، فما أردته حقيقة هو فراش طري أليف ارقسـد عليه ثانية على سبيل التغيير . وسمعت صوت طائر الليل . ومن خلف الآجام علا صوت بومة . وفكرت انه لا بد ان تكون في الجوار غابات كبيرة . وإذا كانت كلاب ليكورغوس (او ربما كلاب العم بارشم) تمكنت من القبض على اوتيس ، فلا بد انها تستطيع ان تصيد الأرانب . كان الليل قد حل منذ قليل . وتكلم ليكورغوس بهدوء وهو يقف ورائي ، ولم أكن قد سمعت وقع خطواته :

« هل اصطدت شيئاً ؟ »

« لست صياد سمك ناجحاً . كيف كان صيد كلابك ؟ »

« جيد » .

وحمل ليكورغوس القصبتين وتبعناه الى البيت . كان النور مضاء . وكان على المائدة صينية وُضع عليها عشاء ليكورغوس . فقال له العم بارشم :

« اجلس . قص علينا ما جرى لك ، ونحن نأكل » .

فجلس قائلاً :

« ما زالوا هناك » . فسأله العم بارشم :

« ألم يأخذوهم إلى هاردويك بعد ؟ فليس في بوسم

سجن . »

« سجنوهم في مستودع الخطب ، خلف المدرسة ، الى ان

يستطيعوا أخذهم الى السجن في هاردويك . اعني الرجال .

لم يوقفوا نساء من قبل . » فقال ليكورغوس :

« كلا ، ياسيدي . السيدات ما زان في الفندق ، وعلى

بابن حارس . السيد دوجانبيك وحده في مستودع الخطب .

السيد كالدويل عاد الى ممفيس في القطار رقم واحد وثلاثين ،

ومعه الصبي . فقلت لأوتيس : هل استرجعوا السن منه ؟

فأجاب ليكورغوس :

« لم أعرف شيئاً عن هذا . الحصان أيضاً بخير . ذهبت

ورأيتة . انه في اسطبل الفندق . وقد كتب السيد كالدويل

قبل ذهابه تعهداً بشأن ند ليتمكن من مراقبة الحصان . ثم

أكل لقمة وتابع قائلاً : « هناك قطار يذهب الى جفرسون

في العاشرة إلا ثلثاً يمكننا اللحاق به ان نحن اسرعنا . »

فأخرج العم بارشم ساعة فضية من جيبه ونظر اليها .

قلت : « لا اقدر . يجب ان انتظر . » فأعاد العم بارشم

ساعته الى جيبه ونادى ابنته دون ان يرفع صوته . كانت في

الغرفة المقابلة ، ومع ذلك لم اسمع لها صوتاً . وسرعان ما

وقفت في الباب وقالت : « لقد اعددتة . » ثم قالت لي :

« ستنام في سرير ليكورغوس حيث نمت البارحة . » فأجبت :

« لا حاجة بي الي سرير ليكورغوس . اقدر ان اذم قرب

العم بارشم . لا يهم . فنظروا إلى يهدوه تام وفي عيونهم
النظرة الثابتة نفسها . وعدت إلى القول :

« نمت مع الرئيس مرات عديدة . هو أيضاً يشخر . لا
يهمني » . فسأل العم بارشم قائلاً :

« الرئيس ؟ »

« انه جدي ، هكذا ندعوه . هو أيضاً يشخر . انني
لا أهتم » .

وذهبنا إلى غرفة العم بارشم . كانت على حامل المصباح
رسوم أزهار ، وفي الجدار صورة كبيرة ضمن إطار مذهب
تمثل امرأة في منتصف العمر . وكان هناك كرسي هزاز
لكنتني لم أجلس عليه ، بل بقيت واقفاً . وبعد قليل عاد
يرتدي جلباب نوم وهو يملأ الساعة . وقال لي ان اخلع
ملابسي ، فخلعتها . حينئذ سألتني :

« هل تدعك أمك تنام هكذا في البيت ؟ »

« كلا ، يا سيدي » .

« أليس معك شيء تلبسه ؟ »

« كلا ، يا سيدي » . فوضع الساعة من يده وذهب إلى

الباب ونادى ابنته كي تحضر لي أحد قمصان ليكورغوس
النظيفة . فغابت قليلاً ثم عادت تمد يدها من فتحة الباب
بالقميص . فلبسته ، وسألني :

« هل تصلي قبل النوم راکعاً ام جالساً في سريرك ؟ »

« راکعاً »

« إذن إتل صلاتك » .

فجثوت قرب السرير وصلت ثم دخلت في الفراش .
فأظفأ المصباح ثم سمعت صرير السرير ثانية . كان القمر
سيتأخر قبل أن يرتفع في السماء ، إنما كان هناك نور كاف
فاستطعت رؤيته وهو يستلقي ، وكل ما فيه بياض على سواد
أو سواد على بياض . كان يستلقي بسواده فوق الوسادة
البيضاء ، بينما كان شارباه الابيضان ولحيته القصيرة البيضاء
فوق وجهه الأسود . وقال لي :

« غداً صباحاً سأخذك الى البلدة لترى السيد هوجانبك .
فاذا قال انك قمت بكل ما عليك هنا وطلب منك العودة
الى البيت ، فهل تعود ؟ »

« نعم ، يا سيدي » .

« الآن نم » .

كنت أعرف ان هذا ما أريده قبل أن يقوله . ربما كان
ما تمنيته منذ البارحة هو الذهاب الى البيت . لا احد يجب
أن يجلد ، لكن لا يمكنه تفادي ذلك احياناً ، وكل ما
يستطيع فعله هو ان لا يتراجع . وهكذا فعل
بون وند ، اي انها لم يتراجعا ، وإلا لما كانا حيث هما الآن .
وقد لا يقولان انني تراجعت اذا طلبا مني الذهاب الى البيت
بنفسيهما . رأيت ؟ كانت الحقيقة البسيطة انني اردت الذهاب
الى البيت ولم اكن املك الشجاعة الكافية للتصريح بذلك ،
فكيف بتنفيذه . وهكذا حين اعترفت اخيراً بانني لم اكن

فاشلا وحسب ، بل جباناً ايضاً ، امتراح فكري فصار
بامكاني ان انا كطفل . كان العم بارشم قد نام . لكنه نادراً
ما شخر . ولم يكن ذلك مهماً ، ما دمت سأذهب الى
البيت غداً وليس معي شيء - لا حصان مسروق ولا
مومسات ولا عامل سكة حديد متجول ولا ند او بون .
وصحوت على صياح ارتفع مرتين او ثلاثاً . وحين تقلبت كان
موضع العم بارشم خالياً . فجلست في الفراش ، وكانت قد
أشرقت الشمس . وسمعت الصياح من جديد خارج البيت .
كان احدهم ينادي ليكورغوس . فقفزت من الفراش وركضت
الى النافذة حيث يمكنني ان اطل منها على الساحة الامامية .
فرأيت ند ومعه الحصان .

الفصل الثاني عشر

هكذا مرة أخرى . كانت الساعة الثانية بعد الظهر ،
فهيأت أنا وماك ويلي خطة السباق (وكانت خطته هو على أية
حال) - وكنا قد أخفنا مستر « كلاب » بما فيه الكفاية يوم
أمس ، وقدناه إلى الموقع النصفى ، فظفر ماك ويلي بذلك --
ووقف ينتظر الجوي للانطلاق .

سبقت ذلك بضعة أشياء . منها ند . كان مظهره سيئاً
ومخيفاً . ولم يكن ذلك بسبب قلة النوم ؛ فالنوم كان ينقصنا
جميعاً . لكنني كنت قد أمضيت أنا وبون الليالي الأربع على
الأقل في الفراش منذ أن تركنا جفرسون ، بينما لم يمض نهد
أكثر من ليلتين ، إحداهما في عربة يجرها حصان والأخرى في
الاسطبل مع الحصان ، ولم يفتش غير التين ، هذا إذا كان
قد افتش أي شيء . أضف الى ذلك ثيابه ؛ فقد كانت
قميصه وسخاً ، ولم يكن بنظلمونه الأسود في حال أحسن .

أما من جهتي فكانت افربي قد غسلت ، على الاقل ، بعض ثيابي في الليلة قبل الاخيرة ، في حين بقي هو لابساً ثيابه دون أن يخلع شيئاً منها . وها هو الآن يجلس وقد لبس بزة باهتة اللون نظيفة من بزات العم بارشم ، وهي في الواقع عبارة عن بنطلون وسترة عمل . وكانت مازي تغسل قميصه وتبذل جهودها لتنظيف بنطلونه . وكنا ، أنا وهو ، نجلس الى طاولة المطبخ ، نتناول فطورنا ، ومعنا العم بارشم ، يصغي .

قل ان احد الرجال البيض - ولم يكن المفوض السيد بوليموس - أيقظه من نومه حيث كان مستلقياً فوق بالات التبن ، واخبره ان يأخذ الحصان ويغادر البلدة . فقلت له : « وحدك انت ولايتننغ دون بون والآخرين ؟ » وقابعت متسائلاً : « اين هم ؟ » فقل ند : « حيث وضعهم الرجال البيض . هكذا قلت لهم انني شاكر كثيراً ، ايها الاصدقاء البيض ، واخذت لايتننغ بيدي و... » فسألته : « لماذا ؟ » فأجاب :

« وماذا يهمك من السبب ؟ ما نحتاج اليه الآن هو ان نقف خلف ذلك الشريط ، الساعة الثانية بعد الظهر ، ونسبقهم ونوقف سيارة الرئيس ، ثم نعود الى جفرسون التي كانت من الافضل في الواقع الا نغادرها . »

« لا يمكننا ان نعود دون بون . لماذا لم يسمحوا له بالذهاب ، اذا كانوا قد سمحوا لك ولللايتننغ ؟ »

« انتبه . عند كل منا ، انت وانا ، ما يكفينا لان نشترك
في سباق الخيل . لماذا لا تنهي فطورك وتعود فتستلقي
وتستريح حتى أدعوك في الوقت المناسب . »

وقال العمّ بارشم لند ، وهو يأكل بسرعة ، ورأسه مائل
فوق صحنه ، وقد بدا متعباً ولم تكن عيناها محمرتين وحسب ،
بل كانتا فاقعتي الاحمرار :

« كفّ عن الكذب عليه » . فقال ند :

« لن يذهب السيد بون هوجانبك الى أي مكان . إنه
الآن في السجن . سينقلونه الى هاردويك هذا الصباح حيث
يشدون وثاقه . هذا يكفي ، وانسيا ذلك . فما علينا القيام
به هو ، فقاطعه العمّ بارشم قائلاً :

« أخبره . لقد تحمل كل ما سببتموه له منذ ان جئتم به
الى هنا . فما الذي يجعلكم تشكون أنه لا يستطيع أن
يتحمل بقية ما سيلاقيه ، حتى يمكنكم الانتقال الى الجانب
الآخر وتمكنوا من ارجاعه الى البيت ؟ ألم يكن عليه أن
يراقبها أيضاً ، هنا تماماً في حديقتي وبيتي وهناك في حقولي ،
هذا دون أن أذكر ما كان باستطاعته أن يراه في البلدة
مذاك - ذلك الرجل يدفش تلك الفتاة ويضحها ، وهي
تحاول ان تتخلص منه ، ولم يبق لها سوى هذا الولد ، ذي
الاحد عشر ربيعاً لتلتجىء اليه ؟ ولم تكن تستطيع الاعتماد
على بون هوجانبك ، ولا على القانون ، ولا على الرجال البيض ،

بل عليه هو فقط ؟ أخبره ، . وكان في داخلي شيء يقول :
كلا ، كلا لا تسأل . اتركها اتركها . وقلت : « ماذا
عمل بون ؟ » .

واستمر ندياً كل فوق صحنه ، وعيناه ترتجفان كما لو أن
فيهما رملاً ، وقال : « ضرب ذلك المفوض وضرب بطش ،
حتى كاد يقضي عليه . أطلقوا سراحه قبلي وقبل لايتننغ .
ولم يتوقف ، بل توجه رأساً الى تلك الفتاة ، فقلت :
« انها الآنسة ريبا . الآنسة ريبا . »

« كلا ، كانت الاخرى ، تلك الكبيرة . لم يذكروا
اسمها أمامي - وضربها واستهار ، »

« ضربها ؟ بون ضرب الآنسة كوري ؟ »

« هذا هو اسمها ؟ نعم واستدار وعاد الى ان عثر على
المفوض وضربه بالرغم من مسدسه وكل ما لديه ، قبل ان
يقدروا على تخليصه ، »

« ضربها بون . ضربها . »

« نعم . هي السبب في اطلاق مراحنا . انا ولايتننغ . فقد
اكتشف بطش انه لا يقدر ان ينهاها بأية طريقة أخرى ،
وعندما عرف ان علينا انا وانت وبون ان نربح هذا السباق
اليوم قبل ان نجرؤ على العودة الى البيت ، واننا نعتمد على
لايتننغ للفوز بالسباق ، أخذه وسجنه . هذا ما حدث . هذا
كل ما في الامر . أخبركم العم بوسم كيف رأى الواقعة تقترب

يوم الاثنين ، وربما كان علي ان اراها انا ايضاً ، ولعلي كنت
استطيع لو لم اكن مشغولاً بلايتنغ الى هذه الدرجة ، او او
كنت اعرف بطش اكثر . ،

« لا اصدق ذلك . »

« نعم . هذا ما حدث . كان مجرد سوء حظ . ذلك
النوع من سوء الحظ الذي لا يستطيع الانسان ان يحسب له
حساباً قبل وقوعه . وجد نفسه صدفة حيث كان عندما رآها
يوم الاثنين . وتصور رأساً انه يستطيع بذلك المسدس وبتلك
الشارة على صدره ، ان يفعل كل شيء . لعل ذلك راجع الى
انه اعتاد رؤيتها حوله . لكنها هذه المرة فقط لم يفيداه ،
وهكذا كان عليه ان يبحث عن وسيلة أخرى . فكان لايتنغ
الذي نعتمد عليه لنربح ذلك السباق للتمكن من استرجاع
سيارة الرئيس ، وربما عدنا الى البيت . » فقلت :

« كلا ، كلا لم تكن هي . ليست هنا . عادت مساء
امس الى ممفيس مع سام . لم يخبروك . كان شخصاً آخر .
شخصاً آخر . »

« كلا ، كانت هي . رأيتها يوم الاثنين هنا . »

اره ، نعم . وفي طريق عودتنا ذلك المساء وعند
الطبيب ، وفي الفندق تلك الليلة حتى أفزعته الأنسة ريبا
وهربته وظننا ، انا على الاقل ظننت ، أنه ذهب الى غير
عودة ، لأن الأنسة ريبا كانت ايضاً مجرد امرأة . قلت :

« لماذا لم يساعدها شخص آخر؟ رجل ما . ذلك الرجل ،
 ذلك الرجل الذي أخذك انت ولايتننغ ، والذي اخبر سام
 وبطش ان بإمكانها ان يكونا اي شيء يريدانه في ممفيس
 اوناشفيل او هاردريك ، ولكنه هنا في بوسم هو وحده
 السلطة . »

« ثم صرخت : لا أصدق هذا ! » فقال ند :

« نعم . انها هي التي اطلقت سراح لايتننغ ليدخل
 السباق مرة اخرى اليوم . انا لا اتكلم عن نفسي وعن بون
 والآخرين ، بطش لم يهتم بنا ابداً ، لكنه اهتم بإبعاد بون
 وازاحته من طريقه حتى هذا الصباح . كان لايتننغ هو كل ما
 احتاج اليه . كان عليه ان يدخلني في الموضوع ، انا وبون
 والبقية ، ليجعل السيد بوليموس يصدقهم . وقد خدعه بطش
 واستخدمه الى ان حصل ما حصل هذا الصباح واطلق
 سراحنا . وربما تم ذلك حين اعتبر بطش انه نال حقه .
 فزعم بأن المسألة كانت كلها غنطة . ان الحصان كان غير
 الحصان . ان ربما لم تكن ابطش يد في ذلك ، بل السيد
 بوليموس هو الذي حمل الموقف وشك في الامر ، فأطلقت
 سراح الجميع . وقبل ان يقدر ان يستدير ، ذهب بون
 وضرب تلك الفتاة ، ثم عاد مباشرة ، وحاول أن يطيح
 برأس بطش ومسدسه وكل شيء ، بيديه وحدها . ولا بد
 ان السيد بوليموس استنتج القصة بكاملها . وقد يكون السيد

بوليموس صغير الجسم او عجوزاً ، إلا انه رجل حقاً .
 اخبروني كيف ان زوجته أصابتها العام الماضي نازلة من تلك
 النوازل فلم تقدر حتى ان ترفع يدها ، وكان كل ابنائهم
 متزوجين يعيشون وحدهم ، وهكذا كان عليه ان يغسلها
 ويطعمها وينزلها من الفراش ويعيدها اليه نهاراً وليلاً ،
 بالاضافة الى الطبخ وتدبير المنزل ، هذا اذا لم تمرّ احدي
 الجارات وتساعدته . مع ذلك لا تقدر ان تعرفه على حقيقته
 قبل ان تنظر اليه وتراقبه . دخل هناك - لم أر هذا
 بنفسي ، بل اخبروني : كان اثنان او ثلاثة يسكنون بيوت
 ويحارل آخر ان يمنع بطش من ضربه بالمسدس بينما كانوا
 يسكنون به . فتقدم رأساً الى بطش وانتزع ذلك المسدس
 من يده ومد اصابعه وانتزع الشارة عن صدره كما انتزع
 نصف قميصه وتلفن هاردويك ليعيدوهم الى السجن جميعاً ،
 ومعهم النساء ايضاً . وعندما يكون في الامر نساء ،
 يسمون ذلك حلاوة . ، فقال العم بارشم مصححاً :

« زعرنة . » وقال ند :

« هذا ما قلته . بإمكانك ان تسمي ذلك ما شئت . اني

اسميه سجناً . » وقلت :

« لا اصدق انها تركت ذلك . » فقال ند :

« خير لنا اذن ان نعلن امتناننا لأبها بدأت من جديد .

اذ لولا ذلك لكنت انا وانت ولايتينغ - » فقلت :

« لقد اقلعت عن ذلك . وعدتني بانها ستترك . » فقال ند :
« ألم نسترجع لايتننغ ؟ أليس واجبنا الآن هو ان ندخله
السباق ؟ ألم يقل مستر سام انه سيعود اليوم وسيعرف ما
سيعمله ، وسنكون أنا وانت وبون كالعادة كما لو اننا عدنا
الى بيوتنا ؟ »

وجلست هناك . كان الوقت ما زال باكراً . أعني كانت
الساعة ما تزال تشير في تلك اللحظة الى الثامنة فقط . كان
الجو يدل على ان اليوم سيكون حاراً ، اليوم الحار الاول ،
بدء الصيف . رأيت ؟ إن الاستمرار في قولك لا اصدق
يمكن ان يفيد في البرهنة نفسها - لكن حالما تموت الكلمات
والضجيج ، يبقى كل شيء هناك : الغضب والحنق والحزن
وكل شيء آخر - دون تغير . وقلت للعم بارشم :

« علي ان اذهب الى البيت مباشرة . واذا قدرت ان
أستخدم احد البغال ، فسأرسل لك الدراهم حاملاً اصل الى
البيت . » فنهض في الحال قائلاً : تعال . وقال ند : « قف .
فات الوقت الآن . أرسل السيد بوليموس يطلب سيارة . لقد
ذهبوا . » وقال العم بارشم : « يمكنه ان يقطع الطريق عليهم .
المسافة بيننا وبين الطريق التي سيسلكونها ليست اكثر من
نصف ميل . » فقال ند : « ينبغي ان أنام قليلاً . »

فقال العم بارشم : « أعرف ذلك . أنا ذاهب معه .
وعدته بذلك ليلة أمس . » فقلت : « لست ذاهباً الى البيت

الآن . سأذهب الى البلدة لدقيقة . ثم أرجع الى هنا .
وقال ند : « حسناً . دعني أنهي قهوتي على الاقل » .
لكننا لم ننتظره . كان أحد البغلين قد انطلق على أية
حال ، ربما الى الحقول مع ليكورغوس . أما البغل الآخر
فكان موجوداً . وخرج ند قبل أن نبدأ . ودلنا العم بارشم
على طريقة لاختصار المسافة الى هاردويك ، لكنني لم أهتم .
أعني أنني لم أهتم الآن للمكان الذي أحل فيه . لو لم أكن قد
أرهقت من جراء سباق الخيل والنساء والبوليس وجميع
الآخرين البعيدين عن بيوتهم ، لكنت فضلت أن ألقى بون
في مكان خاص وبسرعة من أجلنا كلينا . لكن لم يعد هناك
فرق الآن ، كان يمكن ان يتم اللقاء في منتصف الطريق او
الساحة . او ربما سيارة مليئة بهم . لكننا لم نصادف السيارة ،
كان واضحاً انني كنت محمياً ، فقد كان امرأ لا يفتقر ان
افعل ما افعله بصورة علنية - كان امرأ لا يحتمله الذين خدموا
اللافصيلة بهذا الولاء ، طيلة اربعة ايام ، وطلبوا مكافأة لهم ،
شيئاً زهيداً . أعني ان لا ارى اياً منهم اكثر مما علي ان ارى .
وهذا ما تيسر لي . فالسيارة التي ما زالت فارغة كانت قد
وصلت لتوها الى الفندق عندما وصلت اليه : كانت مركبة
لسبعة ركاب وفيها فسحة لعفش اثنين - كلا ، ثلاثة : ميني
ايضاً - امرأة تقوم برحلة لمدة يومين من ممفيس الى بارشم .
انهم جميعاً الآن في الطابق الأعلى يرتبون امتعتهم ، وهكذا

فان سرقة الخيول نفسها حلت من تلقائها . وأزاح ند الدولاب من اجلي لانزل ، وقال : اما تزال مصراً علي ألا تخبرني بسبب مجيئك الى هنا ؟ فأجبت : كلا .

كانت الكراسي في الشرفة فارغة كلها ، وكان باستطاعة قيصر ان يحتفل بانتصاره هنا وحصوله على العزلة التي يتطلبها مركز بون وبطش الجديد . وكانت القاعة فارغة ، ويمكن السيد بوليموس ان يستخدم مثلها ، لكنه لان رجلا . كان في جناح السيدات - السيد بوليموس ، وسائق السيارة وشرطي آخر يحمل شارة ، ثم بطش وبون ، وكانت تظهر عليها دلائل المعركة .

كان بون وحده هو الذي قرأ ما بدا على وجهي (عرف هذا الوجه مدة كافية) او لعل ضميره هو الذي استيقظ ، فقال بسرعة :

« احذر يا لوشيموس ، احذر ! » قال هذا وهو يرفع ذراعه الى اعلى وينهض بسرعة ، ويخطو الى الوراء ويتراجع ، وأنا امشي اليه ، مباشرة اليه ، ولم اكن طويلاً بمقدار نصف طوله ، ولم اجد ما أقف عليه ، كان علي ان اتناول واقفز وامتد نفسي لأتمكن من ضربه علي وجهه ! اوه ، نعم ، كنت ابكي واصرخ . لم اكن استطيع رؤيته تلك اللحظة ، انما كنت اضرب اعلى مكان استطيع بلوغه . وكان علي ان اتناول واقفز لاضرب اعلى نقطة فيه . وكان السيد بوليموس

خلفي يقول : « اضربه ثانية . لقد ضرب امرأة . ولا يهمني من تكون . »

وأمسك بي احدهم ، فانترعت نفسي واستدرت نحو الباب كالأعمى . آنذاك انتبهت الى ان اليد تقودني . وقال بون :
انتظر، الا تريد ان تراها ؟

كنت متعباً ، وكانت قدمي تؤلماني . كنت على وشك الهلاك . كنت بحاجة الى مزيد من النوم . واكثر من هذا : كنت متسخاً . كنت اريد ملابس نظيفة . لقد غسلت ثيابي مساء الاثنين ، لكن الملابس المغسولة لم تكن كافية . كنت بحاجة الى تبديلها بملابس غسلت واستراحت قليلاً ، كما في البيت ، وتفوح منها رائحة الجوارى الهادئة والنشاء والبياض . لكن قدمي بصورة خاصة كانتا بحاجة الى جوارب نظيفة ، والى حذائي الآخر . واجبت بون : « لا اريد ان ارى احداً . اريد ان اذهب الى البيت ! » فأجاب : « حسناً . من منكم هنا يوصله الى القطار هذا الصباح ؟ معي المال الكافي لذلك . » فأجبت : « احرص ، لن اذهب الى اي مكان الآن . » ومضيت وانا لا ازال فاقد النظر ، واليد ما تزال تقودني .
وقال بون :

« انتظر . انتظر يا لوشيموس ! » نقلت ثانية :

« احرص ! » ولوتني اليد . كان أمامنا جدار . قال لي السيد بوليموس : « امسح وجهك » . ومد يده نحوي بمندبل لم

آخذه . ومسحت برباط يدي . لقد وفي جورب الركوب
بالغرض . على أية حال ، تلقى دموعي قبل الآن . ومن يدري ؟
لو بقي معي مدة كافية ، لربما فاز في السباق . صار بإمكانني
ان ارى . كنا قد بلغنا الردهة وبدأت انعطف ، لكن صاحب
اليد اوقفني وقال :

« انتظر لحظة . إذا كنت ما تزال غير راغب في رؤية
أحد » . وكانت الأنسة ريبا وافربي تهبطان الدرج ، وهما
تحملان أمتعتهما . لكن ميني لم تكن معها . كان الوكيل
السائق يلمتظر ، فأخذ الامتعة ، ومضوا جميعاً دون أن
ينظروا باتجاهنا . كانت الأنسة ريبا كعادتها ، من حيث
صلابتها ومشيتها المتعالية . وبدأ لي ان الوكيل لو لم يتحرك
بسرعة لتعثرت به وبالخزم وكل شيء . وتابعوا طريقهم . وقال
لي السيد بوليموس :

« سأشتري لك تذكرة سفر كي تعود . اذهب في ذلك
القطار . ، ولم اقل له : اخرس . فتابع قائلاً :

« لقد فقدت كل اصحابك الآن . سأبقى معك واوصي
السائق بك . »

« سوف انتظر ند . لا اقدر ان اذهب بدونك . لو لم
تفسد البارحة كل شيء ، لكننا الآن في طريق عودتنا . »

« من هو ند ؟ »

فأخبرته ، فقال ثانية :

« اتعني انك ستقود ذلك الحصان اليوم مهما كانت الحال ؟
انت وند وحدكما ؟ » أجبته بالايجاب ، فسألني :

« ابن نند الان ؟ » وحين اخبرته ، قال :

« تعال . نقدر ان نخرج من الباب الجانبي . » كان نند
يقف قرب البغل . وكانت مؤخرة السيارة الى جهتنا . ولم
تكن ميني معهم هنا ايضاً . لعلها عادت الى ممفيس البارحة
مع سام واوتيس . ولعلها ، وقد وجدت اوتيس ثانية ، لن
ترفع يديها عنه الا وهي تمسك بتملك السن . هذا ما كنت
افعله لو انني مكانها . وقال نند . « إذن ، قبض عليك السيد
بوليموس أنت ايضاً ؟ ما الحكاية ؟ أليس لديه قيود
بقياسك ؟ » فأجبتة : اخرس ! فسأله السيد بوليموس : متى
ستعيده الى البيت يا ابني ؟ فقال : آمل ان اعيدته الليلة ،
حالما اتخلص من هذا السباق . فقال :

« هل معك مال كاف ؟ »

« نعم ، يا سيدي . أشكرك . سنكون بخير بعد هذا
السباق . »

واوقف نند العجلة وصعدنا . وقال السيد بوليموس وهو
يمسك بالعمود العلوي :

« إذن ستسابقون حصان لنسكومب بعد ظهر اليوم . »

« سنفوز على حصان لنسكومب بعد ظهر اليوم ! »

« اهذا ما تأملونه ؟ »

« بل هذا ما نعرفه حق المعرفة ! »

وقال ند : « ليتني أملك مئة دولار لأراهن عليه » .
ونظر كل منهما الى الآخر . ومرت برهة طويلة ، أفلت بعدها
السيد بوليموس العمود وأخرج من جيبه محفظة مہترئة تشبه
محفظة ند تماماً . كانت أطول من جورب الركوب نفسه ،
حقى انك لا تقدر أن تميز من الذي يدفع ولان يدفع ولأي
سبب . ثم فتحها وأخرج منها ورقتين نقديتين ، كل منهما بقيمة
دولار واحد . ثم طوى المحفظة وأعطى ند الدولارين وقال :
« راهن بهذه لحسابي . اذا صدق توقعك ، يمكنك الاحتفاظ
بنصفها » . وأخذ ند الورقتين وقال :

« سأراهن بها لحسابك . لكنني أشكرك . عند غروب
الشمس أكون قادراً على تسليفك ثلاثة او اربعة اضعاف
هذا المبلغ » .

وقدنا العربية - أعني قاعها ند . ولم نمر قرب السيارة .
وقال لي : « عدت تبكي صرت فارس سباق ولم تتجاوز
مرحلة البكاء بعد » . فقلت له : « اخرس » . لكنه كان يدير
العربة ثانية ويمتاز الساحة الى الجانب الاخر . وتوقف أمام
مخزن وأعطاني زمام البغل ونزل الى المخزن . ولم يطل الوقت
حتى عاد يحمل كيساً من الورق ، صعد به الى العربية وساقها
باتجاه البيت - اعني بيت العم بارشم . ثم اخرج من الكيس
الكبير كيساً صغيراً فيه سكاكر روح البعنع ، وقال وهو
يناولي الكيس :

• خذ . معي أيضاً بعض الموز . وحالما نأخذ لا يتبينغ الى تلك الحظيرة الخاصة ، يمكننا عندئذ أن نستريح ونأكلها . وربما استطعت ان انام قليلاً قبل أن أنسى كيف يكون النوم . وحتى ذلك الحين كف عن تلك الصبية ، ما دمت قد سويت الحساب مع بون هوجانبك . ضرب المرأة لا يؤذيها لأن المرأة لا ترد الضربة شأن الرجل ، بل تستسلم لها . حتى اذا ما أدت ظهرك تناولت فأساً او سكين جزار . لهذا كان ضربهن لا يكسر شيئاً . كل ما هنالك انه يترك قرب عينها علامة سوداء ، أو يجرح فمها قليلاً . وهذا لا شيء بالنسبة للمرأة . لماذا ؟ لأن لا شيء أحب الى المرأة من أثر ضربة تلقتها من رجل يفكر فيها ؟

ثم اعتلينا الحصانين ثانية ، أنا وماك ويلي ، ووقفنا متأهبين خلف جبل الانطلاق . (كنا نتحفز ونتأهب فعلاً للسباق . وكان لا يتبينغ نفسه متحفزاً . لقد تعلم من سباق البارحة على الاقل ان عليه ان يكون في مستوى ايكرود عندما يبدأ الركض ، وإن لم يكن قد اكتشف بعد ضرورة الوصول قبله عندما يتوقفان) .

كانت تعليمات ند هذه المرة بسيطة وواضحة . قال :
 • اعرف انني اقدر ان اجعله يركض مرة ، واعتقد انني اقدر ان اجعله يركض مرتين . لكننا نريد توفير الشوط الذي اعرفه الى ان نحتاج اليه . واليك ما أريدك ان تفعله في هذا الشوط

الاول : قبل ان يصرخ المحكمون «انطلق» بثانية ، قل في نفسك اسمي ند وليام ماك كاسلن وحقها .

«أحقق ماذا؟» فتابع قائلاً :

« أنا أيضاً لا اعرف بعد . لكن ايكرون حصان . ومع الحصان يمكن أن يحصل اي شيء . واذا كان فارسه زنجياً تضاعف الاحتمال . كل ما عليك هو ان تراقب وتتأهب ، حتى اذا ما حصل له شيء قلت في نفسك اسمي ند وليام ماك كاسلن وتحققها بسرعة . ولا تقلق . إن لم تنجح العملية أو لم يحصل له شيء ، سأكون هناك عند خط الوصول لأتدخل . لأننا نعرف انني اقدر ان اعجمله يركض مرة .»

ثم ارتفعت الصيحة « انطلق ! » فقفز إحصانان وانطلقنا . كان ماك ويلي هذه المرة هو السابق . او بالاحرى انطلق اولاً . اذ انني لا اذكر ان كنت قد فعلت ذلك بناء على خطة او بالحدس فقط . كان ايكرون في حى السباق يتقدمنا بثلاثة اطوال عندما اطلقت العنان للايتنغ . لكنني حافظت على مسافة الاطوال الثلاثة بيننا . كنا نركض وبيننا مجالاً لثلاثة احصنة عندما رأيت ماك ويلي يقوم بحركة يدعونها اليوم قفزة مضاعفة ، ثم يلتفت بعينيه فقط بلمحة جانبية خاطفة . كان ، طبعاً ، يتوقع ان يرانا عند ركبته . ثم تابع الركض بالسرعة القصوى فترة اخرى قبل ان يفطن الى اننا ، انا ولايتنغ ، لم نكن هناك . فاستدار والتفت بحركة كاملة

من رأسه الى الوراہ . ما زلت اذكر بياض عينيه وفمه المفتوح .
وكأنني اراه الان يشير بيديه الى ايكرون كي يخفف سرعته .
واعتقد بكل اخلاص انني سمعته يصرخ لي : « بحق السماء
ايها الصبي الابيض اركض اذا كنت تسابقني . »

كانت المسافة بيننا تقصر بسرعة لأنه كان قد شد ايكرون
الى الخلف بشكل جانبي حتى اصبح بوضع يعترض مجرى السير ،
او على الاقل ، يجري جانباً مواجهاً الحاجز الخارجي . انني
مقتنع الآن بأن ذهن ماك وبلي الملتهب قد سأوره بالرجوع
والركض الى الخلف ليتمكن من ان يعاود الركض ولا يتننغ
امامه . لا ، لم اضع اية خطة . فقط قلت في نفسي : اسمي ند
وليم ماك كاسلن ، وضربت لايتننغ بالقضيب بمنتهى قوتي . حتى
انه عندما قفز ليجتاز المسافة بين ايكرون والحاجز الداخلي
كنا نستطيع ان ندفع ايكرون . ولاح لي ان قدمي ستهرس ،
وثبتت نفسي فوق ظهره فاقد الشعور لا انتظر غير وقع
الضربة ، والانهراس ، والصدمة ، وانبثاق الدم ، وانسحاق
العظام ، واي شيء آخر . لكن ما انقذنا هو انه كانت امامنا
فسحة كافية او سرعة كافية او لعله كان خطأ كافياً : فلم
تصب ساقى بل لمس ورك لايتننغ مؤخره ايكرون . وفي
هذه اللحظة ذاتها ضربته بالقضيب باسرع ما استطيع . ولم
يكن باستطاعة اي قاض او حكم ، او مدرب كلاب ، او
صياد ، مهما بلغ دهاؤه وحذقه ان يبرهن على ان حصاني ليس

هو الذي ضرب . الحقيقة اننا كنا متشابكين بصورة كاملة في تلك اللحظة ، حتى ان ايكرون كان الوحيد بيننا نحن الاربعة ، الذي عرف من أُصيب .

ثم واصلنا الركض . أعني أنا ولايتينغ . لم التفت الى الی وراء - لم استطع ان التفت . لذا كان علي ان أنتظر الى ما بعد نهاية الشوط كي اعرف ماذا حدث . قيل لي ان ايكرون لم يحاول أن يقفز فوق الحاجز مطلقاً ، لكنه وقف على قائمتيه الخلفيتين فارتمى وراء الحاجز وسط عاصفة من الغبار لكنه بقي على أرجله . ثم اخذ يركض مدعوراً في المرعى باتجاه مستقيم والمتفرجون يتراكضون من طريقه الى ان تمكن ماك ويبي من كبح جماحه . وهنا قيل ان ماك ويبي حاول فعلاً أن يقفز الحاجز ليعود الى الحلبة ويتابع الركض . لكن الوقت كان قد فات ، إذ كنا ، أنا ولايتينغ ، قد اجتزنا مسافة طويلة . ثم ان الحصان رفض ان يقفز وانطلق كالرياح على طول الحلبة ، لكن من الخارج . وكان المتفرجون يقفزون من طريقه كالضفادع . كان ذلك عندما بدأت أسمع وقع حوافر الحصان من جديد . كان يتقدم بسرعة ، مع ان الحاجز بيننا . وكان لايتينغ الذي استقل بالحلبة قد اخذ يعدو بحركة قوية منسجمة ، حتى ليحسب من يراه انه لا يبذل أي جهد لبلوغ هذه السرعة . ومع ذلك ، كان ايكرون الذي كان قد ركض حوالي خمسين ياردة إضافية والذي كان

عليه ان يقطع المسافة نفسها ثانية ، قد تقدمنا الآن ، لكن خارج الحلبة . وعند نهاية المنعطف الأول كنت استطيع ان أرى دماغ ماك وبلي البائس يتنازعه اختياران حرجان . أن يدفع ايكرون الى الحلبة ويغلق الشفرة التي احدثها بنفسه ، او ان يبقيه في الحقل حيث لا تعترضه عوائق .

وأخيراً تغلبت الفكرة المحافظة . فاذا بظهره يتقوس للمرة الثانية (عند المنعطف الثاني) ، وهكذا بدأت الدورة من جديد . ومع ان ايكرون كان في جهة الحلبة الخارجية حيث المنعطف الاطول ، فقد كان ما يزال يتقدمنا . واعتقد انني فكرت باستعمال السوط . وكان الجمهور حولنا يصرخ . ومن يلومهم ؟ وتابعنا الركض ، وايكرون ما يزال في اوج سرعته : يركض في الخط الذي شقه لنفسه ، والخط مفتوح مثل طريق السماء . وكان قد تجاوز الحلبة بطولين ، عندما بلغنا ، أنا ولاتيننغ ، خط الوصول وعبرنا تحت الشريط . وكان ايكرون يبدأ الدورة الثالثة ، عندما شده ماك وبلي بكل قوته الى المرعى واوقفه . وارتفع الصراخ حولنا :

« خطأ ! خطأ ! كلا ! كلا ! هذا ليس سباقاً ! هذا ليس سباقاً »

« بلى انه سباق ! ، كلا ليس سباقاً ! اسألوا القاضي ! اسألوا إاد ! ماذا يا إاد ؟ »

وكان الجمهور الذي فرقه ايكرون قد بدأ يتدفق على

المكان من خلال الشفرات التي فتحها ايكرون . وكنت انا
ابحث عن ند . وحسبت انني رأيتة ، لكنه كان ليكورغوس
جاء يقفز عبر الحقل حتى وصل إلي وامسك بلجام لاتينغ
واتجه به الى الورا ، فسألته : « ماذا حدث؟ هل سيقترون
هذا الشوط سليما ؟ فزنا ، أليس كذلك ؟ قطعنا الشريط ،
أليس كذلك ؟ هم استداروا حوله . خذ لاتينغ . سأعود
لأتحقق من الأمر » . فقال : « كلا ، السيد مارك كاسلن لا
يريدك ان تذهب انت ايضاً . فقد قال لي ان نبقي هنا ، انا
وانت ، مع لاتينغ ، وان نهيته للشوط التالي بعد اقل من نصف
ساعة . وعلينا ان نربح هذه المرة . لان الشوط السابق قد
يلغى ، فعلينا ان نربح الشوط التالي مها حدث » .

وهكذا تابعنا السير . ورفع ليكورغوس حاجزاً في نهاية
الحلبة وذهبنا باتجاه الشجيرات مسافة مئتي ياردة تقريباً .
كان حصان العم بارشم مربوطاً الى احدى الشجيرات . وظلت
الاصوات تبلغني من منصة التحكيم . وكانت الرغبة في العودة
للاستفهام ما تزال تساورني . لكن ليكورغوس كان قد
احتاط لذلك اذ احضر الماسح والاسفنج والمناشف ، وحتى
دلو الماء ، لكي نعري لايتنغ ونبدأ بتدليكها .

ثم انني حصلت على المعلومات الاولى عما حصل (وما
يزال يحصل) عندما اخبرني ليكورغوس بالقليل الذي استطاع
ان يراه قبل ان يرسله ند لملاقاتي ، وعندما اخبرني الآخرون

ايضاً فيما بعد . وهو أن الفوضى قد سادت ، اذ علا الصباح والاحتجاج والتأكيد واوشك المتجادلون على التضارب . وكان ند في وسطهم ، وقد بدا مهذباً هادئاً ، لكن صلباً عنيداً يرد كل هجوم . وقال احدهم : « لم يكن ذلك سباقاً . فالسباق يتطلب حصانين على الاقل . ولم يكن الا حصان واحد في الحلقة . » فأجاب ند : « كلا يا سيدي . كتاب القوانين لا يذكر عدد الأحصنة . انه يتكلم عن كل حصان بمفرده . فإذا لم يرتكب الحصان أخطاء ، ولم يقع الفارس ، وقطع خيط النهاية اولاً اعتبر فائزاً . » وقال آخر : « هكذا برهنت ، انت نفسك ، على ان الاسود قد فاز : لأنه لم يخطيء إلا بابتعاده مسافة عشرين قدماً عن الحاجز . وهو لم يوقف سير السباق ، وقد رأيتَه يعبر خط الوصول قبل كوبرمين بطولين . » فأجاب ند : « كلا ، يا سيدي . خيط النهاية يمتد فقط من طرف الحلقة الى طرفها الآخر . انه لا يمتد الى نهر الميسيسيبي . فلو كانت المسألة كذلك ، لكانت هناك احصنة اخرى حول النهر تعبر خط الوصول منذ ان اشرقت شمس هذا الصباح . احصنة لم تسمع بها بعد . كلا ، يا سيدي . من المؤسف ان يقع حادث بسبب تلك الحواجز الضعيفة لكننا كنا منشغلين بقيادة حصاننا مما لم يتح لنا الوقت الكافي لتوقف ومنتظر عودة الحصان الاخر . »

آنذاك ظهر ثلاثة اشخاص جدد فجأة ، أو على الأقل

تدخلوا في الحديث . لم يكونوا كلهم غرباء ، لأن واحداً منهم كان الكولونيل لنسكومب بنفسه وقد عرفه الجميع . وربما كان الآخران ضيفين عنده جاءا من المدينة . كانا بعمره ، يلبسان معاطف ويضعان ربطات عنق . وتقدم احدهما وتولي الحديث ، فقال :

« أيها السادة ، دعوني اتقدم مجل . هذا الرجل (يعني ند) صدق حين قال ان حصانه كان يركض ، وفقاً للقوانين ، وقطع شريط النهاية قبل سواه . لكننا جميعاً رأينا الحصان الآخر يركض بسرعة تفوق سرعة رفيقه ، ورأيناه في الطبيعة عند انتهاء السباق . ان مالكي الحصانين هما السيدان الواقفان خلفي . الكولونيل انسكومب جاركم ، والسيد فان طوش من ممفيس ، وهو قريب منكم الى درجة تجعل منه جاراً لكم ، لو ازددتم معرفة به . لقد اتفقا ، وسيوافق حكمكم ، على اعتبار هذا الشوط معلقاً . وكون الشوط معلقاً لا يعني أنه ملغى . لم يخسر أحد ولم يربح احد . ان الشوط الاخير سيقرر ذلك ، كما ان كلا من مالكي الحصانين ما زالا يضيفان خمسين دولاراً عن الشوط التالي . من يفز في هذا الشوط يربح الشوطين السابقين . ما قولكم ؟ »

هذا ما عرفناه ، انا وليكورغوس ، فيما بعد . لكننا لم نعرف شيئاً آنذاك : بقينا ننتظر ند او اي شخص آخر ليأتي الينا او يرسل في طلبنا . وكان لا يتنغ قد نظف ولف

بالحرّامات وليكورغوس يقوده صعوداً وهبوطاً ليبقيه في حركة ، وأنا اجلس مستنداً الى جذع شجرة وقد نزع جورب الركوب لأجفف الضّهاد . وبدأ لنا الوقت دهرأ ونحن ننتظر . ولكن حين اطل نند ، في اللحظة التالية ، كان الوقت قد انعدم او تكشف . ثم جاء نند مسرعاً . اخبرتك كيف كان مظهره ذلك الصباح . كان ذلك بسبب ثيابه . هذه المرة لم تكن المسألة مسألة ثيابه ، وان كانت ما تزال متسخة ، بل كانت مسألة وجهه . فلم يكن في ملامحه ما يدل على أنه ينعم بأية سكينه . كان كمن يواجه النهاية ، إلا ان تلك النهاية كانت تقول له : « اهدأ . امامك ثلاثون او أربعون دقيقة قبل ان استدعيك . آنذاك يجب ان تكون مستعداً . ولكن ، حتى ذلك الحين ، توقف عن القلق واهتم بعملك » .

وذهب الى العربية فوراً وتناول معطفه الأسود ولبسه وهو يقول :

« حلوا المشكلة فان اعتبروا الشوط معلقاً ، هذا يعني ان من يخسر هذا الشوط يخسر كل شيء . استعدوا ! »

وكان ليكورغوس قد انتزع الحرّام عن الحصان ولم يستغرق ذلك اي وقت . وكنت قد نهضت وتهيأت . ووقف نند قرب رأس لاتيننج ممسكاً بالسرج ، ويده الأخرى تعبث بشيء ما في جيب المعطف . وقال لي :

« سيكون هذا الشوط هيناً عليك . حرصناه امس قليلا
 وخذعته انت اليوم ، وعليك الا تخدعه مرة ثانية . لكن لا
 يهم . لسنا بحاجة الى خداعه الآن . ساهتم بذلك بنفسى .
 كل ما عليك ان تعمله هو ان تبقى على ظهره حتى النهاية .
 لا تسقط : هذا كل ما هو مطلوب منك . ابقه بين حاجزي
 الحلبة ولا تسقط عن ظهره . تذكر ما علمك اياه يوم الاثنين .
 قبل ان يبلغ المنعطف الأول ، وقبل ان يخطر بباله ان كنت
 اقف يوم الاثنين ، اضر به . اجعله يواصل الركض . لا تهتم
 بالحصان الآخر ، مها كان يفعل وأينما كان . اهتم بحصانك
 فقط . هل هذا مفهوم ؟ »

« نعم » .

« حسناً . إذن هاك الشيء الآخر الوحيد الذي عليك ان
 تفعله . حينما تصل الى المنعطف الاخير ، عند المرحلة الاخيرة ،
 استدر نحو الشريط . لا تظن ، بل تأكد أن لا يتينغ موجود
 في مركز يمكنه من رؤية الحلبة أمامه . عندما تبلغ تلك
 المرحلة ستعرف السبب . لكن لا تفكر في ذلك قبل اوانه .
 تأكد انه يقدر ان يرى الحلبة حتى شريط النهاية وما وراءه .
 واذا كان الحصان الآخر امامك ، ادفع لا يتينغ الى الجانب
 الآخر من الحلبة نحو الجهة الخارجية بحيث يتمكن من رؤية
 الحلبة ومكان الشريط وعبر الشريط ، وتؤكد ان لا
 شيء يعيقه عن الركض . لا تأبه للمسافة التي ستخسرهما

بسبب ذلك ، تأكد فقط من أنه يرى كل شيء أمامه ، .
كان قد اخرج يده الثانية من جيبه ، وأخذ لايتينغ يحك
أنفه بها المرة بعد المرة . وشممت تلك الرائحة الضعيفة التي
عرفتها في مرعى العم بارشم يوم الاثنين . تلك الرائحة التي
استطيع ان اميزها ، انا او اي شخص آخر ، والتي كنت
سأعرفها لو كان لدي وقت كاف للتفكير . ثم قال ند :
« هل تستطيع أن تتذكر ذلك ؟ » قلت : نعم .
« اذن هيا . قده يا ليكورغوس » .

و شد ليكورغوس على اللجام كي يرفع رأس الحصان عن
يد ند نحو الحلبة . وحاول الحصان ان يفلت ويعود الى الورا ،
لكن ليكورغوس جذبته ، وقال لي « اضربه قليلا . دعه يعد
الى التفكير في ما يفعله » . فضربته ومضينا .

وهكذا وقفنا للمرة الثالثة وراء الشريط انا وماك ويلي .
واذ رفض حصان ماك ويلي الوقوف في مكانه بانتظار الاشارة ،
فقد مدوا قطعة من الجنفيس محشوة بالقطن من طرف الحلبة
الى طرفها الاخر . كانت تلك افضل انطلاقة لنا . فعندما
علت صيحة الحكم : انطلق ، وارتمى الخيط ، قفز ايكرون
وماك ويلي وانطلقا امامنا كالسهم . وصرخ ماك ويلي في اذني
وهو يتخطانا :

« سأريك هذه المرة أيها الصبي الابيض ! » .
لكنه لم يبتعد مسافة تذكر حتى لحق به لايتينغ وصار

عند مستوى ركبتيه . كان لاتيننغ يتمتع بكل شيء ، بالقوة والانضباط وكل شيء . الا ان احداً لم يُدخل في عقله ان ذلك كان سباقاً . الحقيقة انني اصبحت للمرة الاولى ، عاملاً من عوامل السباق . وكأنا الحصانان قد شدا الى بعضها منطلقين كالصاعقة ، يتأرجحان الواحد بعد الآخر او يتلاحمان ويتمايلان جنباً الى جنب . وهكذا ظل مركزنا بالنسبة للحصان الآخر يتغير بانسجام وسهولة كالخلم ، طيلة الشوط الأول . فكان كلما تقدمنا ايكرون وبدا أنه يتعد عنا فعلاً ، لاحظ لاتيننغ المسافة التي نشأت بين الاثنين فيسرع ويمتازها . كان ذلك مثل التحدي . وكنت استطيع ان اسمع جلبتهاطوال الحلبة . من لا يعرف لاتيننغ الآن ؟ كل ما هنالك انه لم يكن يرغب في البقاء وحده متخلفاً . وفي دورة العودة ، بلغ لاتيننغ المنعطف الأول وهو يفتش بعينه عن ند . وصهل وهو ينطلق في عدوه المميت . وللمرة الاولى اسمع ان حصاناً يصهل وهو يسابق . لم اكن اتصور ان حصاناً ما يقدر على ذلك .

وضربته بمنتهى القسوة ، فانفلت ، وتأرجح ، وقفز مرة اخرى . وكنا قد تكررنا على ماك ويلى بمسافة قامتين أمامنا وهكذا اجتزنا المسافة مرة ثانية ، وعندما بلغنا المنعطف الثاني كنا متخلفين فأسرعنا ولحقنا مرة اخرى ، وأصبح رأسه بمحاذاة ركبة ماك ويلى . ثم اخذ يزكض بمنتهى الطواعية . هذه الالة الرائعة التركيب التي لم تؤثر عضلاتها بعقل ما ، او

التي لم يبلغ عقلها ما تجمع في مراكز الملاحظة والخبرة ، لم يعرف عقلها، لذلك، ان الهدف الوحيد من هذا الجهد الجنوني هو الوصول الى مكان ما قبل الاخرين . كان ماك ويبي يضرب حصانه بالسوط . اما انا فلم احتج الى مثل ذلك . لقد كان عاجزاً عن ان يتقدم لاتينغ او يتخلف عنه . وبلغنا المنعطف الاخير من دورة العودة ، وانا ما ازال فوق لاتينغ، ولاتينغ ما يزال في الحلبة . وهكذا لم يبق الا تنفيذ تعليمات ندا الاخيرة فأطلقت له العنان واندفعنا ، مانحين ماك ويبي مسافة قصيرة . فصار لاتينغ في وضع يمكنه من رؤية الحلبة وخط الوصول وما وراءه . ورأى لاتينغ ند قبلي ، ولم اعرف ذلك الا حين مد عنقه وجمع بجسمه ، وكأنه قد انفلت من عقال نير او قيد . اذ ذاك رأيت ند على بعد اربعين ياردة تقريباً من خط الوصول . وبدا لي ضئيلاً وتافهاً ووحيداً في فراغ الحلبة ، بينما كانت يد ماك ويبي التي تسرع في الحض والحركة ، تبتمد عنا الى الورا ، يتبعها وجه ماك ويبي المحتقن ، ويغيب عنا ، ثم الشريط وهو ينخطف فوق رأسي . وقال ند .

« تعال يا بني ، اعددتها لك . »

كاد لاتينغ يرميني عن ظهره وهو يتوقف فجأة ويتجه نحو ند في نفس الانطلاقة السريعة . وعندما بلغه ، توقف عن الحركة ودفن رأسه بين يدي ند وأنا حول أذنيه امسك بكل ما تصل اليه يداي حتى يدي المجروحة . وصحت : « فزنا !

فزنا ! سبقناه ! ، وقال ند : « حققنا هذا القسم من الفوز .
انما بقي اعتبار هذا كافياً . »

كانت هذه هي المرة الاولى التي اشتركت فيها بسباق حقيقي وفزت . اعني بسباق على مستوى الرجال ، والناس يراقبونني افوز . وقد راهنوا على انني سأفوز (او راهن بعضهم على الاقل) . ولم يكن لدي الوقت الكافي آنذاك ، لألاحظ التغيير الذي اعترى وجهه وصوته ، او حتى ما كان يقوله لي . لأن الناس كانوا قد بلغوا الحلبة واجتازوا الحواجز مندفعين نحونا . كانوا حشداً صاخباً من القبعات التي يرشح منها العرق ، والقمصان التي بلا رهطات عنق ، والوجوه التي ما زال يعتصرها الصراخ . وقال لي ند : انتبه الان . لكنني لم اكن ارى غير الوجوه والاصوات توج كالبحر :

« هكذا يكون السباق يا صبي ! هذا ما يسمى نصراً » .
لكننا لم نتوقف . فكان ند يقود لايتينغ وهو يقول : « دعونا نمر ايها الاصدقاء البيض ، دعونا نمر ايها الاصدقاء البيض » .
فأفسحوا لنا المجال ومررنا ، لكنهم كانوا ما يزالون يتبعوننا كالموج ، حتى بلغنا البوابة حيث كان الحكم بانتظارنا . وقال ند ثانية : انتبه الان . ولا اذكر الان غير الحصان الهادي ، وقد يقف أمامه كاللوحه ، وجدي وهو ينحني فوق عكازه (ذات الرأس الذهبية) ووراءه شخصان كنت قد عرفتهما منذ مدة طويلة . وصحت : « الرئيس ! » وقال جدي :

« ماذا فعلت بيدك؟ » فأجبت :

« نعم ، يا سيدي الرئيس ! »

« انت منشغل الان ، وكذلك انا » . قال ذلك بلطف

وهدوء . لا ، ليس صحيحاً . والصحيح انه قال : « سنتنظر

حتى تصل الى البيت » . ثم ذهب . كان الشخصان اللذان

رأيتها وراءه ، سام وميني . وكانت ميني تنظر الى بوجهها

الهاديء الحزين . وبدأ لي أن ند كان يربت على ساقي منذ

مدة دون ان انتبه . وقال : « اين كيس التبغ الذي اعطيتك

اياه البارحة لتحفظه ؟ ألم تضعه » ؟ فأجبت : « اوه ، صحيح » .

وانا أمد يدي الى جيبي .

الفصل الثالث عشر

قالت الانسة ريبا لميني : « أرم ، كانوا في سيارتنا - اعني سيارة بون - كلاً ، سيارة جدي : وهم افربي والانسة ريبا وميني وسام وسائق الكواونيل لنسكومب ، وهو ابو ماك ويبي . كان الكواونيل لنسكومب ايضاً يملك سيارة ، وكان السائق وسام وميني قد ذهبوا الى هاردويك ليأتوا بالانسة ريبا وافربي وبون الى بارشم ، حيث يستقل سام والانسة ريبا وميني القطار الى ممفيس . لكن بون لم يأت معهم . وظل في السجن للمرة الثالثة . فتوقفوا عند بيت الكواونيل لنسكومب لاجبار جدي . وروت الانسة ريبا الحادثة وهي جالسة في السيارة بينا وقفنا ، أنا وجدي والكواونيل ، حولها ، لانها رفضت الدخول . كانت تروي ما جرى بين بون وبطش ، فقالت :

« عندما وصلنا الى هاردويك ، كان لديهم قدر كاف

من الادراك كي يسجنوا كل منها في زنزانة منفردة . المشكلة هي انهم لم يحدوا وسيلة يقفلون بها فم صديق كوري الجديد . . . ، وتوقفت . لم اكن بحاجة الى النظر الى اقربي . كانت صبية ضخمة ، اضخم من ان تحصل لها اشياء كهذه الكومة عند عينها وهذا الجرح في فمها . وكانت تجلس هناك بهدوء وليس لديها ما تفعله ، ولا مكان تذهب اليه . وكانت الدم يبقع خدها . وقالت الانسة ريبا :

« آسفة ايها الصغير ، انس ذلك . اين كنت ؟ » فأجاب

جدي :

« كنت تخبريننا عما فعل بون هذه المرة . »
« أوه ، نعم . سجنوهما في زنزانات منفصلة على جبانتي الممر . وقد عاملونا انا وكوري بلطف . عاملونا كسيديات . أخذونا من هناك الى غرفة زوجة السجنان ، الى ان ظهر بطش فجأة وقال :

« حسناً ، هناك شيء واحد . انا وهذا الصبي الحلو خسرتنا بعض الدم والجلد وزوجاً من القمصان ، لكننا على الاقل ابعدنا عاهرات ممفيس عن الطريق . » فبدأ بون يخلع الباب الفولاذي . لكنهم كانوا قد تذكروا ان يقفلوه . ثم جاء سام بالاوراق القانونية . ثم قالت لجدي : « أشكرك كثيراً . لا اعرف كم دفعت عني . ولكنك اذا أرسلت لي الفاتورة حين أصل الى البيت ، فسأسدد الحساب . ان بون يعرف عنواني ويعرفني . » فقال جدي :

« شكراً . اذا كان هناك حساب ما فساخبرك . ما الذي حدث لبون ؟ لم تخبريني بعد ؟ »

« أوه ، صحيح . اطلقوا سراح بطش بالغلط . ما كادوا يخرجون المفتاح من قفل بون حتى صار خارج الزنزانة . ولكن بون عاجله بضربة واحدة ألقته أرضاً ، ثم ارتقى عليه قبل ان ينتبه أحد . ولهذا السبب احتفظوا ببون ولم يطلقوا سراحه . » ثم صاحت : « لنتحرك . علينا ان نلحق بالقطار . لا تنس أن ترسل لي الفاتورة . » فقال الكولونيل لنسكوب :

« لا ، انزلوا في ضيافتي ، العشاء جاهز . يمكنكم ان تلتحقوا بقطار منتصف الليل . » فأجابت الأنسة ريبا :

« كلا ، اشكرك . مها طال غياب زوجتك في مونتفيل فلا بد ان تعود ، وستضطر لإيضاح ذلك . »

« سخافة . انا السيد في بيتي . »

« آمل ان تظل كذلك . اوه ، صحيح . أرهم يا ميني ! »

فابتسمت ميني . لكنها لم تبتم لهم ، بل ابتسمت لي . كانت ابتسامتها جميلة ، اذ عادت السن الذهبية تتلألأ وسط صف الاسنان الابيض المنسق . ثم اطبقت شفيتها برصانة . وكبرياء . وقالت الأنسة ريبا :

« حسناً . » فأدار أبو ماك ويبي المحرك واندفع الى الورا فتحركت السيارة . وكان جدي والكولونيل لنسكوب قد

استدارا عائدين نحو البيت . وكنت قد ابتدأت استدير انا
ايضاً عندما علا بوق السيارة ، فرجعت . كان سام يقف الى
جانب الانسة ريبا ويشير إليّ قائلاً :

« تعال . الانسة ريبا تريد ان تراك لحظة . لم تخبرني
ان هذا الحصان سيدخل السباق ؟ » فأجبت :

« ظننتك عرفت . ألم تعرف اننا جئنا الى هنا لهذا
السبب ؟ »

« طبعاً ، طبعاً . ند أخبرني . الجميع اخبروني . انما
لماذا لم يحاول احد ان يقنعني ؟ لو كانت لي شجاعة الانسة ريبا
لكنت غطيت تلك العربة . خذ . » ومد يده نحوي بحزمة
كبيرة من الاوراق النقدية وقال : « هذه لند . قل له انه
حين يجد حصاناً لا يركض ، فلا ينتظر حتى يجيء . وياخذني ،
بل ليبرق لي . »

كانت الانسة ريبا تميل الى الخارج ، صلبة وجميلة . وكان
يجانبها ، وهي من الضخامة بحيث لا يمكن ان يتجاهلها احد .
وقالت الانسة ريبا : « لم اكن اتوقع ان ازج في السجن هنا .
لكنتي ايضاً لم استبعد ذلك . على اية حال ، فقد راهن سام
عني : راهنت بخمسين للسيد بنفورد وبخمسة لميني . اريد
- اعني نريد - ان نقسم الربح مناصفة ... » فقلت : « لا
اريد حصتي . » فقالت : « توقعت أن تقول هذا القول .
لذلك جعلت سام يضع خمسة اخرى لحسابك . خذها . »
« لا اريدها . » فقال سام :

« ماذا قلت لك ؟ » وقالت الأنسة ريبا :

« لأنها أموال قمار ؟ هل وعدت بهذا أيضاً ؟ » ولم اكن قد وعدت اذ ربما لان المقامرة لم تخطر ببال أُمِّي . لكنني لم اكن بحاجة الى ان اعد احداً بذلك ، ولم اعرف كيف اوضح لها ما كان واضحاً لي . وهو اني لم أقم بالسباق من اجل المال : كان المال آخر ما يمكن ان افكر فيه . لقد بدأت شيئاً وكان عليّ ان أتابع ، انا وند ، حتى لو انسحب الجميع . لكنني لم أعرف كيف اوضح لها فقلت : « كلا ، لا أريده . » فقال سام : « هيا . خذه كي نذهب . يجب ان نلتحق بالقطار . أعطه لند أو لذلك المعجوز الذي اهتم بك . فيها يعرفان ما يفعلان به . » فأخذت المبلغ ، فصارت معي حزمتان : حزمة كبيرة ، وهذه الحزمة الصغيرة . وكانت افربي ما تزال ساكنة لا تتحرك ، ويداها في حضانها . وقال لي سام : « ربت على رأسها ، على الاقل . » فقالت الأنسة ريبا : « لن يفعل ذلك ايضاً . انظر اليه . ويحكم انتم ، انتم الرجال ، حتى ولو كان واحدكم لم يتجاوز الحادية عشرة ! ألم تثبت منذ يوم الأحد انها ثابتة ؟ اذا كنت تعمل في نشر الاخشاب مدة طويلة كالتي أمضتها في مهنتها ، ثم كفت عن عملك يوماً ، هل يضيرك أن تقطع خشبة أخرى ، حتى وان كنت قد تركت العمل وانزلت اللافتة ؟ »

على انني درت حول السيارة وذهبت الى الناحية الاخرى . لكنها لم تتحرك . كانت كبيرة ، أكبر من ان تحركها الاشياء

الصغيرة ، كبيرة في انغلاقها على نفسها كي تنفتح لاستقبال الاشياء التافهة كطائر يرتطم بلوحة أو على وجه طبل نحاسي . كانت تجلس هناك خجلة ، لكنها أكبر من أن يقلصها الحجل . وقلت لها :

« لا بأس . لا يهم » . فقالت :

« كان علي ان اتخذ تلك المهنة . لم أعرف مهنة أخرى » .

فقالت الأنسة ريبا : « رأيت ما أهون ذلك ؟ هذا كل ما عليك أن تقوله لنا . وسنصدقك . ليس بينكم انتم الرجال - شرط أن يكون دون السبعين - لا يقدر أن يجعل أية امرأة تعتقد بأنه لم يكن أمامها الا تلك المهنة » .

فقلت : « اضطرت الى ذلك . لقد استعدنا لا يتبينغ في الوقت المناسب كي يدخل السباق ، ولكن هذا لم يعد مهما . الأفضل أن تتحركوا كي لا يفوتكم القطار » . فقالت الأنسة ريبا :

« طبعاً . ثم ان عليها أن تعد طعام العشاء . فأنت لم تسمع بعد . هذه مفاجأة لك . لن تعود معنا الى ممفيس . إنها لم تشف من إغراء تلك المهنة وحسب ، بل شفيت من التجربة إطلاقاً . شرط أن يكون ما يقولونه عن بارشم صحيحاً : يقال انه ليس فيها من الاغراء غير قابليات الرجل الطبيعية . لقد حصلت على عمل في بارشم . ستغسل وتطبخ لزوجتك ذلك المفوض وترفعها من الفراش وتعيدها اليه . وتخلصت لذلك من

اقتسام أرباحها مع أول رجل يحمل شارة الشرطة .
ثم قالت لسام : « هيا ، لنذهب . لا يمكنك أن تجعل القطار
ينتظركا وانت هنا . »

وذهبوا ، فاستدرت ومشيت نحو البيت . كان بيتاً كبيراً
بأعمدة ومداخل وحدائق واسطبلات (وكان لا يتينغ في
أحدها) وحظائر للعربات ، وما كان يستعمل لسكنى
العبيد - ومنها بيت بارشم القديم ، أو ما تبقى من مزرعة
الرجل أو العائلة التي اعطت اسمها للبلدة وجوارها ، ولبعض
الناس ، كالعم بارشم هود . كانت الشمس قد غابت ، وسرعان
ما سيتبعها النهار . حينئذ أدركت للمرة الأولى ان كل شيء
قد انتهى ، اعني ايام الهرج والتطاحن والاحتيال والكذب ،
ولم يبق غير الدفع . كان جدي والكولونيل
لنسكومب والسيد فان طوش في مكان ما من البيت ، ولا
بد أنهم كانوا يتناولون الان مشروب ما قبل العشاء . لذلك
اتجهت جانباً وعبرت الحديقة ومنها الى مؤخرة البيت . وهناك
كان ند يجلس على الدرجات الخلفية . فقلت له ، وانا أمد
يدي بحزمة النقود الكبيرة : « خذ . قال سام ان هذه لك .
فأخذها . وقلت : « ألن تعدها ؟ » فقال « أظنه عدما .
ثم أخرجت الحزمة الصغيرة من جيبى ، فنظر اليها
وسألني :

« هل أعطاك هذه أيضاً ؟ »

« كلا ، الانسة ريبا اعطتني اياها . لقد راهنت لحسابي . »

« هذا مال مقامرة . أنت اصغر من ان تأخذ مال المقامرة . الحقيقة انه ما من شخص عمر الى درجة تسمح له باخذ مثل هذه الاعمال . اما انت فما تزال صغيراً جداً . »
ولم استطع ان اعرب له ، هو أيضاً ، عن مشاعري .
ولكنه قال :

« انت تعرف اننا لم نفعل ذلك من اجل المال . »
فقلت :

« وانت ، الا تنوي الاحتفاظ بحزمتك ؟ »

« بلى . فانت الوقت بالنسبة لي . ولكنه لم يفت بالنسبة لك . سأتيح لك فرصة . وقد لا تكون سوى حرمانك فرصة من نوع آخر . »

« قال سام اني اقدر ان اعطيها للعم بارشم . ولكنه هو ايضاً لا يأخذ اموال مقامرة . »

« هل هذا ما تنوي ان تفعله بها ؟ »

« نعم . »

فقال : حسناً ، وأخذ الحزمة الصغيرة ، واخرج بحفظته ثم وضع الصرتين في داخلها . كان الظلام يوشك أن يشتد . لكنني سمعت جرس العشاء . وسألته :

« كيف استرجعت السن ؟ »

« لم استرجعه انا ، بل ليكورغوس ، عندما ذهبت ذلك الصباح الى الفندق لاحضارك . ولم يكن ذلك سهياً . وبما ان لايتينغ كان سيدخل السباق بعد الظهر ويحتاج الى

الراحة ، قرر الاستعانة بالبغل ، وقد اخبرني كيف أشهر عليه المسخ سكين جيب صغيرة ، ولكن ليكورغوس عرف كيف يتدبر ذلك .

« وبعد ذلك ؟ كيف نجح ؟ »

« اخبرتك . بواسطة البغل ! »

« كيف ؟ »

« وضع ليكورغوس المسخ على البغل ، دون سرج او لجام ، وربط قدميه بعضها ببعض ، من تحت ، وافهمه انه متى قرر ان يضع السن في القبعة ويرميها فسيوقف البغل . وضرب ليكورغوس البغل ضربة خفيفة . وحوالي منتصف الدورة الاولى ألقى المسخ القبعة ، فلم يجد فيها شيئاً . لذلك اعاد له القبعة وضرب البغل ضربة ثانية . ويقول ليكورغوس انه نسي ان هذا البغل يقفز فوق السياجات ، الى ان رآه يقفز سياجاً يرتفع أربعة اقدام . وهكذا رمى المسخ القبعة للمرة الثانية وكانت السن فيها . انما كان يجب ان يحتفظ بها لمصلحتي . لقد ذهبت هي ايضاً الى ممفيس ، أليس كذلك ؟ »

« نعم . »

« هذا ما توقعته . ربما كانت تعرف كما أعرف ، ان وقتاً طويلاً سيمر قبل ان تراني ممفيس ، أو ترى بون هوجانبك ثانية . واذا عاد بون إلى السجن ثانية ، لا اتصور أن ممفيس سترانا هذه الليلة أيضاً . »

أما أنا فلم اكن اعرف . وفجأة ادركت انني لا اريد ان

اعرف . لم اكن عازفاً عن اتخاذ القرارات او الاختيار
وحسب ، بل لم اكن اريد معرفة ما قرره الاخرون بشأني ،
قبل ان اضطر الى مواجهة النتائج . ثم جاء والد ماك وييلي
يلبس معطفاً ابيض . ولم اكن قد سمعت الجرس . وكنت قد
غسلت (وبدلت ملابسي لأن جدي احضر لي حقيبة ،
وحذائي الاخر ايضاً) ، فقادني الخادم الى غرفة الطعام .
هناك كان جدي والسيد فان طوش والكولونيل لنسكومب
والعجوز البدين لويلن بين يديه . ووقفنا جميعاً ، فتلا
الكولونيل صلاة الشكر وجلسنا . ولم يكن ابو ماك وييلي
الوحيد الذي يخدمنا على المائدة ، بل كانت هناك ايضاً
خادمة بملابس الخدمة تبديل الصحون . وكنت قد توقفت عن
الاختيار واتخاذ القرارات . فكدت انام في صحنني ، في
الحلوى ، عندما قال جدي :

« حسناً ايها السادة ، هل نبدأ ؟ » فأجاب الكولونيل :

« سنذهب الى المكتب . »

كان المكتب افضل غرفة رأيتها . وتمنيت لو ان لجدي
مكتباً مثله . فالكولونيل لنسكومب كان محامياً ايضاً .
لذلك كانت هناك اكداس من كتب القانون . وكانت هناك
ايضاً كتب زراعية ، وواجهة زجاجية فيها ادوات صيد
سمك وبنادق . وكان في الغرفة كراسٍ واريكة ، وسجادة
خاصة للجلوس قرب المدفأة ، وعلى الجدران صور أحصنة
وفرسان سباق مع الكليل الورود والتواريخ التي تفوقوا

فيها . وكان هنالك ايضاً طاولة خاصة بكتاب المراجع الضخم ، وطاولة اخرى عليها علبة مليئة بالسيكار ، وابريق ماء ووعاء للسكر . كما كانت هناك نافذة على الطراز الفرنسي تفتح على شرفة فوق حديقة الورود ، حتى انك كنت تستطيع ان تشم رائحة الورود وانت داخل البيت .

وجاء رئيس الخدم مع ندى ، ووضع له كرسيّاً في الزاوية . وجلسنا جميعاً . كان الكولونيل لنسكومب يرتدي بزة بيضاء ، والسيد فان طوش في ثياب اهل شيكاغو (وقد جاء منها لزيارة ممفيس فاعجب بها واشترى مكاناً لتربية الخيل وتدريبها ، وشغل في هذا العمل بوبو بوشامب منذ ست سنوات) . وكان جدي يرتدي بزته الرمادية ذات الذيل التي ورثها (اعني انه لم يرث البزة بل اللون الرمادي الخاص باهل الجنوب ، ذلك لانه لم يكن جندياً آنذاك ، اذ كان في الرابعة عشرة من عمره ، وكان عليه أن يلازم امه ، بصفة الابن الوحيد . وبقي جدي مع أمه حتى ماتت عام ١٨٦٤ . وعندما تمكن الجنرال شيرمان من احتلال كارولينا ، جاء ميسيسيبي للتفتيش عن قريب له يدعى ماك كاسلان ، وكان اسمه في المعمودية مثل اسم ذلك القريب ، اعني لوشوس كوينتوس كاروترز . ثم التقى بابنة حفيده ذلك القريب ، اعني سارة ادموندس ، فتزوجها عام ١٨٦٩) .

وهنا قال جدي لندى : « ابدأ من البداية . » فقال الكولونيل : « انتظر ! » وصب بعض الوسكي في كأس ندى .

لكن ند شكره بلطف ووضع الكأس على المدفأة قريبه ،
 وجلس دون ان ينظر الى جدي . فقال الكولونيل :
 « اشربها ، فقد تحتاج اليها . »
 وأخذ ند الكأس وابتلع ما فيها دفعة واحدة . ثم جلس
 يمك بالكأس الفارغة . فقال جدي ثانية :
 « ابدأ الآن . » فقال السيد فان طوش :
 « انتظر . كيف جعلت الحصان يركض ؟ » فالتفت ند
 نحو جدي للمرة الاولى وقال له :
 « هل يسمح لنا هؤلاء السادة بالتحدث على انفراد ؟ »
 فسأله جدي :
 « عن ماذا تريد ان تتحدث ؟ »
 « عن الحصان ، واذا شئت ان تخبرهم انت ، بعدئذ ،
 فلك ذلك » . فقال جدي للحاضرين :
 « هل تأذنون لنا بالانفراد ؟ » ومشى باتجاه الشرفة .
 فنهضت انا ايضاً ، فسأل جدي مشيراً الي :
 « ما شأن لوشيوس ؟ » فأجاب ند :
 « اشترك في السباق ، وله الحق في معرفة ذلك . »
 وخرجنا الى الشرفة المظلمة ، حيث تعبق روائح الورود .
 وتناهى الينا نباح كلب بعيد . وقال ند بهدوء :
 « اطعمته سردين » . فقال جدي :
 « لا تكذب عليّ . الجياد لا تأكل السردين » .
 « لكن هذا الحصان يأكل . اخذته انا ولوشيوس وجربنا

ذلك . لكنني لم اكن بحاجة الى ان اجر به . فمئذ وقعت
عيني عليه عرفت ان لديه الحاسة نفسها التي كانت لذلك
البغل . «

« آه ، اذن هذا ما كنا تفعلانه لذلك البغل أنت
وموري . »

« كلا ، يا سيدي . لم يكن موري يعرف ذلك . لم
يعرفه احد غيري وغير البغل . هذا الحصان مثله . عندما
ركض المرحلة الاخيرة ، عصر اليوم ، كنت انتظره حاملاً
السردين ، وكان يعرف ذلك . »

ودخلنا المكتب ثانية ، وهم ينظرون الينا . وقال جدي :
« نعم ، لكنه سر من اسرار العائلة . لن اكتبه اذا اقتضى
الامر . اتسمحون لي بأن اكون الحكم ؟ بالطبع ، الكلمة
الاولى للسيد فان طوش . » فقال فان طوش :

« في هذه الحال ، إما أن اشترى ند او ابيعك كوبرمين .
لكن ألا يجدر بنا الانتظار حتى يحضر رجلك هوجانبك ؟ »
فأجاب جدي :

« انت لا تعرف هوجانبك . لقد قاد سيارتي الى ممفيس .
وعندما أخرجه من السجن غداً سيقودها الى جفرسون . وبين
هاتين النقطتين لن يفتقده أحد . »

ولم يأمر جدي ند ، هذه المرة ، بان يتكلم ، ولكن
ند قال :

« تورط بوبو مع رجل أبيض ... »

وهذه المرة كان السيد قان طوش هو الذي قال : « أه . »
وهكذا بدأنا نعرف الحكاية : من ند والسيد فان طوش معاً .
فالسيد فان طوش كان غريباً ، فلم يعيش في منطقتنا
مدة كافية ليدرك وضع زنجي شاب عاش طوال حياته في
الريف ولم يبتعد عن بيته يوماً ، فهرب الى مدينة كبيرة
سعيًا وراء المال والتسلية . ربما كانت المقامرة ، أو ربما بدأ
بالمقامرة ؛ فهذه أبسط نقطة يبدأون منها . ويبدو أن ند
نفسه لم يكن يعرف المشكلة تماماً - هذا ان لم يكن يعرفها
بتفاصيلها . ومهما تكن فقد كانت في عالم البيض . وعلى
ما أخبرنا ند ، كانت المشكلة قد تازمت وارتفع محور المشكلة
إلى مئة وثمانية وعشرين دولاراً ، وقد أدخل الرجل الأبيض
في رأس بوبو أنه إذا اكتشف ذلك رجال القانون كان أقل
ما يلاقيه هو الطرد من عند السيد فان طوش ؛ الحقيقة أنه
جعل بوبو يعتقد بأن متاعبه الحقيقية تبدأ حين يتخلى كل رجل
عن مسانده . وهكذا إلى أن تازمت الحالة ، وتملكه اليأس ،
واشتدت وطأة تهديد الرجل الأبيض . وذهب بوبو الى السيد
فان طوش وطلب منه مئة وثمانية وعشرين دولاراً . وجاء
الجواب كما كان يتوقعه من رجل لم يكن أبيض وغريباً
وحسب ، بل كان أيضاً رجلاً مستقراً ، تجاوز العمر الذي
يمكن أن يتذكر فيه أهواء الشباب ومتاعبه . كان الجواب
كلا . كان ذلك في الحريف الماضي . . . ، فقاطعه السيد
فان طوش قائلاً :

« أذكر ذلك . لقد أمرت الرجل بالآلا يعود إلى مزرعتي
ثانية . وحسبت انه قد ذهب . »

أرأيت ما أعني ؟ كان السيد فان طوش رجلاً طيباً ،
لكنه كان أجنبياً . لذلك حين فقد بوبو أمه الأخير ، الذي
لم يكن شديد الاطمئنان إليه ، « دبر » - على حد تعبير
ند - خمسة عشر دولاراً وأعطاهما للرجل ، فجرت عليه
ما تتوقعه وما يحتمل ان يكون بوبو نفسه قد توقعه . لكن
ماذا كان يستطيع أن يفعل وإلى أين كان يمكنه أن يلتجئ ؟
لقد اشتد عليه الضغط والتهديد . اذ برهن أنه يستطيع
الحصول على المال إذا تعرض لضغط شديد . قال السيد
فان طوش :

« لكن لماذا لم يأت إلي » فأجاب ند: ذهب اليك فأجبتك
بالرفض . وساد صمت قصير ثم قال بلطف : « انت رجل
أبيض ، وبوبو زنجي . » وهنا قال جدي :

« لماذا لم يأت إليّ أنا بدلا من ان يعود الى سرقة الحصان ،
واخذه الى المكان الذي كان يجب ان لا يغادره أصلاً ؟ »
« ماذا كنت ستفعل لو ذهب إليك مبهور الأنفاس بعد
أن قطع الطريق من ممفيس ، وقال لك لا توجه إلي أي
سؤال ، انما أعطني مئة وبضعة دولارات لأعود إلى ممفيس
وأبدأ بتسديد المبلغ ، حالما أتمكن من ذلك ؟ »
« كان يمكنه أن يخبرني عن السبب . أنا أيضاً أنتمي الى
عائلة ماك كاسلن . »

« وأنت ايضاً رجل ابيض . »

وهكذا اكتشف بوبو ان الخمسة عشر دولاراً التي تصور انها ستنقذه ، قد دمرته . ولم يعد بوبو يعرف الراحة . ولعل الرجل الابيض بدأ يخوف بوبو . ولعله خشي ان يرتكب بوبو ، بدافع خوفه ويأسه وغباوة عرفه ، خطأ ما أو حتى جريمة تذف كل شيء . هكذا كانت الحال عندما ابتداء الرجل الأبيض يحاول اقناع بوبو بأن يضرب ضربة واحدة تخلصه من الدين والدائنين ، والهلم وكل شيء . فاقترح اولاً ان يسرق بوبو السروج ووسائل السباق وكل ما يمكن ان يحمل . وكانت الشبهة ستقع على بوبو فوراً ، بينما يكون الرجل الابيض قد ابتعد اثناء ذلك وصار آمناً . ولكن اذا هرب بوبو بسرعة ، وهو ما كان ينتظر ان يفعله ، فانه كان سيجد امامه للولايات المتحدة كلها ليلجأ اليها ويجد عملاً آخر فيها . ولكن الرجل الأبيض تخلى عن هذه الفكرة ، لانه ما كان سيستطيع التخلص من العربية وحمولتها دفعة واحدة قبل طلوع النهار . وكانت تصريف الحمولة قطعة قطعة سيستغرق بضعة ايام .

وهكذا بدأ يفكر ان بحصان : بأن يكثف العربية وحمولتها المتنوعة في قطعة واحدة تباع دفعة واحدة دون اي تأخير . هذا اذا تساهل الرجل الابيض ولم يجادل بسبب بضعة دولارات اعني ان الرجل الابيض ، وليس بوبو ، هو الذي اعتقد ان بوبو سيسرق له الحصان . لكن بوبو عرف انه ، ان لم يسرق الحصان ، فقد كان سيشهد نهاية كل شيء : نهاية الحرية والعمل

مع صباح الاثنين التالي (كانت الازمة قد بلغت ذروتها يوم السبت الماضي ، يوم غادرنا جفرسون في السيارة مع بوب . وسبب تفاسم الازمة هو انه كان للسيد فان طوش حصان تسهل سرقة ، خصوصاً انه وضع في مكانه لتلك الغاية . كان ذلك الحصان لايتينغ (اعني كوبرمين) الذي كان موضوعاً في أسطبل بانتظار البيع . وقد أخذه بوبو بنفسه الى اسطبل البيع ، لذلك كان يستطيع ان يذهب ويحضره دون اية صعوبة . المشكلة كانت في ان الرجل الابيض عرف هذا - عرف بأنه حصان درّيب على السباق لكنه لا يركض مما انزل قدره بالنسبة للسيد فان طوش والسيد « كلاب » ، مدربه ، حتى انه وضع في اسطبل البيع بانتظار اول شار . وهكذا كان بوبو يستطيع ان يذهب ويأخذه دون ان يعرف السيد فان طوش الا اذا استفهم . لذلك كان امام بوبو مجال حتى صباح الاثنين التالي ليتدبر الأمر .

هكذا كانت الحال عندما تركنا ند امام منزل الآنسة ريبا عصر الاحد ودار حول المكان الى شارع بيل ودخل اول حانة وجدها في طريقه . وهناك عثر على بوبو يحاول ان يهرب من مصيره بزجاجة وسكي . وهنا قال جدي :

« هذه هي الحكاية ، اذن . الآن ابتدأت افهم : زنجي ليلة السبت . بوبو سكران ، وانت تسرع من جفرسون ولسانك يتدلى عطشاً لتصل الى اول حانسة يمكنك ان تدخلها . وتوقف لحظة ثم قال وهو يكاد يقفز :

« انتظر . هذا خطأ . لم يكن ذلك مساء السبت ، اذ

انكم وصلتكم الى ممفيس مساء الاحد .
وكان ند ما يزال يجلس في مكانه بهدوء ، الكأس الفارغة
في يده ، حين اجاب :

« ليل السبت بالنسبة لنا تمتد حتى نهار الأحد . » فأضاف
الكولونيل لنسكومب :

« بل حتى صباح الاثنين . انتم تستيقظون صباح الاثنين ،
مرضى مصابين بوخمة السكر ، ملطخين بأقذار السجن ،
تنطرحون هناك ، الى ان يأتي احد البيض ويدفع عنكم
الكفالة ويأخذكم الى حقل القطن مباشرة او الى أي مكان
يشغلكم فيه ولا يمنحكم فرصة حتى لتناول الفطور . ثم انكم
تعرقون هناك من العمل وتظلون هكذا في اليوم التالي ،
واليوم الذي يليه ، حتى يأتي يوم السبت ، حين تتركون
المعول أو المجرفة وتسرعون الى السجن صباح الاثنين . لماذا
تفعلون ذلك ؟ والله ، لا ادري . » فأجاب ند :

« ولا يمكنك أن تدري . لست من اللون الملعون . لو
استطعت أن تتحول الى زنجي ليلة سبت واحدة ، لما تمنيت
أن تعود رجلاً أبيض طيلة حياتك . » فقال جدي :
« حسناً ، أكمل . »

وهكذا كشف بوبو لند عن متاعبه : كان الحصان على
بعد أقل من نصف ميل ينتظر من يسرقه ، والرجل الأبيض
الذي عرف ذلك اعطى بوبو مهلة لا تزيد عن بضع ساعات .
وقال جدي : « حسناً اخبرنا عن قصة سيارتي » فقال ند :
« سأصل اليها حالاً . » هكذا ذهب ندمع بوبو الى الاسطبل لتفقد

الحصان ، وحالما وقعت عيناى عليه تذكرت ذلك البغل الذي كان عندي .

كان بوبو مثلي ، أصغر من ان يذكر ذلك البغل . لكنه ، مثلي ايضاً ، قد نشأ وهو يسمع تلك الاسطورة . وتابع ند قائلاً : « هكذا قررنا ان نذهب الى الرجل الأبيض ونخبره بأن شيئاً ما قد حصل ، وان بوبو لم يستطع ان يخرج الحصان من الاسطبل كما تصور بوبو ، لكننا نقدر ان نأتيه بسيارة بدلاً منه . » ثم قال لجدي بسرعة : مهلاً ، انتظر ! كنا نعرف كما تعرف انت ان السيارة ستبقى آمنة مدة كافية ، نكفون فيها قد انتهينا . وربما استطعت ، بعد ثلاثين او اربعين سنة ، ان تقف عند زاوية شارع في جفرسون وتشاهد اثنتي عشرة سيارة تمر قبل الغروب لكن ليس الآن . وربما استطعت آنذاك ان تسرق سيارة وتجدها من يشتريها دون ان يهتم كثيراً بكيفية حصولك عليها ولماذا تريد بيعها . لكنك لا تستطيع ذلك الآن . لذلك كان من المستحيل لرجل كهذا ، كما اتصور هيئته (لانني لم أراه بعد) ، ان يطوف المدينة محاولاً بيع السيارة بالسر وبسرعة . كان سيبدو كرجل يحاول بيع فيل بمثل هذه الطريقة . لذلك لم تجده انت والسيد فان طوش أية صعوبة في معرفة مكانه واسترداد السيارة ، أليس كذلك ؟ ، فقال جدي :

« اكمل ، .

« آنذاك ، كان الرجل سيسأل عن حكاية السيارة ، فيترك

بوبو الجواب لي . وربما كان الرجل سيسأل عما افعله بالسيارة
الآن فيخبره بوبو بأنني اريد ذلك الحصان لانني اعرف كيف
أجعله يركض . وأننا سنشترك في سباق يوم الثلاثاء .
وإذا كان الرجل الأبيض يجب أن يربح ثلاثة أو أربعة اضعاف
المئة وثلاثين دولاراً ، فيمكنه الهجيء معنا والمراهنة على
الحصان . اذ ذاك لا يحتاج الى التورط بمحاولة بيع السيارة .
لأنني عرفت انه من اولئك البيض الذين حصلوا على خبرة
كافية لتجعلهم يميزون بين ما يباع وما يودي الى السجن .
وهذا ما كنا سنفعله حتى أتيت وخربت كل شيء . كنا سندع
الرجل الأبيض يراقب الشوط الاول دون رهان ، وكان
سيقبل بذلك ، فيرى لايتنينغ يخسر الشوط حسب عادته .
ثم كنا سنراهنه على الحصان مقابل السيارة ، دون ان نحتاج
إلى افهامه بأنه إذا خسر لايتنينغ هذه المرة ايضاً ، فانه
سيأخذ الحصان بالاضافة الى السيارة .

وهنا نظر جدي والكولونيل لنسكومب والسيد
فان طوش الى ندي . ولن أحاول أن أصف التعبير الذي تضمنته
تلك النظرة . لا أقدر . وتابع ندي قائلاً : « ثم أتيت وخربت
كل شيء . » فقال السيد فان طوش :
« وكل ذلك لانقاذ بوبو . لنفترض أنك فشلت في جعل
كوبرمين يركض ، وخسرته ايضاً . ماذا كان سيحل بوبو ؟ »
« جعلته يركض . رأيت ذلك . »
« لكن لنفرض ذلك جدلاً ... »

« كان ذلك سيدّمه . است أنا من نصحه بمفادرة مزارع القطن في ميسيسيبي واللحاق بمغامرات ممفيس ومقامراتها . »
« لكن السيد بريست قال انه ابن عمك . »

« لكل إنسان أقارب لم يرزقوا عقلاً اكبر من عقل بوبوا ،

فقال الكولونيل لنسكومب فجأة : لنشرب نخباً . ثم نهض وأخرج الخمر ووزعها . وقال السيد فان طوش : « حسناً ، يا بريست . أنت استرجعت سيارتك وأنا استرجعت حصاني . ولعلي خوفت ذلك النذل الى درجة تكفي لإبعاده عن اسطبلاتي . » ثم قال لند :

« ماذا أفعل بوبو ؟ » فأجاب لند :

« احتفظ به . الشباب منا والاولاد ، لا يقتنعون بسهولة . »

« لماذا كانت الزوج وحدهم هكذا ؟ » فقال الكولونيل

لنسكومب :

« ربما كان يعني آل ماك كاسلن . » فقال لند :

« صحيح . آل ماك كاسلن والعبيد منا يتصرفون بطريقة

واحدة . أقصد الشبان . وان يكن هذا ماك كاسلنياً زنجياً .

ربما كانوا لا يسمعون جيداً . ويجب أن تعلمهم تجارهم أن

الاحتيايل لا يجدي . ولعل بوبو تعلم ذلك هذه المرة . أليس

هذا أهون عليك أن تبدأ من جديد مع شخص آخر

غير مجرب ؟ »

فقال السيد فان طوش : بلى .

وظلوا جميعاً في أمكنتهم صامتين . وعاد السيد فان طوش
يقول :

« بلى . والآن إما أن اشترى ند او ابيعك كوبرمين . هل
يمكنك ان تجعه يركض ثانية يا ند ؟ »
« نجحت تلك المرة » .

« قلت مرة ثانية . هل تعتقد ، يا بريست ، أنه يقدر
يجعله يركض مرة ثانية ؟ » فأجاب جدي :

« نعم »

« الى أي حد تعتقد ذلك ؟ »

« هل تخاطبني كصاحب بنك أم ماذا ؟ »

فقال الكولونيل لنسكومب : « نعم ولكن بالطريقة
الطبيعية العادية التي يلجأ اليها أهالي الشمال في ميسيسيبي وهم
يخاطبون أهالي جنوبيها ، بكل ما أعطاهم الله من حقوق
والانسان من شرائع » . فقال السيد فان طوش :

« حسناً ، أراهنك بكوبرمين مقابل السر الذي يخفيه
ند . فاذا استطاع ند ان يجعل كوبرمين يسبق حصان
لنسكومب ، احصل انا على السر وانت تأخذ كوبرمين واذا
خسر كوبرمين لا اريد شرك ، وانت تأخذ كوبرمين او تتركه
مقابل خمسمئة دولار . » فقال جدي :

« أي اذا خسر كوبرمين استطيع ان آخذه مقابل
خمسمئة دولار . واذا رفضت اخذه ، أدفع لك خمسمئة
دولار لتحتفظ به لديك » . فأجاب السيد فان طوش :

«صحيح . ولكي أتيح لك فرصة للزيادة ، أراهنك بدولارين مقابل دولار بأن ند لا يستطيع ان يجعله يركض ثانية .»

« إذن ، اما ان اربحه ، او ان اشتريه بالرغم من كل شيء .» فقال السيد فان طوش :

« نذكر انك هنا بين اصدقاء ؛ فحاول ألا تقتصر كصاحب بنك ولو لفترة قصيرة ، حاول ! ، حينئذ قال جدي :

« اثنان ونصف . » فأجاب السيد فان طوش :

« خمسة . »

« ثلاثة ونصف . »

« خمسة . »

« اربعة وربع . »

« خمسة . »

« اربعة ونصف . »

« اربعة وخمسة وتسعون . » فقال جدي :

« قبلت . » ثم قال السيد فان طوش :

« قبلت . »

وهكذا وقفنا للمرة الرابعة أنا وماك ويلي خلف شريط الانطلاق وارجل الحصانين تتواثب وتتحفز . لم يكلمني ماك ويلي هذه المرة مطلقاً . كان خائفاً ومفتاضاً ، ومحتاراً ومصعباً . وادرك ان شيئاً حدث يوم امس وما كان يجب

ان يحدث ، على الأخص لصبي مثله في التاسعة عشرة ، كان يحاول بكل بساطة ان يفوز في سباقٍ حَسِبَهُ عادياً بسيطاً. لم يختاروا لنا مواقعنا هذه المرة ، بل تركوا لنا امر اختيارها. لكن ند قال لي : « لا بأس هذه المرة . ماك ويلي بحاجة الى الشعور بالاطمئنان. دعه يختار اولاً . » لكن ماك ويلي رفض هذه المبادرة ، بدافع الفروسية او الغضب ، لست أدري . لكن صوت الحكم حل المشكلة ووقفنا خلف الشريط .

ولاحظت ان ند لم يعمد الى مداعبة وجه الحصان او منخريه بيده كما فعل المرة الماضية . ولا اقول انه نسي ، لأن ند لا ينسى شيئاً . ولم يعطني تعليقات اللحظة الاخيرة ، لكن ماذا كان قد بقي لديه ليقوله ؟ كان جدي والسيد فان طوش والكولونيل لانسكومب قد اتفقوا على ان يكون السباق خاصاً ، او قل سباق ثأر . ولكي يبقى السباق خاصاً في بارشم لا بد من جهود خاصة . ذلك اشبه بإبقاء المطر سرياً وخاصاً برعى الكولونيل لانسكومب - ما دامت البلدة تتكون من فندق شتوي ، ومخزنين ، ومزاق للمواشي ، ومحطة ، وتقاطع خط حديدي ، وكنائس ومدارس وبيوت مزارعين متباعدة في الريف البعيد . فسكان اي خبز ينتشر في بارشم بسرعة ، فكيف نجبر سباق خيل من هذا النوع بين هذين الحصانين بالذات ؟ وهكذا حضر اهل البلدة جميعاً السباق ، بمن فيهم الحارس الليلي الذي يفترض فيه ان ينام في النهار . انما لم يكن الحشد كبيراً كيوم أمس ، الا انه كان

ولا ريب أكبر مما اراده جدي والسيد فان طوش . كانت
هناك القبعات الملطخة ، والتبغ والقمصان التي بلا ياقات ،
وملابس العمل ، عندما ارتفعت صيحة : انطلق !
وانطلقنا يتقدمني ماك ويلي بخطوتين ثم اندفع لايتنينغ
بسرعة وطواعية حتى صار خده بجوار ركبة ماك ويلي .
وبقينا بعد ذلك ننعطف ونجري ، ووضعنا المتوازي يختل
قليلا ليعود الى الانتظام . كانت المسافة بيننا تفتح وتنغلق كالحم ،
كالحركة الطبيعية التي ألقها من يطلق سرباً من الطائرات دفعة
واحدة . وعند المنعطف الأول ، ضربت لايتنينغ لأحشه على
الاستمرار ، قبيل ان يتمكن من التفتيش عن ند ؛ ولم أتمالك
من أن أستعرض وجوه المتفرجين باحثاً عن وجهه بنفسي .
ثم بدأ لايتنينغ نفسه يبحث عنه بين الجمهور ، دون أن يتم
بالاتجاه الذي يسير فيه . كان كل همه أن يرى ند ، لكن دون
طائل ، إلى ان كانت الدورة الثانية ثم المرحلة الاخيرة .
ورحت أدفع لايتنينغ نحو الحاجز الخارجي (حيث لا يستطيع
ايكرون أن يجيب عنا الحلبة وشريط النهاية) فيتمكن
لايتنينغ من الرؤية . لكنه إذا كان قد رأى ند هذه المرة فلم
يشعري بذلك . كما أنني لم استطع أن أخبره . وصحت : انظرا
انظر هناك ! هناك هو ! لكن ند لم يكن هناك . لم يكن
أمامنا غير الحلبة وخيط النهاية واهياً كشعاع من القمر . وفي
هذه اللحظة ، ضرب ماك ويلي حصانه بشدة ، فاستجاب
لايتنينغ كالسحر ، ولحق به ، محافظاً على مسافة قليلة إلى

الوراء . فلو استطاع ايكرون ان يركض بسرعة ستين ميلاً في الساعة لركض لايتنينغ بنفس السرعة ، محتفظاً بالمسافة ذاتها إلى الوراء . وواصلنا الركض متوازيين نتأرجح قليلاً كما لو كنا مشدودين إلى بعضنا . والتمتع الشريط فوق رؤوسنا . وعدنا نتكلم ، أنا وماك ويبي ، ثانية . كان يصرخ لي في فرح جنوني : « ياه ، ياه ، ياه ، ياه ، ياه » مخففاً سرعته دون توقف ، ومتجهاً إلى الاسطبل فوراً . كان المهللون والمحبون الذين تجمهروا حولنا يوم أمس قد تخلوا عنا : قيصر لم يعد اليوم قيصراً .

وجاء نداء بسرعة وهدوء وأمسك بالبقود ، بشيء من نفاذ الصبر وعدم الانتباه . ثم جاء جدي وراءه يقول :
 « ما الذي حدث ؟ ما الذي حدث معه ؟ »
 « لا شيء . لم اكن احمل له سرديناً هذه المرة ، وقد عرف ذلك . ألم اقل لك ان لدى هذا الحصان حساسية ؟ »
 ثم قال لي : « بوبو ينتظر هناك ، خذله هذا الكديش ليوصله الى ممفيس . سنعود اليوم » . فقلت :
 « لكن انتظر . انتظر » .

« انس هذا الحصان . لا نريده . الرئيس استرجع سيارته ، وكل ما فقدناه مبلغ اربعمئة وستة وتسعين دولاراً ، والتخلص من هذا الحصان يساوي هذا المبلغ . اذ ماذا نفعل به ؟ لنفترض انهم توقفوا عن صنع تلك الاسماك القذرة ! الافضل ان يأخذه السيد فان طوش ، فلعل كوبرمين يخبره يوماً او

ينخبز بوبو عما حصل هنا يوم أمس .

لم نعد الى جفرسون تلك الليلة ، بل بقينا عند الكولونيل
لنسكرامب ، حيث جلسنا في المكتب بعد العشاء . كان بون
يبدو متعباً مقهوراً ، لكنه كان ذليلاً هادئاً ، ونظيفاً
ايضاً : فقد حلق ولبس قميصاً نظيفاً . اعني قميصاً جديداً
ربما اشتراه من هاردويك . وكان يجلس حيث كان ندى ليلة
أمس . قال :

« كلا . لم اكن اقاتله بسبب ذلك . ولم اكن غاضباً من
اجل ذلك . انه من شأنها هي . لا يمكنك ان تنهي كل شيء
دفعة واحدة . حين تترك ، عليك ان تنظف البقايا : الاوساخ
التي تخلفت معها تكن خطوتك الأخيرة صالحة . لكنني اردت
ان احطم عنقه لانه دعا زوجتي عاهرة » ، فقال جدي :
« تعني انك ستتزوجها ؟ » فقفز بون ، لكن ليس نحو جدي
بل نحوي انا قائلاً : « اذا كنت تقدر ان تواجه السكين
بيديك العاريتين دفاعاً عنها ، فلماذا ، بحق الشياطين ، لا
اقدر ان اتزوجها ؟ ألسنت جديراً بذلك مثلك ، وان لم
اكن في الحادية عشرة ؟ »

كان هذا كل شيء . وحوالي الساعة السادسة بعد ظهر اليوم
التالي ، اجتزنا التلة الأخيرة ، ومن هناك اطلت ساعة مبنى
البلدية من فوق الاشجار التي تحيط بالساحة . كان ندى في
المقعد الامامي مع بون فقال : « صه ، صه ، صه ! احس
كأنني كنت غائباً مدة سنتين . »

فقال جدي : « عندما تسوي دافين حسابها معك الليلة ، ستتمنى لو كان ذلك صحيحاً . فقال ند : « او ربما تمنيت ألا اكون قد عدت مطلقاً . اكن المرأة التي تظل تمسح وتكنس وتطبخ وتغسل طوال اليوم ، هي بحاجة الى بعض الإثارة من حين الى آخر . »

ثم وصلنا . وتوقفت السيارة ، فلم أتحرك . ونزل جدي فتبعته . وقال بون : « المفتاح مع السيد بالوت . » فأجاب جدي : « كلا ليس معه . » ثم اخرج المفتاح من جيبه واعطاه لبون . وعبرنا الشارع نحو البيت . هل تعرف ماذا قلت في نفسي ؟ قلت « لم يطرأ عليه شيء » . لأنه كان يجب ان يتغير . كان يجب ان يتحول بطريقة ما ، ولو قليلاً . لا اعني انه كان يجب ان يتغير من نفسه ، بل مما جئت احمله له - مما اختبرته وعرفته في الايام الاربعة التي غيرتني . اعني ، اذا كانت هذه الأيام الاربعة الحافلة بالكذب والغش والاحتيال واتخاذ القرارات وعدم اتخاذها ، والأفعال التي فعلتها والأشياء التي رأيتها وسمعتها والتي ما كان أبي وأمي ليسمح لي بأن افعلها او اراها او اسمعها او اتعلمها ، والأشياء التي تعلمتها ولم اكن مستعداً لها ، لو ان هذه كلها لا تجد مكاناً تخزن فيه او توضع فيه ، اذا كان هذا كله لم يغير شيئاً ، وظل كل شيء كما كان لم يصبح اصغر او اكبر او اكثر هرمياً او احكم او ادعى الى الشفقة ، اذن لضاع شيء ما ، ألقي جانباً ، صرف دون مقابل . وفي هذه الحال ، اما انه كان خطأ وما كان

يجب ان ابدأ به ، او انني انا الذي كنت خاطئاً او ضعيفاً
او على الاقل لا استحق ما حدث .

وقال لي جدي : هيا ! لم يقلها بلطف او بخشونة او
اي شيء . وقلت في نفسي : « لو ان العمه كالي تخرج الآن ،
سواء أكانت تحمل ألكسندر ام لا ، وتبدأ تصرخ بي ! ،
لكن لم يحدث شيء . كان كل شيء كما عرفته قبل ان اتمكن
من معرفة غيره . كانت الساعة قد تجاوزت السادسة بقليل في
عصر يوم من شهر ايار عندما كان الناس يفكرون بالعشاء .
لا بد ان يضع شعرات بيضاء قد نبتت في رأس امي وهي
تقبلني وتنظر الي ، ثم ابي الذي كنت دائماً ... اخاف منه .
هذه ليست الكلمة المناسبة ، لكنني لا اقدر ان افكر
بغيرها - اذ لو لم اكن اخاف منه ، لكان يجب ان اخجل
عنا كلينا . ثم سمعت جدي يقول : موري ا فقال أبي :
« ليس هذه المرة ، يا رئيس ! ، ثم قال لي : لئن المسألة !
فأجبت : « نعم يا سيدي » . وتبعته عبر القاعة الى الحمام ،
وتوقفت عند الباب ، عندما أخذ عدة الحلاقة ، وتراجعت الى
الوراء افسح له كي يخرج ثم تابعتنا . كانت امي في اعلى درجات
القبو . كنت استطيع ان ارى دموعها ولا شيء اكثر . كل ما
كان عليها ان تفعله هو ان تقول : قف ، او ارجوك يا موري ،
او لوشيوس فقط ، لكنها لم تقل شيئاً . وتبعته ابي الى القبو
حيث نحفظ الوقود في الشتاء ، وصندوق الجليد في الصيف ،
وكانت امي والعمه كالي قد احدثنا فيه رفوفاً لوضع الاغذية

المحفظة والمربيات . حتى انني رأيت كرسياً هزازاً لأمي
والعمة كالي ايام تضعان المربيات هناك . وهكذا وصلنا الى
اللحظة التي امضيت اربعة ايام من الارهاق والركض لأصل
اليها . كان هذا خطأ ، وكان كلانا يعرف ذلك . اعني كان
يستطيع ان يجلدني بعد كل ما قمت به من كذب وغش وتمرر
واحتيال . اذن لم يكن ابي يصلح لي . اذا كان يمكن تسوية
كل ذلك ، بجلافة الرأس ، فقد كنا حقيرين كلينا . رأيت ؟
كانت العقوبة تافهة حتى جاء جدي بطرق الباب . ولم يكن
مقفلًا . لكن جد والدي كان قد علمه ، وهو بدوره علم
والدي ووالدي علمني ، بأن ليس هناك باب يحتاج لان يقفل :
الباب المغلق وحده يكفي ، ولا تدخل حتى يدعوك شخص
ما للدخول . لكن جدي لم ينتظر هذه المرة ، فقال ابي :
« كلا. هذا ما كنت ستفعله بي قبل عشرين سنة . »
« ربما كنت الآن أكثر فهماً . اذهب واقنع أليسون
بالصعود الى الطابق العلوي والكف عن البكاء . »
فخرج والدي وأغلق الباب ثانية . وجلس جدي على
الكرسي الهزاز . لم يكن بديناً ، لكن وسطه كان ممتلئاً بما
يكفي ليجعل سلسلة الساعة الذهبية تتدلى باناقة . قلت :
« لقد كذبت ! »
« تعال إلى هنا . »
« لا أقدر . اقول لك انني كذبت ! »
« أعرف ذلك . »

« إذن افعل شيئاً ما . افعل شيئاً ما لجرد فعله . »
« لا أقدر . »

« أليس هناك ما يمكن عمله ؟ أي شيء ؟ »
« لم أقل ذلك . قلت لا أستطيع . لكنك أنت تستطيع . »
« ماذا ؟ كيف أقدر أن أنسى ؟ أخبرني كيف . »
« لا يمكنك . لا شيء ينسى . لا شيء يضيع . لكل شيء قيمة . »

« إذن ماذا أقدر أن أفعل ؟ »
« عش وأنت تحمله ! »

« أعيش معه ؟ إلى الأبد ؟ طيبة حياتي ؟ دون أن أتخلص منه أبداً ؟ لا أقدر . ألا تفهم أنني لا أقدر ؟ »

« بلى تقدر . وستفعل ذلك . الرجل يستطيع ان يعيش مع أي شيء . يواجه أي شيء . الرجل يتقبل مسؤولية أفعاله ويتحمل ما ينتج عنها ، وإن لم يكن قد اشترك هو نفسه بالتحريض عليها ، بل أذعن لها فقط ولم يقل لا ، مع انه كان يعرف أن عليه ألا ينصاع لها . تعال ! »

كنت قد بدأت ابكي بشدة وأتهمه ، وأنا اقف او اركع بين ركبتيه ، بينما كانت احدي يديه على ظهري والاخرى على مؤخرة رأسي تضغط رأسي على صدره . وشممت رائحته ، رائحة النشاء و كولونيا الحلاقة والتبغ الممضوغ والبنزين الذي استعملته دلفين لتنظيف البقع عن بزته ، مع رائحة وسكي كنت اعتقد انها من جرعة الوسكي التي يتناولها صباحاً عندما

يفتح عينيه . عندما كنت انام عنده كان ند يدخل في الصباح الباكر حاملا صينية عليها ابريق ماء، وزجاجة الوسكي وسكرية وملعقة وكأس . فيجلس جدي في الفراش ويعد الشراب ويشربه . ثم يضع قليلا من السكر في قعر الكأس ويصب الماء فوقه ويحركه ويعطيني الكأس ، الى ان دخلت جدتي علينا فجاءه ذات يوم وابطلت تلك العادة . وقال لي اخيراً :
ويكفي . هذا يكفي لإفراغ برميل . اذهب الآن واغسل

وجهك . الرجل يبكي ، لكنه دائماً يغسل وجهه . »

كان هذا كل شيء . وفي يوم الاثنين بعد الظهر ، بعد انصرافي من المدرسة (وكان ابي قد رفض اعطائي ورقة ليعذروني في المدرسة على تغيبني ، لهذا وضعت لي المعلمة اشارة تغيب . لكن الانسة رودوس قالت انها ستسمح لي بالتعويض عما فاتني) ، كان ند يجلس على الدرج الخلفي فقلت له :

« لو اننا راهانا بالنقود التي اعطانا اياها سام على لايتنينغ

في المرة الاخيرة لكننا رتبنا المسألة جيداً . »

« لقد رتبنا جيداً ، وحصلت على خمسة مقابل ثلاثة هذه

المرة ، والعجوز بوسوم هود حصل على عشرين دولاراً الكنديسته . »

« لكننا خسرتنا . »

« انتم خسرتتم . اما انا فقد راهنت على ايكرون . »

« اوه ! ، ثم قلت : « بكم راهنت ؟ » فلم يتحرك .

اعني ، لم يفعل شيئاً . اعني لم يكن يبدو عليه اي تغيير ؛

وتلك الأيام الاربعة بطولها وما كان فيها من الاحتيال ،

والتعب ، ومحاولة التخمين الصائب السريع ، لم تترك فيه أي اثر ، مع انني قد رأيت حين لم يتم له النوم ، ولا كان يملك ثياباً يرتديها . (رأيت كيف انني ما زلت ادعوها بالأيام الاربعة ؟ لقد غادرنا جفرسون انا و بون بعد ظهر السبت وعدنا اليها بعد ظهر الجمعة . لكنها كانت بالنسبة لي اربعة ايام ، بين ليلة السبت التي بتنا فيها عند الآنسة بالنبو ولحظة رأيت جدي وأنا على ظهر لايتنينغ - لحظة كان ند يحمل العبء وحده ويصد الطوفان ويدعم السد المنهار بكل ما تصل اليه يده - حتى انا - الى ان تكسرت بين يديه . اعني ، ان الرجل يتمسك دائماً بكذبتة ، سواء أكشف عنها ام لا .) كنت في الحادية عشرة فقط لكنني عرفت ، ولا اعلم كيف . عرفت فقط : لا تسأل أحداً عن مقدار ربحه او خسارته في القمار . لهذا اضفت :

« أعني هل تجمع لدينا ما يكفي لدفع اربعمئة وستة وتسعين دولاراً للرئيس ؟ »

لكنه ظل مكانه ولم يطرأ عليه أي تغير . لماذا اذن نبتت لامي شعرة بيضاء في غيابي ما دام علي ألا اتغير انا ايضاً ؟ فقد فهمت تلك اللحظة ما عناه جدي : مظهرك الخارجي هو ما تعيش به ، تنام به ، وتكون له صلة ضعيفة بما أنت صلة اضعف بما تفعله . فقال ند :

« تعلمت الكثير عن الناس في تلك الرحلة . ويدهشني انك لم تتعلم شيئاً عن المال . هل تريد ان يهينني الرئيس ، ام

تريدني ان اهيئه ، ام الجهتين معا ؟
« ماذا تعني ؟ »

« عندما اعرض عليه ان افي ما خسره في الرهان ، ألا
أكون كأنتي اقول له في وجهه انه لا يملك ذكاء كافياً للرهان
على الخيول ؟ وعندما اخبره عن مصدر التقود التي سأدفعها
له ، ألا تأتي برهاناً على ذلك ؟ »

« لكنني لم افهم حتى الآن من أين ستأتيك الامانة ،
فقلت :

« لأنه قد يأخذها ، »

واخيراً جاء اليوم الموعد . فقد ارسلت افربي في طلبي ،
فعبرت المدينة الى ذلك البيت الصغير الذي كان بون قد اشتراه
من جدي على ان يسدد ثمنه بدفع خمسين سنتاً كل يوم سبت .
كانت عندها ممرضة ، وكان عليها ألا تغادر الفراش . لكنني
وجدتها بانتظاري . حتى أنها مشت عبر الغرفة الى المهبط
ووقفت ويدها على كتفي بينما كنا ننظر اليه . وقالت :

« حسناً ، ما رأيك فيه ؟ »

لم يكن لي اي رأي . كان مجرد طفل آخر ، بشع مثل
بون ، وان كان عليه ان ينتظر عشرين سنة ليصبح في كبره . وقلت :

« ماذا ستسمينه ؟ »

« ألا تقدر ان تخمن ؟ »

« ماذا ؟ »

« لوشيموس بريست هوجانبك ! »

يعتبر وليم فولكنر احد الروائيين الخمسة الكبار في تاريخ الأدب الاميركي . بل هو احد كبار الروائيين في تاريخ الأدب العالمي . واعترافاً له بهذه المكانة ، منح جائزة نوبل للآداب .

ولد عام ١٨٩٧ في ولاية مسيسيبي بالولايات المتحدة الاميركية ، وتوفي عام ١٩٦٢ .

له مؤلفات عديدة ، آخرها هذه الرواية « اللصوص » التي نشرت بعد وفاته . وهي من اروع ما جادت به عبقريته .

ويسرنا ان نضعها بين يدي القارئ العربي ، بترجمة كاملة صادقة ، يجد فيها المتعة والفائدة اللتين لا يجدهما إلا في روائع الكتب .